دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

غروب في الريفييرا الفرنسية

SUNSET IN ST. TROPEZ



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

غروب

في الريفيرا الفرنسية

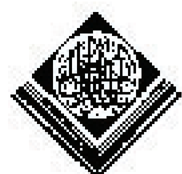
غروب في الريفييرا الفرنسية

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

ترجمة

زينة إدريس



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

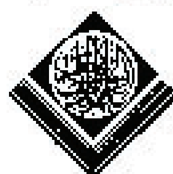
Sunset In St. Tropez

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينها وبين الدار العربية للعلوم

ردمك 9953-29-971-4

الطبعة الأولى

1427 هـ – 2006 م



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 785107 - 785108 - 860138 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف 786233 (9611)

1

أضاءت ديانا موريسون الشموع في قاعة العشاء، على طاولة معدّة لستّة أشخاص. كانت الشقّة كبيرة وأنيقة، تطلّ على سنترال بارك. عاش فيها إريك وديانا تسعة عشر عاماً من فترة زواجهما التي امتدت اثنين وثلاثين عاماً، كما عاشت معهما ابنتاهما معظم تلك المدّة أيضاً. ولم تغادرهما الفتاتان إلاّ منذ بضع سنوات. فانتقلت سامانثا إلى شقّة خاصّة بها حين تخرّجت من براون، فيما غادرت كاثرين عند زواجها منذ خمس سنوات. كانتا فتاتين طيّبتين، متألّقتين، محبّتين ومرحتين. وبالرغم من الخلافات المتوقّعة التي طرأت في مراهقتهما، إلاّ أنّ ديانا تمكّنت من التفاهم معهما تماماً. وهي تفتقدهما اليوم بعد أن كبرتا.

غير أنّ ديانا تستمتع بوقتها مع إريك وحدهما. ففي سنّ الخامسة والخمسين، كانت ما تزال جميلة، كما أنّ إريك ظلّ حريصاً على عدم انطفاء شعلة الرومنسية بينهما. لقد سمع الكثير من القصص في عمله وصار يفهم ما تحتاجه النساء من أزواجهن. ففي سنّه الستّين، كان لا يزال وسيماً، فتيّ المظهر. وفي العام الماضي، تحدّث مع ديانا في موضوع شدّ عينيها. كان يعرف بأنّ هذه الخطوة ستترك لديها أثراً إيجابيّاً، وكان على حقّ في ذلك. فبينما كانت تتحقّق مجدّداً من طاولة العشاء التي أعدّتها لسهرة رأس السنة، بدت رائعة في ضوء الشموع. فالعملية الجراحية البسيطة التي أجرتها أعادتها عشر سنوات إلى الوراء.

شعرها الذي غزاه الشيب منذ سنوات كان يلمع مثل الثلج المتساقط حديثاً

فـــي قَصّة قصيرة أنيقة أبرزت ملامحها الرقيقة وعينيها الكبيرتين الزرقاوين. كـــان إريـــك يخبرها دائماً بأنّها لا تقلّ جمالاً عمّا كانت عليه حين التقيا للمرّة الأولـــى. كانـــت حيـــنها ممرّضة في مستشفى كولومبيا وهو طبيباً مولّداً في المستشفى نفسها، وتزوّجا بعد ستّة أشهر من لقائهما ولم يفترقا منذ ذلك الحين. تـــوقّفت ديانـــا عن العمل حين حملت بابنتها كاثرين، ولازمت البيت منذ ذلك الحـــين لانشغالها بالفتاتين. وكانت متفهّمة لمتطلّبات عمل إريك الذي اضطرّه إلى مغادرة سريره ليلة بعد ليلة. فقد أحبّ عمله وكانت فخورة به.

كان إريك يملك واحدة من أهمّ عيادات الطبّ النسائي والتوليد في نيويورك وأكثـــرها نجاحاً. وهو يقول بأنّه لم يتعب من عمله بعد، بالرغم من أنّ اثنين من شـــركائه تقاعـــدا فـــي العام الماضي. غير أنّ إريك لا يُتعبه دوام العمل، وديانا أصـــبحت معتادة عليه الآن. فهي لا تنزعج من مغادرته المنزل في منتصف الليل أو اعـــتذاره عن دعوات العشاء في اللحظة الأخيرة. إنّهما يعيشان على تلك الحال مـــنذ أكثر من ثلاثين عاماً. كان يعمل في العطل وفي نهايات الأسبوع وكان يحبّ عمله. وقد كان حاضراً مع ابنتهما كاثرين حين وضعت ولديها.

كانـــت عائلتهما مثالية بكثير من الوجوه، كما كانت الحياة كريمة معهما. لقد عاشا حياة سهلة ومرضية، وجمع بينهما رباط زوجيّ متين. ومع أنّ ابنتيها كبـــرتا اليوم، إلاّ أنّ ديانا بقيت مشغولة بعملها التطوّعي وبتنظيم حفلات لجمع التبـــرّعات للأبحاث. فحين كبرت الفتاتان، لم تشعر بالرغبة لمعاودة العمل في التمـــريض، لا ســـيّما بعـــد انقطاعهـــا الطويل عنه. كما أصبحت لديها الآن اهـــتمامات جديدة، واتّسعت آفاقها إلى حد كبير. فعملها الخيري، والوقت الذي تمـــضيه مـــع إريـــك، واهـــتماماتهما العديدة، ورحلاتهما وأحفادهما، كلّ هذه النشاطات ملأت حياتها.

كانت واقفة في قاعة العشاء حين سمعت خطوات إريك في غرفة الجلوس، فالتفـــتت ولبـــرهة مـــن الزمن، توقّف عند مدخل قاعة الطعام يبتسم لها والتقت نظراتهما. كان الرباط الذي يجمع بينهما واضحاً ومتانة زواجهما فريدة من نوعها.

"مـــساء الخيـــر سيّدة موريسون... تبدين رائعة". قالها بعينيه قبل لسانه، فحبّه لها كان واضحاً للعيان. كان وجهه وسيماً وصبيانيّاً ذا ملامح قويّة، وذقنه يـــشقّها ثلـــم عميق وعيناه زرقاوين فاتحتين مثل عينيها. أمّا شعره فتحوّل مع مـــرور الـــسنوات من الأشقر الذهبي إلى الرماديّ. بدا شديد الوسامة في بذلته الرســـمية. كان أنيقاً وممشوقاً ولا يزال نحيل الخصر وعريض الكتفين تماماً مـــثلما كـــان حين تزوّجا. فهو ما زال يركب الدراجة أيام الآحاد بعد الظهر، ويلعـــب التنس إن لم يتمّ استدعاؤه في عطل الأسبوع. كما أنّه يلعب السكواش ويمارس السباحة كلّ ليلة بعد عودته من العيادة، مهما كان متعباً. كان كلاهما يبدوان نموذجاً للصحة والجمال بالنسبة إلى المتوسطين في السنّ. أضاف وهو يتقدّم نحوها: "كلّ عام وأنت بخير، حبيبتي"، ثمّ أحاطها بذراعه وعانقها. "متى سيصلون؟" كان يتحدّث عن المدعوّين الأربعة، أصدقائهما المقرّبين.

أجابـــت وهـــي تتأكّد من المشروبات المبرّدة فيما صبّ لنفسه كوباً من العـــصير: "عـــند الثامـــنة، أو علـــى الأقلّ روبرت وآن. أمّا باسكال وجون فسيـــصلان في وقت ما قبل منتصف الليل". ضحك وهو يضع مزيداً من الثلج في كوبه وينظر إلى ديانا.

ارتـــاد إريك وجون دونالي جامعة هارفرد معاً، وظلاّ صديقين منذ ذلك الحـــين. كانـــا مختلفين كالليل والنهار. كان إريك طويل القامة، رشيقاً، سهل الانقياد، منفتحاً وكريم الطبع. كان ينسجم كثيراً مع النساء، ويمكنه – كما يفعل يومياً في عيادته – أن يمضي ساعات في التحدّث إليهنّ. أمّا جون فكان قصير القامـــة، ممتلئ الجسم، قويّاً، سريع الغضب، مشاكساً، يتشاجر مع زوجته على الـــدوام، ويدّعـــي بأنّ لديه عيناً جوّالة، بالرغم من أنّ أحداً لم يره يقوم بشيء حـــيال ذلك. وفي الحقيقة، كان جون يحبّ زوجته، مع أنّه يفضّل الموت على الاعتراف بذلك علناً، وإن أمام أصدقائه المقرّبين. فالاستماع إليه وهو يتحدّث مـــع باســـكال كـــان أشبه بسماع سلسلة من الطلقات المدفعية السريعة. كانت باســـكال ســـريعة الغضب مثله تماماً وتصغر ديانا بثماني سنوات. إنّ باسكال

فرنسية الأصل، وكانت ترقص مع فرقة باليه مدينة نيويورك حين التقاها جون. في ذلك الحين كانت في الثانية والعشرين من عمرها، وبالرغم من مرور خمس وعشرين سنة على ذلك، حافظت على رشاقتها وجمالها، بعينيها الخضراوين الكبيرتين وشعرها البني الداكن ووجهها الرائع. كانت في السنوات العشر الماضية تعلّم الباليه في وقت فراغها. ولم يكن بين باسكال وجون سوى قاسمين مشتركين. فكلاهما لا يحافظان على مواعيدهما، وكلاهما سيّئا المزاج ويحبّان الشجار لساعات من دون توقّف. لقد حوّلا فنّ الشجار إلى رياضة أولمبيّة.

كان الضيفان الآخران المنتظران هما روبرت و آن سميث. تعرّف الزوجان على آل موريسون منذ ثلاثين عاماً حين أنجبت آن طفلها الأوّل على يدي إريك، وولدت صداقتهما مع آل موريسون في الوقت نفسه. كان روبرت وآن محاميين. آن ما زالت تمارس مهنتها، فيما أصبح روبرت قاضياً في المحكمة العليا. وفي سنّه الثالثة والستين، كان يتمتّع بالوقار الذي يلائم منصبه. غير أنّ طبعه الصارم أحياناً لم يكن سوى قناع يخفي وراءه قلباً لطيفاً ورقيقاً. لقد أحبّ زوجته وأولاده وأصدقاءه. كان طويل القامة ووسيماً وشديد الإخلاص لآن وأولادهما الثلاثة. وإريك هو الذي أشرف على ولادة الأطفال الثلاثة وأصبح واحداً من أفضل أصدقاء آن.

تزوّج روبرت وآن منذ أن كانا طالبين في كلّية الحقوق، وبقيا معاً لمدّة ثمانية وثلاثين عاماً. كانا الأكبر سنّاً في المجموعة، والأكثر رصانة، بسبب عملهما على الأرجح. ولكنّهما كانا دافئين ومفعمين بالحياة بين أصدقائهما، ويتمتّعان بذوقهما الخاصّ، تماماً كالباقين. فهما لم يكونا مثل باسكال وجون في حيويّتهما وسرعة غضبهما، ولا مثل إريك وديانا في مظهرهما الشابّ وأناقتهما. كان سنّ روبرت وآن بادياً عليهما ولكنّهما يتمتّعان بشباب القلب. وكان الأصدقاء الستّة شديدي التعلّق ببعضهم البعض ويمضون دائماً أوقاتاً ممتعة معاً. فهم يعرفون عن بعضهم أكثر بكثير من غيرهم من الأصدقاء.

اعتادوا على تناول العشاء معاً مرّة أو مرّتين في الشهر، وتشاركوا أفراحهم وآمالهم وخيباتهم على مرّ السنوات، فضلاً عن همومهم حول أولادهم وحتّى حزن باسكال العميق لكونها لم تتمكّن أبداً من الإنجاب. لقد أرادت ذلك بكلّ جوارحها حين توقّفت عن رقص الباليه، ولكنّ الأمر لم ينجح أبداً. وحتّى أن أخصّائيّي العقم الذين حوّلها إليهم إريك لم يتمكّنوا من فعل شيء للزوجين. فمحاولات طفل الأنبوب الست التي لجآ إليها لم تثمر أبداً. كما رفض جون فكرة التبنّي رفضاً باتّاً. فهو لم يرغب بتربية "حدث منحرف ينتمي إلى شخص آخر"، بل أراد طفلاً من صلبه. هكذا، في سنّهما السابعة والأربعين والستّين كانا يعيشان بلا أولاد، وليس لديهما من يلقيان اللوم عليه إلاّهما. وهو أمر غالباً ما فعلاه في مناسبات مختلفة، ممّا كان يسلّي الآخرين الذين اعتادوا على الجدالات الحامية التي لم يحاول جون وباسكال الكفّ عنها، لا بل بدا بأنّهما يستمتعان بها.

استأجر الأزواج الثلاثة مركباً شراعيّاً في البحر الكاريبي مرّة، كما استأجروا منزلاً في لونغ آيلاند عدّة مرّات. وقد سافروا إلى أوروبا معاً أكثر من مرّة، واستمتعوا دوماً بأسفارهم المشتركة. فبالرغم من اختلاف طباعهم، إلاّ أنّهم كانوا منسجمين تماماً ومن أفضل الأصدقاء. فهم لم يكونوا متسامحين إزاء نقاط ضعفهم فحسب، بل ويفهمون بعضهم البعض بعمق. لقد تشاركوا تاريخاً طويلاً معاً على مرّ السنوات.

لم يكن غريباً بالتالي أن يمضي الأزواج الثلاثة سهرة رأس السنة معاً. فخلال العقدين الفائتين، كان هذا تقليداً سنويّاً عزيزاً على قلوبهم. كانوا يتناوبون في استقبال بعضهم من عام إلى عام، فيقصدون منزل روبرت وآن لقضاء الأمسيات المبكرة والهادئة، التي كانت تنتهي بعد أن تعلن الساعة منتصف الليل، أو بيت جون وباسكال لتناول ولائم العشاء الشهيّة التي حضّرت أطباقها بعجل وبلا تنظيم وتذوّق المشروبات التي تشاجر حولها جون وباسكال. ولكنّ المكان المفضّل لدى الجميع لقضاء سهرة رأس السنة، كان

منزل إريك وديانا. فبيتهما مريح وأنيق، والطبّاخ الذي تستخدمه ديانا لتلك المناسبات ممتاز وكفء وغير متطفّل، فيستمتعون بالعشاء الممتاز والشراب الرائع. ونظراً إلى منزلهما المزخرف بذوق رفيع، يشعر الجميع أنّ عليهم أن يكونوا بالغي الأناقة وأن يلتزموا بحسن التصرّف. حتى أن باسكال وجون يبذلان جهداً للسيطرة على طباعهما هناك، مع أنّهما لا ينجحان دوماً. فتندلع بين الحين والآخر شجارات حول اسم فيلم سينمائيّ لا يتمكّنان من تذكّره أو رحلة أرادا القيام بها. فجون يحبّ أفريقيا، وباسكال جنوب فرنسا، وغالباً ما يطلق جون تعليقات ملتهبة ضدّ والدة باسكال التي يكرهها. كما يدّعي بأنّه يكره فرنسا والفرنسيّين وكلّ ما يتعلّق بهم، لا سيّما حماته. فتجيب باسكال بمرح بتعليقات حادّة عن أمّه في بوسطن. ولكن بالرغم من اختلافاتهم ومزاياهم، لا شكّ في أنّ الأصدقاء الستّة كانوا مولعين ببعضهم، تربط بينهم عاطفة قويّة اختبرها الزمن، ويتطلّعون إلى لقاء بعضهم على الدوام. وأجمل ما في علاقتهم، أنّهم كلّما اجتمعوا ببعضهم، كانوا يمضون وقتاً ممتعاً.

قرع جرس الباب عند التاسعة وتسع وخمسين دقيقة تماماً، ولم يفاجأ إريك وديانا حين وجدا عنده آن وروبرت يبتسمان لهما. كانت آن مرتدية فستان سهرة أسود اللون عالي القبّة وأقراطاً صغيرة من اللؤلؤ، فيما رفعت شعرها الرماديّ على شكل كعكة، أمّا روبرت فكان يرتدي لباساً رسميّاً، وكان شعره الأبيض كالثلج مسرّحاً بعناية.

"مساء الخير"، قال روبرت وعيناه تلمعان، فيما أحنى طوله الفارع لتقبيل ديانا ثمّ تمنّى الأربعة لبعضهم عاماً سعيداً. سأل روبرت وقد بدا عليه القلق: "هل تأخّرنا؟" كان شديد الدقّة في مواعيده، تماماً مثل آن. وأضاف: "كان الازدحام شديداً". فهما يعيشان في إيست إيتيز، بينما سيأتي جون وباسكال من شقّتهما قرب لينكولن سنتر، في وست سايد. ولكنّ الله وحده يعلم متى سيصلان. كما أنّ بدء الثلوج بالتساقط زاد الأمر تعقيداً لأنّهما لن يتمكّنا من إيجاد سيّارة أجرة بسهولة.

خلعت آن معطفها وابتسمت لديانا. وبالرغم من أنّها لا تكبر ديانا إلاّ بستّ سنوات، إلاّ أنّها بدت وكأنّها والدتها. كانت عيناها البنّيّتان دافئتي النظرات، وشعرها الأشيب الفضّي مرفوعاً على رأسها. إنّها امرأة جميلة ولكنّها لم تهتمّ يوماً بمظهرها. ونظراً إلى بشرتها القشديّة النضرة، لم تكن تستعمل تقريباً مساحيق التجميل. كانت تفضّل إمضاء وقتها على الفنّ والمسرح والكتب الغامضة والموسيقى حين لا تكون مشغولة في مكتب المحاماة الذي تملكه العائلة. كانت من المدافعين عن حقوق الأطفال وقد خصّصت الكثير من الوقت في السنوات الأخيرة للمساهمة في برامج لمساعدة النساء اللواتي يتعرّضن لسوء المعاملة. ولكنّه عمل أحبّته وتلقّت عليه عديداً من الجوائز. فقد تشاركت هي وروبرت شغفهما بالمحاماة وبالدفاع عن الأطفال ومناهضة العنف، واشتهرا بمناصرة القضايا الليبرالية. ومع أنّ آن فكّرت طويلاً منذ سنوات في دخول معترك السياسة، وتلقّت تشجيعاً على ذلك، بيد أنّها قرّرت عدم دخول هذا المجال من أجل زوجها وأولادها. كانت تفضّل الحياة الخاصّة على الحياة العامّة، ولم يعجبها أن تكون محطّ الانتباه الذي سينصبّ عليها. فقدراتها المهنيّة الهامّة لم تسلبها تواضعها الشديد وكان روبرت فخوراً بها. إنّه واحد من أشدّ معجبيها.

جلست آن في غرفة الجلوس وجلس إريك قربها ثمّ وضع ذراعه حولها وقال: "إذاً، أين كنتما في الأسبوعين الفائتين؟ أشعر وكأنّ دهراً مضى على لقائنا الأخير". أمضى روبرت وآن الإجازة في فيرمونت، كالعادة، مع أولادهما وأحفادهما. كان لديهما ابنان متزوّجان وابنة واحدة أنهت مؤخّراً دراسة الحقوق. ولكن، حيثما كان روبرت وآن ومهما كانا يفعلان، فإنّهما يعودان دوماً لإمضاء ليلة رأس السنة مع أصدقائهما. ولم يفوّتا الحضور سوى مرّة واحدة، حين توفّي والد آن واضطرّت إلى الذهاب إلى شيكاغو للمكوث مع والدتها. ولكن في ما عدا ذلك، كان هذا اللقاء تقليداً سنويّاً بالنسبة إلى الأصدقاء الستّة.

شــرحت آن لإريــك مبتــسمة: "كنّا في شوغاربوش، نغيّر الحفاضات ونبحث عن القفّازات الضائعة".

كانــت تملك وجهاً لطيفاً وعينين ضاحكتين. يملك الزوجان خمسة أحفاد وكنّتــين طالمــا شعرت ديانا بأنّهما لا تعجبان آن، وإن كانت هذه الأخيرة لم تــصرّح يوماً بذلك. فالاثنتان لا تعملان، ولم توافق آن على مدّة تسامح ولديها معهمــا. كانت تعتقد بأنّ على المرأة أن تعمل هي أيضاً. لطالما اعتقدت ذلك. وقــد ســبق وأخبرت روبرت مراراً بأنّها تعتقد أنّ كنّتيها مدلّلتان. ابتسمت آن لصديقها القديم وسألته: "وكيف كانت عطلتكما؟" كان إريك لسنوات كأخٍ بالنسبة إليها.

"جميلة، فقد أمضينا وقتاً رائعاً مع كاثرين وسام. أحد أبناء كاثي اصطدم بشجرة، أو حاول ذلك على الأقلّ، والأصغر حشر حبّة فول سوداني في أنفه، فاضطررت لنقله إلى غرفة الطوارئ لإزالتها".

"يــبدو بــأنّ عطلتينا كانتا متشابهتين، فأحد أبناء جيف كسر ذراعه في مدرســة التــزلّج"، قالت آن بشيء من القلق والراحة لأنّها تركت الأولاد مع أهلهم. لقد تمتّعت بصحبة أحفادها ولكنّها أقرّت بأنهم أتعبوها، ووافقها روبرت علــى ذلــك. كان يحبّ أولاده وأحفاده ويستمتع بصحبتهم، ولكنّه يحبّ أيضاً إمضاء بعض الوقت وحده مع آن. فزواجهما كان عبارة عن حبّ هادئ ومتين استمرّ لسنوات طويلة. لقد كان مجنوناً بها.

"أتساءل أحياناً كيف اجتاز أولادنا طفولتهم أحياء"، قالت ديانا وهي تقدّم لآن كأســاً من الشراب وتجلس بقربها، فيما ارتشف روبرت شرابه وهو ينظر إلــى آن بإعجــاب. كــان قــد أخبرها كم تبدو جميلة وعانقها قبل مغادرتهما المنزل.

تــنهّدت آن وقالــت بابتسامة: "لا أدري، ولكنّني أعتقد بأنّ الأمور كانت أقــلّ تعقيداً حين كان أولادنا في سنّ الطفولة، أو ربّما كان السبب هو وجودي فــي المكــتب عندما كان الأولاد صغاراً". ابتسمت آن لروبرت. فبالرغم من

العائلــة وعملهمــا، إلاّ أنّهمــا خصّــصا دوماً وقتاً لبعضهما لإمضاء لحظات رومنسيّة. أضافت: "كلّ شيء يبدو اليوم أكثر إجهاداً، أو ربّما لم تعد أعصابي قادرة على احتمال وجود أولاد في الجوار كما كانت في الماضي، بالرغم من حبّــي لهــم. مع ذلك، من الجميل إمضاء سهرة متمدّنة مع أشخاص راشدين". ونظــرت إلــى آل موريــسون بسرور وهي تتابع قائلة: "فالضجيج في منزل شوغاربوش كان على وشك أن يصيب روبرت بالجنون". وقد اعترفا لبعضهما في السيارة بأنهما سعيدان للعودة إلى البيت.

"ســوف أســتمتع كثيــراً بــصحبة أحفادي حين أبدأ بفقدان قدرتي على الــسمع"، قال روبرت وهو يضع كوبه على الطاولة عندما رنّ جرس الباب. كانــت الــساعة قد قاربت الثامنة والنصف، وهو رقم قياسيّ في دقّة المواعيد بالنــسبة إلــى آل دونالــي، اللــذين يصلان متأخّرين عادة ويلقيان اللوم على بعــضهما، ويــصرّ كلّ منهما بعناد على أنّ الآخر هو المذنب. والليلة لم تكن مختلفة.

قــام إريك لفتح الباب فيما بقيت ديانا تتحدّث مع آل سميث، وبعد برهة، وصل صوت باسكال وجون إلى مسامعهم.

"أنا آسفة جدّاً"، قالت باسكال بلكنتها الإنكليزيّة الثقيلة. فبالرغم من إقامتها في نيويورك لثلاثين عاماً تقريباً وتحدّثها الإنكليزية بطلاقة، غير أنّها لم تتمكّن مــن التخلّص من لكنتها الفرنسيّة ولا حاولت ذلك. فما زالت تفضّل أن تتحدّث الفرنسيّة كلّما أمكنها ذلك، مع الناس الذين تلتقي بهم ومع الباعة والنادلين وعدّة مــرّات فــي الأســبوع على الهاتف مع والدتها. يدّعي جون بأنّهما تمضيان ساعات في التحدّث بالهاتف. وبالرغم من زواجهما الذي امتدّ على مدى خمسة وعــشرين عاماً، إلاّ أنّه رفض تعلّم الفرنسيّة، وإن كان قد التقط بضع كلمات من هنا وهناك، ويستطيع قول "*Merde*" (اللعنة) بلكنة معقولة جدّاً. "لقد رفض جون رفضاً قاطعاً ركوب سيارة أجرة!" قالت باسكال غير مصدّقة فيما تناول مــنها إريــك معطفهــا بابتسامة مألوفة. كان يحبّ قصصهما. وتابعت قائلة:

"وأجبرني على ركوب الباص إلى هنا! هل تتخيّل؟ في ليلة رأس السنة، وبملابس السهرة!" بدت غاضبة وهي تزيح خصلة من شعرها الداكن المجعّد عن عينيها، فيما عقصت باقي شعرها في كعكة مشدودة عند مؤخّرة رأسها، تماماً كما كانت تسرّحه وهي ترقص. وبالرغم من أعوامها السبعة والأربعين، ما زالت شديدة الجاذبيّة. كانت قصيرة القامة، رقيقة وجميلة، وكانت عيناها الخضراوان متوهّجتين وهي تروي قصّتها المؤسفة لإريك.

قال جون مدافعاً عن نفسه: "أنا لم أرفض ركوب سيارة أجرة، الواقع أنّنا ما كنّا لنعثر على سيّارة!".

أجابت والشرر يتطاير من عينيها وهي تحدّق بزوجها: "آه، هذا مضحك! أنت لم ترغب بدفع أجرة السيّارة!" كان جون مشهوراً ببخله الشديد بين معارفه. ولكن مع الثلج المتساقط بلا توقّف، كان ممكناً، في هذا الظرف على الأقلّ، ألاّ يتمكّنان من إيجاد سيّارة أجرة. ولأول مرّة بدا جون غير مكترث بهجوم زوجته، بينما كانا متوجهين إلى غرفة الجلوس مع إريك للانضمام إلى الآخرين. كان جون في مزاج رائع وهو يحيّي أصدقاءه.

قال بهدوء: "نحن آسفان على التأخير". كان معتاداً على نوبات الغضب الملتهبة التي تصيب زوجته وهي لا ترعبه عموماً. فزوجته فرنسيّة، تستاء بسهولة وتثور كثيراً. أمّا جون، فهو أكثر هدوءاً بكثير، في البداية على الأقلّ، لأنّه يستغرق وقتاً أطول ليتجاوب وينفعل. كان قصيراً، ممتلئ الجسم، وقويّاً، فلقد كان يلعب الهوكي على الجليد في هارفرد. وكان يشكّل هو وباسكال ثنائيّاً مثيراً للاهتمام بسبب تناقضهما. هي رقيقة، قصيرة القامة، وهو قويّ، ضخم، عريض المنكبين. وقد علّق الجميع لسنوات على مدى شبههما بكاثرين هيبورن وسبينسر ترايسي. "عام سعيد"، قال جون بابتسامة عريضة وهو يتناول كأساً من الشراب من ديانا، فيما سلّمت باسكال على إريك ومن ثمّ على آن وروبرت قبل أن تحتضنها ديانا وتخبرها كم تبدو جميلة. فباسكال جميلة دوماً بملامحها الفرنسيّة الرقيقة.

بادرتهم بالفرنسيّة: "إذاً أيّها الأصحاب، كيف كان العيد؟" ثمّ تطوّعت لإخبارهم من دون توقّف: "بالنسبة إلينا كان رهيباً. فجون لم تعجبه البذلة التي أهديته إيّاها، وهو أهداني فرناً، هل تتخيّلون! فرناً! لمَ لم يهدني جزّازة عشب أو جرّاراً!" بدت غاضبة فيما ضحك الجميع، وسارع زوجها للإجابة دفاعاً عن نفسه.

"لن أشتري لك أيّ نوع من العربات باسكال، فأنت سائقة سيّئة للغاية!" ولكنّه قالها، هذه المرّة على الأقلّ بمزاج جيّد.

أجابته وهي ترتشف شرابها: "أنا أفضل منك بكثير في القيادة وأنت تعلم ذلك. حتّى أنّك تخشى القيادة في باريس".

"أنا لا أخشى أيّ شيء في باريس، ما عدا أمّك". نظرت إلى الأعلى بسأم ثمّ حولت انتباهها إلى روبرت الذي لطالما استمتع في الحديث معها. فلقد كان شغوفاً بالباليه الكلاسيكي، شأنه شأن آن، فضلاً عن الأعمال المسرحيّة الجيّدة. ولذا كان يتحدّث مع باسكال عن الباليه لساعات أحياناً. كما أنّه يستمتع بالتحدث معها بفرنسيّته السيّئة، ممّا يسعد باسكال كثيراً.

أمضى الأصدقاء وقتاً لطيفاً وهم يشربون العصير ويتحدّثون ويضحكون، إلى أن حان موعد العشاء. واعترف جون أخيراً بأنّه كان سعيداً لركوب الباص وتوفير أجرة سيّارة التاكسي، وضايقه الجميع حول ذلك. كان معروفاً بينهم بكرهه إنفاق المال وكانوا يحبّون مضايقته بذلك. ومع أنّه شكّل هدفاً لنكاتهم التي لا تنتهي، إلاّ أنّه أحبّهم جميعاً.

تحدّث إريك وآن عن التزلّج في شوغاربوش، وعبّرت ديانا عن مدى رغبتها بالعودة إلى آسبين. فيما تكلّم روبرت وباسكال عن افتتاح الباليه. كما تحدّثت ديانا مع جون عن الوضع الاقتصاديّ وسوق البورصة وبعض استثمارات آل موريسون. فجون هو صاحب مصرف لتوظيف الأموال ويحبّ التحدّث عن الأعمال مع كلّ من يتيح له مجالاً لذلك. لطالما كانت اهتمامات المجموعة متناغمة، وينتقلون بسهولة من المواضيع الجادّة إلى المواضع

الخفيفة. وحين دعتهم ديانا إلى قاعة الطعام، ذكرت آن لإريك بأنّ زوجة ابنها الأكبر سوف تنجب طفلاً آخر سيكون حفيدها السادس.

"على الأقلّ لن أتلقّى يوماً صدمة سماع شخص يناديني جدّتي"، قالت باسكال بخفّة. ولكنّ الجميع يعرفون بأنّ حزن باسكال لذلك يفوق ما يوحي به تعليقها الساخر. فجميعهم يذكرون السنوات الستّ التي أخبرتهم فيها بانتظام عن العلاجات المكثّفة التي خضعت لها، والأدوية التي تناولتها، فضلاً عن الحقن التي كان يعطيها لها جون عدّة مرّات في اليوم، وفشلها المستمرّ مع ذلك في الحمل. ومع أنّ المجموعة قدّمت دعمها الصادق للزوجين خلال تلك الفترة، ولكن من دون جدوى. لقد مرّوا خلالها بوقت عصيب وخافوا من أن يكلّف ذلك جون وباسكال زواجهما، ولكن لحسن الحظّ، ظلّ رباطهما قائماً.

غير أنّ المأساة الحقيقيّة بالنسبة إلى باسكال حلّت حين رفض جون رفضاً قاطعاً تبنّي طفل. فقد رأت باسكال في ذلك ضياع فرصتها الأخيرة في الحصول على طفل، وهو كل ما كانت تحلم به في تلك الفترة على الأقلّ. وفي السنوات الأخيرة صارت تدّعي بأنّها لم تعد تفكّر في الأمر. ولكنّها ما زالت تبدو كئيبة في بعض الأحيان عندما يتحدّث الآخرون عن أولادهم. حتّى أنّ إريك حاول التحدّث مع جون لإقناعه بالتبنّي، ولكنّه كان شديد التصلّب في رأيه. فطبع جون العنيد جعله يرفض أخذ هذا الخيار بعين الاعتبار مهما كان يعني بالنسبة إلى باسكال. لم يكن يرغب بأن يربّي أو يدعم أو حتّى بأن يحاول أن يحبّ طفلاً ينتمي إلى شخص آخر. كان شديد الوضوح بالنسبة إلى عدم قدرته على ذلك، حتّى لأجلها. وشعر الآخرون في المجموعة بالأسف العميق لأجلهما.

غير أنّهم لم يتحدّثوا عن ذلك الآن وهم ينتقلون للجلوس إلى طاولة العشاء الأنيقة. فقد كانت ديانا الأفضل بينهم في ترتيب طاولات العشاء وتنسيق أجمل باقات الأزهار. والليلة مزجت أزهار طائر الفردوس مع المراكبيّة،

ووزّعت على الطاولة أجراساً فضيّة صغيرة وشمعدانات فضيّة أنيقة مع شموع بيضاء طويلة. أمّا غطاء الطاولة المطرّز الذي ورثته عن والدتها فكان رائعاً. لقد بدت طاولة العشاء في غاية الفخامة.

"أنت مدهشة حقاً"، قالت آن بإعجاب وهي تنظر إلى ديانا التي كانت تقف بقربها ولا تقلّ أناقة عن الطاولة التي أعدّتها. كانت ترتدي ثوباً من الساتان الأبيض بنفس لون شعرها، أظهر ملامحها الشابّة، وتتمتّع – على غرار باسكال تقريباً – بقامة رشيقة، ولكن ليس بقدر باسكال التي ترقص لست ساعات يومياً مع تلامذتها. أمّا آن فكانت أقلّ حظاً من صديقتيها. فبالرغم من جاذبيتها، إلاّ أنّها كانت أعرض وأطول قامة منهما، وكانت تتذمّر من وقت إلى آخر من أنّهما تجعلانها تشعر بأنّها امرأة أمازونيّة مقارنة بهما. ولكنّ هذا الأمر لا يزعجها حقّاً، فلقد كانت رائعة، ومرحة، وواثقة من نفسها، وكان حبّ روبرت لها واضحاً حتى بالنسبة إليها. ولطالما أخبرها على مرّ السنوات بأنّها أجمل امرأة وقعت عليها عيناه، وكان يعني ذلك.

وضع إريك ذراعه حول ديانا وعانقها قبل أنّ يجلسا إلى طاولة العشاء، ثمّ شكرها على العمل الذي قامت به. عندها، رمقت باسكال جون عبر الطاولة وقالت معنّفة: "لو شكرتني بهذه الطريقة، لأصبت بنوبة قلبيّة من جرّاء الصدمة. أنت لا تقبّلني أبداً ولا تشكرني على أي شيء!" ولكن على الرغم من شكواها المستمرّة، إلاّ أنّ نبرتها لم تكن تحمل أيّ مكر.

ابتسم جون لها ابتسامة عريضة من مقعده قائلاً: "شكراً لك عزيزتي على جميع وجبات العشاء المثلّجة الرائعة التي تتركينها لي". وضحك بتهذيب وهو يقول ذلك. فغالباً ما كانت باسكال تذهب إلى صفّ الرقص ليلاً بعد التدريس طيلة النهار فلا يتسنّى لها الوقت لتحضير العشاء لزوجها.

"كيف تقول ذلك؟ الأسبوع الماضي تركت لك اللازانيا ومنذ يومين الدجاج بالأرزّ... أنت لا تستحقّهما!!".

أجابها ساخراً: "أنت محقّة. فضلاً عن أنّني أمهر منك في الطهو".

أجابت بينما توهّج الغضب في عينيها الخضراوين: "أنت وحش! وأنا لن أستقلّ الباص للعودة إلى البيت. سوف آخذ سيّارة الأجرة بنفسي يا جون دونالي ولن أسمح لك بمرافقتي!" بدت فرنسيّة على نحو لا يصدّق. كان زواجهما عبارة عن مزيج من الانفعالات الملتهبة.

"كنت أتمنّى أن تقولي ذلك"، قال لها ذلك، ثمّ ابتسم لديانا وهي تقدّم لهم الطبق الأوّل المؤلّف من المحار الصغير. كان الستّة شغوفين بثمار البحر. فأعدّت لهم السرطان البارد كطبق رئيسي، ومن ثمّ السلطة والجبن، مراعاةً لباسكال التي لا تطيق أكل السلطة أوّلاً وتقول دوماً بأنّها تشعر وكأنّها خدعت إن لم يكن ثمّة جبن بعد الطبق الرئيسي. كما أعدّت ألاسكا مشوية للتحلية، وهي من الأطباق المفضّلة لدى إريك ويحبّها الآخرون أيضاً. لقد كانت وجبة شهية وممتعة بالنسبة إلى الجميع.

"يا إلهي، نحن نأكل جيداً عندكم"، علّق جون قائلاً بإعجاب فيما خرجت ديانا من المطبخ حاملة طبق الحلوى الساخن. "باسكال؟ لم لا تتعلّمين بعضاً من وصفات ديانا عوضاً عن كلّ تلك الأمعاء والأحشاء والأدمغة والكلى والنقانق الدامية التي تطعمينني إيّاها؟".

أجابت باسكال بصدق: "لن تسمح لي بإنفاق المال لو فعلت. أضف إلى أنّك تحبّ الأدمغة والكلى".

"لقد كذبت. أفضّل أكل السرطان"، أجاب مبتسماً لمضيفته، بينما أخذ روبرت يقهقه. كان شجار ومزاح الزوجين المستمرّ يشعره بالتسلية إلى حدّ ما، حتّى بعد خمس وعشرين سنة من الاستماع إليه. فقد بدا الأمر بالنسبة إلى الجميع غير مؤذ. كانت زيجاتهم متينة وشركاؤهم أوفياء يمكن الاعتماد عليهم، وعلاقاتهم متناغمة إلى حدّ بعيد، في عالم يفتقد بحدّ ذاته إلى الانسجام. وكانوا يدركون جميعهم بأنّهم محظوظون، ليس بشركائهم فحسب، بل وبرباط الصداقة الذي يجمع بينهم. كان روبرت يدعوهم بالفرسان الستّة، فبالرغم من اهتماماتهم المتنوّعة والمختلفة أحياناً، إلاّ أنّهم كانوا يستمتعون بالوقت الذي يمضونه معاً.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة حين علّقت آن بأنّ جون وإريك قد بلغا الستين تلك السنة، وبأنّها لم تعد تشعر بأنّها كبيرة جدّاً، لكونها تكبرهما بعام واحد، وقد استاءت من بلوغها الستين في العام الفائت.

"يجب أن نفعل شيئاً للاحتفال بذلك"، قالت ديانا وهم يجلسون لشرب القهوة فيما أشعل جون سيجاراً، لأنّ أحداً من الباقين لم يمانع. كان ذلك من الأمور التي تشاركه بها باسكال، فلقد كانت تدخّن معه سيجاراً من وقت إلى آخر. فتدخين السيجار أصبح دارجاً بين النساء في السنوات الأخيرة، ولكنّ باسكال كانت تدخّنه دوماً، منذ أن تزوّجت. مع أنّه بدا متنافراً مع مظهرها الرقيق.

سأل إريك زوجته بابتسامة: "وماذا تقترحين للاحتفال ببلوغنا الستين؟ إجراء جراحات شدّ للوجه لنا جميعاً؟ للرجال على الأقلّ، فأنتنّ لستنّ بحاجة إلى ذلك"، أضاف وهو ينظر إلى زوجته بإعجاب. لقد كان ذاك هو السرّ الوحيد الذي لم تشارك به أصدقاءها، كونها أجرت جراحة شدّ لعينيها بناءً على اقتراح إريك. وهو الذي اختار لها الجرّاح. ثمّ قال: "أعتقد بأنّ جون سيبدو رائعاً مع بعض التحسينات". والواقع أنّه كان يملك بعض التجاعيد والخطوط، ولكنّها بدت متلائمة مع شكله. فقد كان يمتاز بمظهر رجولي مناسب لشخصيّته.

"من الأفضل له أن يجري شفطاً للدهون"، قالت باسكال وهي تنظر إلى زوجها من خلال الدخان المتصاعد من سيجاره، ولم يبدُ عليه الانزعاج من تعليقها.

بل اتهمها قائلاً: "إنّ النقانق الدامية التي تطعمينني إياها هي المسؤولة عن دهوني".

فتحدّته قائلة: "وماذا لو توقّفت عن إعدادها لك؟".

أجابها مبتسماً: "لكنت قتلتك"، ثمّ ناولها السيجار لتأخذ منه نفساً، وهذا ما فعلته بنظرة ملؤها اللذّة. فبالرغم من مضايقتهما لبعضهما البعض ومزاحهما إلاّ أنّها وجون يعجبان بعضهما فعلاً.

أصرّت ديانا قائلة: "أنا جادّة". كانت نصف ساعة لا تزال تفصلهما عن منتصف الليل. "علينا أن نحتفل ببلوغ أزواجنا سنّ الرشد". كانت هي وباسكال الوحيدتين اللتين لن تبلغا تلك السنّ قبل بضع سنوات، بالرغم من أنّ ديانا كانت أقرب إليها من باسكال ولم تكن تتطلّع لبلوغها. "لم لا نقوم برحلة أخرى معاً؟".

سألها روبرت بنظرة من الاهتمام: "إلى أين تقترحين الذهاب؟" فحين يتمكّنان هو وآن من الابتعاد عن حياتهما المهنية المتطلّبة، كانا يستمتعان بالسفر إلى الأماكن الاستوائيّة. ولقد ذهبا في الصيف الماضي إلى بالي وإندونيسيا. كانت رحلة لا تنسى.

"ما رأيكم برحلة إلى كينيا؟" سأل جون بنظرة مفعمة بالأمل، بينما رمقته باسكال باشمئزاز. فقد رافقته إلى بوتسوانا قبل عدّة سنوات، إلى محمية حيوانات نظّمت فيها مباراة للصيد، وكرهت كلّ لحظة من تلك الرحلة. كان المكان الوحيد الذي ترغب دائماً بزيارته هو باريس، لرؤية أصدقائها وأقاربها، ولكنّ جون لا يعتبر السفر إلى هناك إجازة. فالسكن مع عائلتها ومرافقتها لزيارة أقاربها يقودانه إلى الجنون، خاصّة وأنّها لا تتوقّف عن الثرثرة معهم بالفرنسية، من دون أن يفهم شيئاً ممّا يقولون أو يرغب بأن يفهم. كان يعشق باسكال، أمّا أقاربها فهم إمّا يزعجونه أو يشعرونه بالملل.

"أنا أكره أفريقيا والحشرات والأوساخ. لم لا نذهب جميعاً إلى باريس؟" سألت باسكال بنظرة مفعمة بالبهجة. كانت تحب باريس بقدر ما كان جون يكرهها.

"يا لها من فكرة عظيمة"، أجابها وهو يدخّن سيجاره من جديد بعدما أشعله ثانية. "ولنقم جميعاً عند أمّك. أنا أكيد من أنّها ستحبّ ذلك. ويمكننا أن نقف جميعاً في الصفّ لساعتين من الزمن ونحن ننتظر جدّتك حتّى تغادر الحمّام". فعلى غرار معظم الشقق الفرنسية، لم يكن في بيتهم سوى حمّام واحد. وكانت جدّة باسكال البالغة اثنين وتسعين عاماً تعيش في تلك الشقّة مع خالتها

الأرملة وأمّها. كان جوّ المنزل يقود جون إلى الجنون وإلى كثير من التدخين كلّما أقاما هناك.

احتجّت باسكال قائلة: "لا تكن فظّاً في الحديث عن جدتي. كما أنّ أمّك بغيضة أكثر من أمّي"، وبدت فرنسية جدّاً ومهانة إلى حدّ بعيد.

"على الأقل، أمي تتحدث الإنكليزية".

عندها تطوّعت ديانا قائلة: "ولن ترغبا بالإقامة مع أمّي كذلك"، وضحك الباقون. فجميعهم قابلوا والدَي ديانا عدّة مرّات. وبالرغم من أنّ والدها هو رجل لطيف، إلاّ أنّ ديانا لم تخف عنهم بأنّ أمّها الشديدة التنظيم والمسيطرة إلى حدّ كبير كانت تقودها دوماً إلى الجنون. "فلنفكّر جدّيّاً، إلى أين يمكننا الذهاب معاً؟ ماذا عن جزر الكاريبي؟ أو إلى مكان مختلف فعلاً هذه المرة؟ مثل بيونس آيريس أو الريو؟".

قالت آن بنظرة قلقة: "الجميع يقولون بأنّ الريو هي مدينة غير آمنة. فقد زارتها ابنة عمّي في العام الماضي وسرقت منها حقيبة يدها وأمتعتها وجواز سفرها. وقالت بأنّها لن تعود إلى هناك ثانية. ماذا عن المكسيك؟".

"أو اليابان أو الصين"، اقترح روبرت وهو يحاول إقناعهم بالفكرة. كان يحب السفر مع الباقين وكان مولعاً جدّاً بآسيا. "أو هونغ كونغ، بحيث يمكن للنساء أن يخرجن للتسوّق".

"ما المشكلة في فرنسا؟" حاولت باسكال مجدّداً، وضحك الباقون حين ادّعى جون بأنّه يسقط عن كرسيّه من شدّة اليأس. كانا يذهبان إلى هناك كلّ صيف. "أنا جادّة. لمَ لا نستأجر منزلاً في جنوب فرنسا؟ إيكسان بروفانس أو أنتيب أو إيز... أو ماذا عن سان تروبيز؟ إنّه مكان رائع". اعترض جون على الفور، ولكنّ ديانا بدت مأخوذة بالفكرة.

"في الواقع، لم لا؟ قد يكون من الممتع استئجار منزل، وربّما تمكّن أحد معارف باسكال من أن يعثر لنا على منزل جيّد. وربّما وجدنا الأمر ممتعاً أكثر من السفر إلى بلد استوائي. فأنا وإريك نتدبّر أمرنا مع الفرنسية، وأن

تتقنها جيداً، وكذلك روبرت. فيما يمكن لباسكال تولّي الأمور الصعبة. ما رأيكم أيها الشباب؟".

بدت آن مستغرقة في التفكير قبل أن توافق بهزّة من رأسها. "في الحقيقة، تعجبني الفكرة. فقد ذهبنا أنا وروبرت إلى سان تروبيز مع الأولاد منذ عشر سنوات، واستمتعنا كثيراً. إنّه مكان جميل، قريب من البحر، والطعام ممتاز، كما أنّها منطقة تضجّ بالحياة". وبالرغم من وجود الأولاد، أمضت هي وروبرت أسبوعاً رومنسيّاً.

"يمكننا أن نؤجّر منزلاً هناك لشهر آب"، قالت ديانا ثمّ وعدت جون بنظرة جادّة: "ولن نسمح لوالدة باسكال بالاقتراب منه يا جون".

"في الواقع قد نكون محظوظين. فهي تقصد إيطاليا كلّ سنة في شهر آب".

"أرأيت، ستكون إجازة رائعة. ما رأيكم جميعاً؟" سألتهم ديانا وهي تصرّ على المشروع، حتّى روبرت كان موافقاً. كانت سان تروبيز مكاناً جميلاً، متمدّناً وممتعاً. وسيكون بمقدورهم استئجار زورق وزيارة أماكن أخرى على الريفييرا.

قال روبرت موافقاً: "تعجبني الفكرة"، وأيّده إريك قائلاً بجديّة: "أصوّت لسان تروبيز إن أمكننا إيجاد منزل ملائم. ما رأيك باسكال؟ هل يمكنك تولّي هذا الجزء من المشروع؟".

"ما من مشكلة. أعرف سماسرة عقارات ممتازين في فرنسا. وإن تمكّنت أمي من ترك جدّتي، تستطيع أن تبحث لنا عن منزل مناسب".

"كلاّ"، قاطعها جون على نحو حاسم، "دعي أمّك خارج الموضوع. ستختار لنا منزلاً لا يعجبنا. تعاملي فقط مع السمسار". ولكنّه لم يعترض على المكان، بالرغم من أنّه اعتاد على تسميته بأرض الضفادع.

"لدينا إجماع إذاً؟" سألتهم ديانا وهي تنظر إليهم حول الطاولة، فهزّ الجميع رؤوسهم موافقين. "اتّفقنا إذاً على الذهاب إلى سان تروبيز في آب".

ابتسمت باسكال فيما قالت ديانا ذلك. فما من شيء أكثر إمتاعا بالنسبة إليها من قضاء أسبوع في جنوب فرنسا مع أصدقائها المقرّبين، وحتّى جون بدا مستسلماً نوعاً ما للفكرة حين أعلن إريك حلول منتصف الليل.

"كلّ عام وأنت بخير حبيبتي"، قال إريك وهو يعانق زوجته، فيما انحنى روبرت نحو آن وقبّلها بتحفّظ على شفتيها وأحاطها بذراعيه وهو يتمنّى لها الخير في السنة المقبلة، والتفّت باسكال حول الطاولة لتقبيل زوجها. كان محاطاً بسحابة من دخان سيجاره ولم تنزعج من طعمه وهو يعانقها بشيء من الشغف يفوق ما توقّعته. فبالرغم من معاركهما والضجيج الذي يسبّبانه، إلاّ أنّ زواجهما لم يكن أقلّ صلابة من زواج الباقين، لا بل يعتبر أكثر متانة نوعاً ما لأنّ كلاًّ منهما لم يكن يملك سوى الآخر، وما من أولاد لإلهائهما.

قالت باسكال وهي ترفع رأسها لتنشّق الهواء: "لا يمكنني الانتظار حتّى الصيف القادم للذهاب إلى سان تروبيز، ستكون رحلة خيالية".

أجابها جون بفظاظة: "إن لم تكن كذلك سوف نقتلك باسكال، بما أنّها فكرتك أنت. احرصي وحسب على إيجاد منزل ملائم. لا نريد الوقوع في أحد الأفخاخ التي يوهمون بها السوّاح الغافلين".

"سوف أعثر لكم على أفضل منزل في سان تروبيز، أعدكم بذلك"، قالت باسكال لهم وهي تتناول سيجار جون ثانية وتأخذ منه نفساً وهي جالسة على ركبتيه. وتحدّث الجميع بحماس عن خططهم. ولم يتّفقوا بسهولة سوى على أمر واحد، وهو أنّ ذاك الصيف سيكون رائعاً. كانت تلك الفكرة بداية مثالية للعام الجديد.

2

بعـــد أسبوعين، اجتمعوا مرّةً ثانية في شقّة باسكال وجون الكائنة في وست ســـايد، فـــي ليلة انهمر فيها المطر بغزارة. وصل آل موريسون وآل سميث في الـــوقت المحدّد، كالعادة، وعلّقوا معاطفهم ومظلاّتهم المبلّلة في الردهة. كان منزل آل دونالـــي منـــسقاً علـــى نحو انتقائيّ. إذ احتوى على أقنعة أفريقيّة، ومنحوتات حديـــثة، وقطـــع أثاث قديمة أحضرتها معها باسكال من فرنسا، وسجادات عجميّة جميلة. كما كان لديها أشياء ساحرة ابتاعتها في أسفارها مع فرق الباليه.

كانـــت الأضواء خافتة، فيما انبعثت من المطبخ رائحة زكيّة. فقد أعدّت باســـكال حـــساء الفطـــر وأرنباً بصلصة الخردل كطبق رئيسي. واهتمّ جون بالمشروبات.

"الرائحة شهيّة!" قالت آن وهي تدفّئ يديها أمام الموقد الذي أشعله جون، فيما مرّت باسكال حاملة طبقاً من المقبّلات.

إلاّ أنّ جون حذّرها وهو يصبّ لها كأساً من العصير: "لا تصدّقي كلّ ما تشمّينه!" أضاف وهو يغمزها محذّراً: "أنت تعرفين من أعدّ العشاء!".

"كفـــاك ســـخرية!" نهرته باسكال وهي ترمقه قبل أن تختفي في المطبخ للـــتحقّق مـــن العشاء من جديد. ولكنّها حين عادت لتجلس معهم على الأرائك المخملية الحمراء الداكنة في غرفة الجلوس أخبرتهم بأنّ لديها أخباراً سارّة لهم جميعاً. كان الجدار الذي يعلو الموقد مزيّناً بلوحة جذّابة، فيما توزّعت الشموع فـــي كـــلّ مكان، وعلّقت على أحد الجدران عشرات الصور لباسكال مع فرقة بالـــيه نـــيويورك. كانـــت الغرفة تنبئ بصدق عن شخصيّتيهما والأماكن التي

زاراها والحياة التي عاشاها معاً. وكان جوّ الغرفة فرنسيّاً بحتاً. حتّى أنّ علبة من سجائر غولواز كانت ملقاة على الطاولة، إذ كانت باسكال تدخّن منها من وقت إلى آخر بينما كان جون يدخّن سيجاره.

"إذاً ماذا لديك؟" سألتها ديانا وهي تسند ظهرها على الأريكة. كانت ترتدي بذلة سوداء مؤلّفة من سترة وبنطال، وترتشف العصير. وكانت قد أمضت يوماً شاقّاً في العمل وهي تنظّم حفلة أخرى لجمع التبرّعات في سلونكيتيرينغ. أمّا إريك، فأمضى ثلاث ليالٍ متتالية في غرفة التوليد. بدت المجموعة كلّها أكثر هدوءاً ومتعبة بعض الشيء.

"وجدت منزلاً!" أخبرتهم باسكال بسرور، ثمّ توجّهت إلى المكتب القديم الجذّاب الذي عثرت عليه هي وجون في لندن منذ سنوات، وعادت بمغلّف سميك أخرجت منه رزمة من الصور التي عرضتها على رفاقها. "ها هو! هذا ما نريد بالضبط". امتنع جون عن التعليق، فقد سبق له أن رأى الصور، ومع أنّ السعر لم يعجبه، إلاّ أنه أقرّ بأنّه أحبّ المنزل. كان عبارة عن فيلاّ قديمة، أنيقة وبحالة جيدة، تحيط بها حدائق جميلة. كانت تطلّ على البحر مباشرة، وكان ثمّة رصيف صغير وقارب صغير جميل الشكل معها، سيكون مصدر تسلية لهم، لاسيّما إريك وروبرت وآن، البحّارة الثلاثة في المجموعة. كما أظهرت صور غرف المنزل غرفة معيشة جميلة مؤثّثة بمفروشات ذات طابع فرنسي ريفيّ، وخمس غرف كبيرة مفروشة بشكل جميل، وقاعة عشاء كبيرة تتّسع لأكثر من عشرين شخصاً. أمّا المطبخ فبدا في غاية النظافة، ومع أنّه قديم الطراز بعض الشيء، إلاّ أنّه بدا مريحاً وساحراً. والأفضل من ذلك كلّه هو وجود خادمة، وبستاني لا مانع لديه من تأدية وظيفة سائق. كانت باسكال محقّة، لذا وافق الجميع، إذ بدا المنزل مثاليّاً. كان اسمه في الواقع " Coup de Foudre"، أي "الحبّ من النظرة الأولى". وكان خالياً طيلة شهر آب، ولكن نظراً إلى كون المنزل مرغوباً لدى السياح، كان من المنطقي أن يرغب أصحابه بمعرفة قرارهم على الفور.

"آه، يبدو رائعاً باسكال"، قالت ديانا بسرور وهي تتأمّل الصور مرّة أخرى. "حتّى أنّه يحتوي على غرفتين للضيوف، إن رغبنا بدعوة أصدقاء أو بعض أولادنا. كما أنّني أحبّ فكرة الخادمة. فأنا لا أمانع بالطهو، ولكنّني أكره التنظيف بعده".

قالت باسكال وقد بدت في غاية السعادة لأنّه أعجبهم: "هذا بالضبط ما فكّرت فيه". ثمّ أقرّت بتردّد: "صحيح أنّ إيجاره باهظ بعض الشيء، ولكن عند توزيعه على ثلاثة، لن يكون بهذا السوء". نظر جون إلى الأعلى معترضاً، ولكنّه أقرّ مع ذلك بأنّ السعر لم يكن يتجاوز المعقول. فهو ينوي استعمال الأميال الجوية المجانية لتغطية كلفة السفر جوّاً، وإن قامت الفتيات بإعداد معظم الوجبات بأنفسهنّ، ولم يقصدوا المطاعم الفخمة كلّ ليلة، يبدو السعر معقولاً تقريباً بالنسبة إليه.

"هل تعتقدين بأنّه بحالة جيدة فعلاً كما يبدو في الصور؟" سألها روبرت بحذر وهو يتناول بعضاً من المقبّلات التي أعدّتها باسكال. الحقيقة أنّ مواهبها في الطبخ أفضل بكثير ممّا يدّعيه جون. فقد التهم المدعوّون معظم قطع الكانابيه الصغيرة الجميلة، كما أنّ الرائحة المنبعثة من المطبخ كانت شهيّة.

"ولكن ما الذي سيدفعهم إلى الكذب علينا؟" سألته باسكال متعجّبة. فقد طرح عليها جون السؤال نفسه. وأضافت: "السمسار الذي استخدمته لإيجاده ذائع الصيت. ويمكنني إذا رغبتم أن أطلب من أمّي الذهاب إلى هناك بالطائرة لرؤية المنزل".

بدا جون مذعوراً وهو يجيبها: "كلاّ، بالله عليك! لا تسمحي لأمّك بأن تتدخّل في هذا الموضوع. سوف تقول لهم بأنّني مصرفي أميركي غنيّ، فيضاعفون السعر". بدا وكأنّه يحتضر لمجرّد التفكير في الأمر، ممّا أثار ضحك الباقين.

قالت آن بتعقّل: "برأيي يبدو المنزل ممتازاً تماماً". كانت متحمّسة للمشروع منذ البداية. "أعتقد بأنّه علينا أن نأخذه قبل أن يسلبنا إيّاه شخص

آخر. وحتّى وإن تبيّن لاحقاً بأنّه أقلّ كمالاً ممّا يبدو عليه، ما المشكلة في ذلك؟ قــضاء شهر في فيلا في جنوب فرنسا لن يكون بهذا السوء. أقترح أن نرسل لهــم رســالة بالفاكس الليلة لإخبارهم بأنّنا نريدها"، قالت بصوت حاسم وهي تبتسم بدفء لباسكال. وأضافت: "أحسنت عملاً!".

قالت باسكال بسرور: "شكراً". كانت سعيدة لفكرة قضاء شهر إضافي في فرنسا. فهي تقيم دائماً عند عائلتها في باريس معظم شهر حزيران وطيلة شهر تمّوز. ولكن في هذه السنة، تستطيع قضاء شهر آب أيضاً.

قــال روبــرت بــدون تــردّد: "أنا أوافق آن. كما تعجبني فكرة الغرف الإضــافيّة. فأولادنــا سيــسرّون للمجيء وقضاء بضعة أيام، هذا إن لم يمانع الباقون".

"أنــا أكــيد بأنّ الأمر نفسه ينطبق على أولادنا"، قال إريك وهزّت ديانا رأسها مؤيّدة.

"لا أعلــم إن كان زوج كاثرين سيتمكّن من المجيء، ولكنّني أعلم بأنّها ستحبّ المجيء مع الصبيان، كما أنّ سامانتا مولعة بفرنسا".

"وأنا أيضاً"، قالت آن مبتسمة. "إذاً، هل أنتم موافقون؟ هل نستقرّ عليها؟" حسبوا بسرعة كم سيتكلّف كلّ زوجين، ومع أنّ جون زعم إصابته بنوبة قلبيّة حين حوّلوا المبلغ إلى دولارات، إلاّ أنّهم وافقوا في النهاية على أنّه سعر عادل بالنسبة إلى منزل بهذا الحجم وهذه الحالة الجيّدة.

قــال روبــرت بسرور: "اتّفقنا إذاً". كان يعلم بأنّه يستطيع ترتيب أموره لأخــذ إجــازة في ذلك الشهر، وكان يريد لآن أن تأخذ إجازة هي أيضاً. فهي تبدو متعبة جدّاً حتّى أنّها أقرّت بأنّها تجهد نفسها في العمل. لا بل إنّ روبرت نــصحها مؤخّــراً بــأن تتقاعد. فالحياة قصيرة جدّاً لنمضي كلّ النهار إمّا في المكتب أو في قاعة المحكمة أو في إعداد القضايا للمحاكمة. صحيح أنّها تحبّ عملهــا، إلاّ أنّــه مــصدر إجهاد كبير بالنسبة لها كما أنّ زبائنها يطلبون منها الكثيــر. كانــت تعمل ليلاً وفي بعض عطل نهاية الأسبوع، وبالرغم من أنّها

تعــشق المحاماة، إلاّ أنّ روبرت بدأ يعتقد بأنّ الوقت قد حان لتبطئ من وتيرة عملهــا. فلقــد كان يرغب بإمضاء مزيد من الوقت معها. "ولكن هل ستأخذين إجازة طيلة الشهر؟" سأل زوجته بحدّة بينما كانت باسكال تدعوهم إلى العشاء، فهــزّت آن رأســها ولمعت عيناها فرحاً. "هل تعنين ذلك حقّاً؟ سوف أطالبك بتنفيذ وعدك كما تعلمين"، قال وهو يدنيها منه ويقبّلها. كان متشوّقاً فعلاً للوقت الــذي سيمضيه معها في فرنسا. ففي السنتين الماضيتين قطعت عطلاتهما من أجل العودة إلى المكتب ومعالجة حالات طارئة مع زبائنها.

"أعدك بالبقاء طيلة الوقت"، قالت بجدّية وقد عنت ذلك. الآن على الأقلّ.

فقال روبرت وقد غمرته السعادة وهما يدخلان قاعة الطعام يداً بيد: "إذاً فالرحلة تستحقّ كلّ قرش ننفقه عليها". كانا مميّزين جدّاً معاً وحميمين إلى حدّ بعيد.

أضــافت قائلة: "لا سيّما بوجود قارب". فالإبحار معه كان مصدر متعة كبيرة بالنسبة إليها، ويذكّرهما دائماً بفصول الصيف التي قضياها في كاب كود حين كان الأولاد صغاراً.

تحــدّث الستّة بحماس عن منزل سان تروبيز طيلة السهرة. كانت أمسية مثيرة وودودة. ومع أنّهم تحدّثوا قليلاً عن العمل والأولاد، إلاّ أنّ الجزء الأكبر من الحديث دار حول الفيلا والوقت الذي يخطّطون لقضائه في فرنسا.

وفــيما جلــسوا يرتشفون القهوة حول مائدة العشاء، غمرتهم فرحة دافئة تجاه ما يخبّئه لهم الصيف، الذي بدا بالنسبة إلى الجميع صيفاً رائعاً.

ثمّ تطوّعت باسكال قائلة: "حتّى أنّه يمكنني الذهاب قبلكم ببضعة أيّام، هذا إن سمحوا لي بالمغادرة، للقيام ببعض الترتيبات وشراء ما نحتاج إليه للمنزل"، مع أنّه لن يكون بحاجة إلى حاجيات إضافيّة، إذ يقول الإعلان بأنّ المنزل مجهّز بالكامل بالبطانــيات والمناشف وكلّ لوازم المطبخ، وإريك متأكّد من أنّ الزوجين القائمين علــى المنزل سيتولّيان على الأرجح كلّ شيء. غير أنّ باسكال قالت بسرور: "لن أمانع بالذهاب قبلكم"، وحتّى زوجها ابتسم لحماسها. فقد كانت خطّتهم مثيرة جدّاً.

كان الليل قد انتصف حين قرّروا المغادرة أخيراً، فاستقلّ آل موريسون وآل سميث سيارة الأجرة نفسها باتجاه الإيست سايد. كان المطر ما يزال ينهمر، ولكنّهم كانوا سعداء، فأسندت آن ظهرها في السيّارة وابتسمت لهم. بدا لروبرت بأنّه الوحيد الذي لاحظ مدى التعب الذي شعرت به. فلقد كانت منهكة.

سألها بعدما نزل آل موريسون من السيارة: "هل أنت بخير؟" كانت أكثر هدوءاً من عادتها، والتعب بادٍ عليها. لا بدّ بأنّها ضغطت على نفسها مجدّداً.

قالت على نحو غير مقنع: "أنا بخير تماماً. كنت أفكّر فقط كم سيكون ممتعاً قضاء شهر في فرنسا. لا أستطيع التفكير بشيء يمكنني القيام به معك أجمل من ذلك، قراءة، استرخاء، إبحار، سباحة. أتمنّى لو أنّ الموعد ليس بعيداً بهذا الشكل". يبدو بأنّ أمامهم وقتاً طويلاً بانتظار الإجازة.

ردّ معها روبرت: "وأنا أيضاً". أنزلتهما سيارة الأجرة أمام بيتهما في شارع إيست نانتي ناينث، فركضا هرباً من المطر. راقب روبرت آن وهي تخلع معطفها في شقّتهما المريحة، وبدت له شاحبة. فبادرها قائلاً: "أتمنّى لو تأخذين إجازة لعدّة أيّام قبل الصيف القادم. ما رأيك بقضاء بضعة أيام في مكان دافئ؟" كان قلقاً عليها، كما يفعل دوماً. فهي بالنسبة إليه أهمّ الناس في حياته. وحتّى أهمّ من أولاده. لطالما كانت آن أولى أولوياته. فهي حبيبته، وأمينة أسراره، حليفته، وصديقته الحميمة. إنّها محور وجوده.

كان في فترات حملها وفي المرّات القليلة التي مرضت فيها يعاملها وكأنّها قطعة من الخزف الثمين. فهو حنون بطبيعته، وهذا ما أحبّته فيه، رقّته، حنانه، لطفه. رأت فيه هذه الصفات منذ أن تعارفا، والسنوات التي عاشتها معه أثبتت بأنّها كانت محقّة. أمّا هي فكانت من بعض النواحي أكثر منه قساوة وحزماً وأقلّ تسامحاً. كانت شرسة في الدفاع عن حقوق موكّليها أو أطفالها، ولكنّ روبرت هو الذي امتلك قلبها دوماً. ومع أنّها لا تقول له ذلك كثيراً، إلاّ أنّ رباطهما صمد أمام الزمن ولم يحتج إلى كثير من الكلام. ففي شبابهما، كانا

يتحدّثان أكثر عن آمالهما وأحلامهما وما يشعران به. كان روبرت هو الرومنسي والحالم الذي يحبّ أن يتخيّل ما ستكون عليه السنوات المقبلة. أمّا آن فكانت أكثر واقعية وانشغالاً بالحياة اليومية. ومع مرور السنوات، أصبح لديهما أمور أقلّ للتحدّث عنها، وحاجة أقلّ للتخطيط والتطلّع إلى الأمام. فاكتفيا بالانتقال من عام إلى عام، يداً بيد، متّسمين بقناعة تجاه ما حقّقاه، وباحترام كبير للدروس التي تعلّماها. المأساة الوحيدة التي عاشاها كانت وفاة طفل رابع عند الولادة. كانت فتاة أخرى، ووفاتها دمّرت آن في ذلك الوقت. غير أنّها تجاوزت المحنة بسرعة بفضل دعم روبرت وحنانه. وكان هو الذي بكى الطفلة الصغيرة لسنوات والذي ما زال يتحدّث عنها من وقت إلى آخر. أمّا آن، فتركت الحادثة وراء ظهرها وعوضاً عن الحزن على ما فقدته، كانت راضية بما فازت به. ولكن نظراً لمعرفتها بطريقة تعاطي روبرت العميقة مع الأمور، احترمت مشاعره، وتعاملت معه بلطف متناه. كان من نوع الأشخاص الذين تودّ حمايتهم ممّا يؤذيهم. وبدت آن دائماً أقدر منه بقليل على تلقّي الضربات التي توجّهها لهما الحياة.

سألها روبرت وهي تندسّ في السرير بقربه بفستان نومها الأزرق: "ماذا تودّين أن تفعلي غداً؟" كانت امرأة جذّابة، ليست جميلة، ولكنّها مميّزة، أنيقة، وناعمة. وكان يراها من بعض النواحي أكثر جاذبيّة من الفترة التي تزوّجا فيها. فملامحها من النوع الذي يتحسّن مع مرور الزمن، ولا يفسده التقدّم في السنّ.

أجابته وهي تتثاءب: "غداً أودّ النوم حتّى ساعة متأخّرة وقراءة الجريدة، هل ترغب بالذهاب إلى السينما بعد الظهر؟" كانا يحبّان الذهاب إلى السينما لمشاهدة الأفلام الأجنبية عادة أو الجدّية والتي غالباً ما دفعت روبرت إلى البكاء. وكانت تمازحه حول هذا الأمر حين كانا أكثر شباباً. فآن لا تبكي أبداً عند مشاهدة الأفلام. ولكنّها أحبّت مع ذلك حنانه ورقّة قلبه.

"تبدو لي فكرة جيّدة". كانا يستمتعان بقضاء الوقت معاً. فهما يحبّان الأشخاص والموسيقى والكتب نفسها، وكان لديهما الكثير من القواسم

المشتركة، واليوم أكثر من ذي قبل. ففي بداية زواجهما كان ثمّة كثير من الفوارق بينهما، ولكنّ روبرت شاركها بكثير من الأمور، لدرجة أنّه مع الوقت، أصبح ذوقهما متشابهاً وزالت الاختلافات بينهما. وما يتشاركانه اليوم يشعرهما براحة كبيرة، وكأنّهما يغرقان بسهولة تامّة، يداً بيد، في سرير ضخم من الريش.

قالت آن وهي تستلقي وتحتضنه للنوم: "أنا سعيدة لأنّ باسكال وجدت ذلك المنزل. أعتقد بأنّ الصيف القادم سيكون مسلّياً حقّاً".

أجابها وهو يدنيها منه: "أنا متشوّق لإمضاء بعض الوقت في الإبحار معك". كان قد شعر بالرغبة نحوها في بداية السهرة، وهما يرتديان ثيابهما للخروج، ولكنّها الآن بدت متعبة جدّاً، ووجد أنّه من الأنسب تركها تستريح. لقد عملت بجهد كبير وضغطت على نفسها كثيراً. لذا قرّر التحدّث معها حول ذلك في اليوم التالي، فهو لم يرها متعبة هكذا منذ سنوات. وما إن أخذها بين ذراعيه حتّى غفت على الفور، واستغرق في النوم هو أيضاً فيما صدر عنه شخير خفيف.

كانت الساعة الرابعة فجراً حين استيقظ وسمع سعال آن في الحمام، بدت وكأنّها تتقيّأ. كان بإمكانه رؤية الضوء المتسلّل من تحت باب الحمام، فانتظر بضع دقائق حتّى تعود إلى السرير. ولكن بعد عشر دقائق، لم يعد يسمع شيئاً ولم تكن قد خرجت بعد من الحمام. أخيراً نهض من السرير وطرق الباب من دون أن يسمع جواباً.

"آن، هل أنت بخير؟" انتظر أن تجيبه بأنّها بخير وبأن يعود إلى الفراش، ولكنّه لم يسمع شيئاً. فناداها من جديد: "آن حبيبتي، هل أنت مريضة؟" كان العشاء الذي أعدّته باسكال لذيذاً، ولكنّه ثقيل ودسم. انتظر دقيقة أو اثنتين ثمّ فتح الباب بلطف ودخل. وما رآه سبّب له الذعر. كانت زوجته ممدّدة على الأرض، شعرها مشعّث وقميص نومها مرفوع. كان واضحاً بأنّها تقيّأت قبل أن يغمى عليها، كما كان وجهها رمادي اللون وشفتاها زرقاوين تقريباً. انتابه

الفزع لرؤيتها بهذا الشكل وأخذ يردّد: "يا إلهي... يا إلهي..." تحقّق من نبضها، كان لا يزال يشعر به مع أنّها بدت لا تتنفّس. لم يكن أكيداً ما إذا كان يتوجّب عليه أن يحاول إنعاشها بنفسه أم يطلب رقم الطوارئ. وفي النهاية اندفع لإحضار هاتفه الخليوي ثمّ عاد بسرعة إلى آن وطلب الرقم من الحمام. كان قد حاول هزّها ومناداتها، ولكن لم يبدُ عليها ما ينبئ بأنّها استعادت وعيها. وكان روبرت يرى لون شفتيها يتحوّل إلى الأزرق الداكن. في هذا الوقت كان عامل الطوارئ قد أجابه وأعطاه روبرت اسمه وعنوانه وأخبره بأنّ زوجته غائبة عن الوعي وأنها بالكاد تتنفّس.

"هل صدمت رأسها؟" سأله عامل الطوارئ بنبرة عملية، فيما قاوم روبرت دموع الفزع والإحباط وهو يجيبه: "لا أدري... افعل شيئاً... أرجوك... أرسل لي أحداً على الفور..." ثمّ قرّب وجهه من أنفها وهو ما زال يحمل الهاتف ولكنّه لم يشعر بنفسها. وحين حاول هذه المرّة تحسّس نبضها، اعتقد بأنّه توقّف، ثمّ شعر به من جديد، ولكنّه بالكاد لا يزال موجوداً. بدا له وكأنّها تنساب بسرعة من بين يديه وهو عاجز عن فعل شيء لإبقائها. "أرجوك... أرجوك ساعدني... أعتقد بأنّها تحتضر...".

طمأنه الصوت قائلاً: "ثمّة إسعاف في طريقها إليك، ولكنّني أحتاج منك إلى مزيد من المعلومات. ما هو سنّ زوجتك؟".

"واحد وستّون".

"هل لديها تاريخ بمرض القلب؟".

"كلاّ، ولكنّها كانت متعبة، متعبة جدّاً، وأجهدت نفسها في العمل"، ومن دون أن يضيف المزيد، وضع الهاتف وأخذ ينعشها عن طريق الفم. شعر بأنّها تلتقط أنفاسها، ثمّ تنهّدت، ولكن لم تبدُ عليها إشارات أخرى للحياة. كان شحوبها لا يزال على ما هو عليه حين تناول روبرت سماعة الهاتف من جديد. "لا أعلم ما بها، ربّما أغمي عليها وصدمت رأسها. كانت قد تقيّأت...".

سأله الصوت: "هل عانت من آلام في الصدر قبل أن تتقيأ؟".

أجاب: "لا أدري. كنت نائماً، وحين استيقظت سمعتها تسعل وتتقيأ، ثمّ دخلت الحمّام ورأيتها ممدّدة على الأرض"، في تلك اللحظة، سمع صوت صفارة تقترب، فراح يدعو بأن تكون سيارة الإسعاف تلك قادمة لأجلها. "أسمع صوت سيارة إسعاف... أهي لكم؟".

"آمل ذلك. كيف تبدو الآن؟ هل تتنفّس؟".

"لست أكيداً... تبدو بحالة مريعة". كان يبكي بسبب خوفه ممّا يحدث وهلعه أمام الحالة التي كانت فيها. وفيما كان يكافح هذه المشاعر، رنّ جرس الباب في الأسفل، فركض للضغط على القفل الكهربائي للسماح لهم بالدخول. فتح قفل الباب الأمامي وتركه مشرعاً على مصراعيه ثمّ هرع عائداً إلى آن. كانت ما تزال على حالها، ولكن في غضون ثوان، حضر المسعفون في أعقابه ووقفوا في الحمام. كانوا ثلاثة، دفعوه جانباً وركعوا بقربها. استمعوا إلى دقات قلبها، فحصوا عينيها، ثمّ طلب المسؤول من الرجلين الآخرين وضعها على الحمالة التي أحضروها معهم، وكل ما تمكّن روبرت من التقاطه من حديثهم وهو يتبعهم إلى الأسفل هو كلمة "مزيل الرجفان". كان لا يزال يرتدي ثياب النوم وبالكاد كان لديه الوقت لأخذ معطفه وارتداء حذائه، وهو يدس هاتفه الخلوي في جيبه ويتناول محفظته من الدرج، قبل أن يتبعهم بأقصى سرعته. كانت آن قد نقلت إلى سيارة الإسعاف حين وصل، وبالكاد تمكّن من القفز إلى جانبها قبل أن ينطلقوا.

"ماذا حدث؟ ماذا بها؟" كان يتساءل ما إذا كانت قد اختنقت بشيء ما وهي تتقيأ وظلّت تكافح منذ ذلك الوقت بصمت. ولكنّ المسعفين أخبروه بأنّها أصيبت بنوبة قلبيّة. وبينما كانوا يشرحون له حالتها، قام أحدهم بتمزيق قميص نومها ووضع مزيل الرجفان على صدرها. أراد روبرت أن يغطّيها ولكنّه عرف بأنّ هذا ليس وقت التفكير في الحشمة. بدت وكأنّها تحتضر. فقد توقّف قلبها وكانوا قد وضعوا لها قناع الأوكسيجين، وشاهد روبرت برعب جسدها

ينتفض بأكمله، ثمّ كرّروا العملية مرّة أخرى. فهمس وهو يحدّق فيها ويمسك بيدها: "آه يا إلهي... يا إلهي... آن. . حبيبتي أرجوك. . أرجوك.." عاد قلبها ينبض من جديد، ولكن بخطّ شبه مستقيم. لم يشعر روبرت بهذا العجز في حياته كلّها. قبل بضع ساعات فقط كانا يتناولان العشاء مع أصدقائهما، وكانت تبدو متعبة، ولكن لم يبدُ الوضع بهذه الخطورة، وإلا لاصطحبها إلى غرفة الطوارئ على الفور.

كان المسعفون شديدي الانشغال للتحدّث إليه، ولكنّهم بدوا راضين عن حالتها في الوقت الحالي وهم يتكلّمون مع أقرب مستشفى. فطلب روبرت إريك من هاتفه الخلوي بيدين مرتجفتين. كانت الساعة الرابعة وخمس وعشرون دقيقة فجراً ولكن إريك أجاب بعد الرنّة الثانية.

أخبره روبرت بصوت مرتجف قائلاً: "أنا في سيارة إسعاف مع آن، لقد أصيبت بنوبة قلبية، وقد توقّف قلبها للحظة ثمّ جعلوه ينبض من جديد. آه يا إلهي، إريك، لونها رمادي وشفتاها زرقاوان". كان يهذي بكلمات غير مترابطة، فنهض إريك على الفور وأضاء النور، فتحرّكت ديانا في فراشها. كانت معتادة على الاتصالات الليليّة التي تأتيهما من غرفة التوليد، ونادراً ما كانت تستيقظ، ولكنّ نبرة صوته كانت مختلفة هذه المرة، ففتحت إحدى عينيها وحدّقت فيه.

سأل إريك بهدوء: "أهي واعية؟".

"كلاّ... وجدتها على أرض الحمّام... اعتقدت بأنّها صدمت رأسها... لا أعلم.. إريك... تبدو وكأنّها... وكأنّها..." كان بالكاد قادراً على ربط الكلمات ببعضها.

"إلى أين يأخذونها؟".

"أعتقد إلى لينوكس هيل".

كانت على مقربة منه. "سأكون هناك خلال خمس دقائق. سألاقيك في غرفة الطوارئ أو غرفة العناية المركّزة. تماسك روبرت... ستكون بخير". كان يرغب كثيراً بطمأنته، وتمنّى أن يكون على حقّ.

"أشكرك". كان هذا كلّ ما استطاع التفوّه به قبل أن يقفل الخطّ حين شغّل المسعفون مزيل الرجفان مرّة أخرى. ولكن قلبها استمرّ بالخفقان إلى أن وصلوا إلى المستشفى، حيث كان بانتظارهم فريق مختصّ بالقلب عند المدخل. غطّوها ببطانية، وأخرجوها من سيارة الإسعاف، وأدخلوها المستشفى قبل أن يتمكّن روبرت من شكر أحد أو قول أيّ شيء. سبقته الحمّالة وما كان منه سوى أن لحق بها إلى الداخل. أخذوها مباشرة إلى غرفة العناية القلبية المركّزة، بينما وقف روبرت هناك وشعر بأنّه عديم الفائدة بمعطفه وثياب نومه. فجأة بدا وشعر بأنّه عجوز جدّاً ولم يرغب سوى بالبقاء مع حبيبته آن. لم يكن يرغب بتركها للغرباء.

بعد دقائق، أتى أحد الأطباء المقيمين وطرح عليه عدداً من الأسئلة، وبعد خمس دقائق، وصل إريك ومعه ديانا. فقد نهضت على الفور حين سمعت إريك وهو يتحدّث مع روبرت وأصرّت على مرافقته إلى المستشفى. كانا يرتديان الجينز ومعطفيهما ويبدو عليهما القلق الشديد. ولكنّ إريك كان هادئاً، ظاهرياً على الأقلّ، ويعرف ما يجب عليه أن يسأل. فدخل غرفة العناية وترك روبرت مع ديانا. وحين خرج مجدّداً، كان واضحاً بأنّه لا يحمل أنباءً مطمئنة.

"عاد الرجفان ثانية. إنّها تقاوم بشدّة". يظهر بأنّها المرّة الثانية التي يتوقّف فيها قلبها منذ أن دخلت وحدة العناية المركّزة. وكان أخصّائي القلب المقيم قد أخبر إريك بأنّ إشاراتها الحيويّة ضعيفة. فقد شارفت على الموت حين أحضروها. سأل إريك روبرت: "متى بدأ ذلك؟" فيما أمسكت ديانا يد صديقهما تشدّ أزره، وأحاطه إريك بذراعه. فراح روبرت يبكي على نحو مثير للشفقة وهو يروي لهم ما حدث.

"لا أدري. استيقظت عند الرابعة. كانت تسعل وأظنّ بأنّها كانت تتقيّأ. انتظرت بضع دقائق، ثمّ هدأت الأصوات تماماً، وحين دخلت، كانت غائبة عن الوعي".

"هل عانت من آلام في الصدر حين عدتما إلى المنزل؟" عبس إريك وهو يسأل، مع أنّ الأمر لم يعد مهمّاً الآن. فمهما كان الوقت الذي بدأت فيه الأعراض، فلقد كانت النوبة قويّة، وكان واضحاً بأنّ الأخصائي يشكّ بأنّها ستنجح في تخطّيها. فوضعها لا يبشّر بالخير.

"بدت متعبة جدّاً، ولكنّها كانت بخير في ما عدا ذلك. تحدّثت عن المنزل في جنوب فرنسا وعن الذهاب إلى السينما غداً". كان عقله مشوّشاً، خفض نظره إلى ديانا ولكن لم يبدُ عليه بأنّه يراها. كان مصدوماً بسبب كلّ ما حدث للتوّ. "عليّ الاتصال بالأولاد، أليس كذلك؟ ولكنّني أكره أن أسبّب لهم الفزع".

"سوف أتّصل بهم بنفسي"، قالت ديانا بهدوء، وأضافت: "هل تتذكّر أرقامهم؟" أملى عليها سلسلة من الأرقام التي دوّنتها بسرعة، ثمّ تركت الرجلين وذهبت للاتصال بهم.

تمتم روبرت بينما كان إريك يجبره على الجلوس: "آه يا إلهي، ماذا لو...".

"انتظر وحسب. الناس يتجاوزون نوبات كهذه. حاول أن تبقى هادئاً. فانهيارك أو مرضك لن يساعدها في شيء. ستكون بحاجة إلى أن تكون قويّاً، روبرت".

أجابه بصوت مخنوق: "أنا بحاجة إليها، لا أستطيع العيش بدونها". أخذ إريك يدعو له بصمت بأن لا يضطرّ إلى ذلك، ولكنّه لم يكن واثقاً. كان يتخيّل مدى صعوبة هذا الأمر عليه. فهو يعلم مدى تعلّقهما الواحد بالآخر والسعادة التي عاشا فيها لأربعين عاماً تقريباً. وفي بعض الأحيان، كانا يبدوان وكأنّهما نصفان لشخص واحد، مثل جميع الأشخاص الذين يعيشون معاً كلّ هذه السنوات المتتالية.

"عليك الآن أن تكون متماسكاً"، قال إريك وهو يقف بقربه ويربّت على كتفه. عادت ديانا بعدما اتصلت بالأولاد الثلاثة الذين أكّدوا بأنّهم سيحضرون على الفور. فالصبيّان يعيشان في أبّر إيست سايد بينما تقطن ابنتهما في سوهو،

ولكن في هذه الساعة من السهل إيجاد سيارة أجرة، إذ كانت الساعة الخامسة صباحاً. وكانت قد مضت ساعة على إيجاد روبرت لآن وبداية الكابوس.

سأل روبرت بصوت ملؤه الذعر: "هل سيسمحون لي برؤيتها؟" لم يسبق له أن شعر بهذا الضعف وهذا العجز. لطالما اعتقد نفسه قويّاً، مثل آن، ولكنه شعر فجأة من دونها بأنّ عالمه وحياته ينهاران من حوله، ولم يسيطر على تفكيره سوى منظرها وهي ممدّدة على أرض الحمّام، شاحبة وغائبة عن الوعي.

أجابه إريك مطمئناً: "سيسمحون لك برؤيتها حالما أمكن ذلك. أعتقد بأنّهم يعملون بجهد الآن وأنّ أموراً كثيرة تحدث. ووجودك هناك سيزيد من الإرباك". هزّ روبرت رأسه وأغمض عينيه، فيما جلست ديانا بقربه على الأريكة وشدّت على يده. كانت تدعو لآن ولكنّها لم تشأ إخبار روبرت بذلك. حتّى أنّها لم تأبه بتسريح شعرها قبل أن تهرع إلى المستشفى مع إريك.

"أريد أن أراها"، قال روبرت أخيراً وقد فقد أعصابه، فتطوّع إريك لدخول وحدة العناية المشدّدة للاطمئنان على آن. ولكنّ ما رآه عند وصوله لم يكن مطمئناً على الإطلاق. كانوا قد وضعوا لها الأنابيب وجهازاً للتنفّس فضلاً عن وجود عدد من آلات المراقبة التي تصدر صفيراً مثيراً للأعصاب من حولها، كما أدخلوا لها أنبوباً عبر الوريد. وكان الفريق الطبّي يعمل معها بأكمله، فيما يصيح رئيسهم على الآخرين مصدراً الأوامر. علم إريك من نظرة واحدة بأنّهم لن يسمحوا لروبرت برؤيتها بأيّ شكل من الأشكال. ورأى في الوقت الحاضر بأنّ رؤيتها بهذه الحال سوف تسبّب له الرعب.

حين عاد إريك إليه مجدّداً، كان ولدا روبرت قد حضرا وبدا القلق على وجهيهما، فيما وصلت أماندا بعد بضع دقائق. بدا بأنّ الجميع قد تحدّثوا مع آن في الأيام القليلة الماضية، ممّا سبّب لهم الصدمة. فقد بدت بأحسن حال، وبكامل صحّتها، مشغولة كالعادة، وتسيطر تماماً على الأمور. والآن، وفي لحظة واحدة، أصبحت ممدّدة بلا حراك، تجاهد للبقاء على قيد الحياة،

وجميعهم عاجزون عن إنقاذها. أحاطت ماندي أخاها الأصغر بذراعها وأجهشت بالبكاء وهما يقفان في الرواق، فيما جلس ابن روبرت الأكبر بجانبه وجلست ديانا من الجهة الأخرى وهي لا تزال تمسك بيده. ولكنّ أحداً منهم لم يكن قادراً على فعل شيء غير الانتظار.

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة حين خرج طبيب أمراض القلب المسؤول ليخبرهم بأنّها قد عانت من نوبة قلبية قوية أخرى من دون أن تستعيد وعيها، وبأنّه لا حاجة لإخبارهم عن مدى خطورة الحالة، لأنّهم يعون ذلك جميعاً. فما كان من روبرت إلاّ أن غطّى وجهه بيديه وراح يبكي. كان منهاراً تماماً ممّا يحدث ولا يشعر بالخجل من إظهار ذلك. ولو أنّ الحب يعيدها إليه لكان ما شعر به في تلك اللحظة قد أنقذها.

كانت ليلة طويلة ومروّعة، وبعد أن تجاوزت الساعة الثامنة صباحاً، وبينما كانت ديانا عائدة من الكافيتيريا بفنجان من القهوة لكلّ منهم، رجع طبيب القلب إلى غرفة الانتظار وتعابير الكآبة تعلو وجهه. كان إريك أوّل من رآه، وأدرك ما حدث من دون حاجة إلى الكلام، وكذلك فعل روبرت.

وقف روبرت ونظر إليه وكأنّه يرغب بردّ كلماته قبل أنّ يتفوّه بها. قال له: "كلاّ"، وكأنّه يرفض تصديق ما لم يقَل بعد. "كلا. لا أريد أن أسمع". بدا مذعوراً، ولكن قويّاً فجأة، وغاضباً تقريباً. كانت نظرة عينيه وحشية وغير مألوفة، ومنظره مثيراً للشفقة.

"أنا آسف سيّد سميث. فزوجتك لم تتمكّن من تخطّي النوبة الثانية. قمنا بكلّ ما نستطيع ولكنّها لم تستعد وعيها أبداً. ومع أنّنا قمنا بتدليك القلب... إلا أنّها فارقت الحياة. أنا آسف جدّاً". وقف روبرت يحدّق فيه وبدا على وشك الانهيار، فما كان من أماندا إلى أن ارتمت في أحضانه تبكي فقدان أمّها. مع ذلك فإنّ أحداً منهم لم يصدّق ما حدث للتوّ، إذ بدا الأمر مستحيلاً. منذ عدّة ساعات فقط كانا يتناولان العشاء مع أصدقائهما، والآن رحلت. كان روبرت عاجزاً عن استيعاب ذلك، وشعر بأنّ تفكيره مشلول تماماً وهو يحتضن ابنته.

وحين نظر من فوق كتفها، رأى إريك وديانا يبكيان وولديه ينتحبان وهما يحتضنان بعضهما.

أخبره الطبيب بألطف ما يمكن بأنّ عليه التحدّث مع شخص ما بخصوص الترتيبات وبأنّهم سيبقون آن لديهم خلال هذا الوقت. وبينما كان روبرت يستمع إليه، بدأ ينتحب. وسأله بصوت أجشّ: "أيّة ترتيبات؟".

أجاب الطبيب: "عليك الاتصال بمؤسسة للاهتمام بالجنازة سيد سميث والتحدّث إليهم عن الأمر. أنا آسف جداً". ثمّ استدار عائداً إلى مكتبه في وحدة الإنعاش للتحدّث مع الممرّضات. كان ثمّة استمارات عليه ملؤها قبل أن ينصرف، بينما وقف روبرت والباقون في قاعة الانتظار عاجزين عن التفكير. في هذا الوقت، بدأ الزوار يتوافدون. كانت الساعة قد أصبحت التاسعة من صباح يوم السبت، والناس يأتون لزيارة مرضى آخرين.

"لم لا نذهب إلى منزلنا لبعض الوقت؟" اقترح عليهم إريك وهو يمسح دموعه ويلفّ ذراعه حول روبرت. "يمكننا أن نشرب القهوة ونتحدّث"، أضاف وهو يرمق ديانا التي هزّت رأسها موافقة. فأحاطت أماندا بذراعها، بينما خرج روبرت من قاعة الانتظار محاطاً بولديه ولحق بهم إريك. ساروا من دون تفكير عبر المستشفى إلى الخارج في ذلك الصباح الشتوي. كان البرد قارساً بعد أن أمطرت في الليلة السابقة، وبدا الجوّ ينذر بعاصفة جديدة. ولكنّ روبرت لم يعِ شيئاً. شعر وكأنّه أصمّ، أبكم وأعمى وهو يستقلّ التاكسي مع أولاده. استقلّ إريك وديانا سيارة أخرى خلفهم مباشرة وبعد خمس دقائق كانوا في شقّة آل موريسون.

عملت ديانا بسرعة وبهدوء على إعداد القهوة والخبز المحمص للجميع في المطبخ، فيما جلس روبرت في غرفة الجلوس مع الآخرين وبدا منهاراً.

قال وهي تضع أمامه فنجان القهوة على الطاولة المنخفضة: "ما زلت لا أفهم. كانت بخير في الليلة الماضية. أمضينا وقتاً ممتعاً، وآخر ما قالته قبل أن تنام هو مدى شوقها للمنزل في فرنسا في الصيف القادم".

سأله ابنه جيف ببلاهة: "أيّ منزل في فرنسا؟".

شرح له إريك قائلاً: "استأجرنا منزلاً في سان تروبيز مع آل دونالي وأبويك للصيف القادم. كنا نتفرّج على صور المنزل البارحة وقد بدت أمّك بخير حينها. مع أنّني حين أفكّر بها الآن أرى بأنّها بدت متعبة وشاحبة، ولكنّ جميع سكّان نيويورك يبدون كذلك في الشتاء. لذا لم اشتبه بشيء". غير أنّ شعوراً بالغضب من نفسه انتابه الآن لأنّه لم يشكّ بشيء.

قال روبرت وهو يستعيد ما حدث من جديد: "سألتها في طريقنا إلى البيت ما إذا كانت بخير. فقد بدت منهكة، ولكنّها تجهد نفسها دائماً في العمل، ولم أجد ذلك غريباً. قالت بأنّها ستنام حتّى ساعة متأخّرة هذا الصباح". وها هي الآن تنام إلى الأبد. انتاب روبرت شعور متعاظم بالذعر حين أدرك بأنّه لم يطلب رؤيتها، ولكنّه افترض بأنّهم سيسمحون له بذلك لاحقاً. فهو لم يفكّر سوى بالخسارة التي حلّت به للتوّ. وشعر الآن وكأنّ إعادة شريط الأحداث في ذهنه مراراً ستجعله ينتهي على نحو مختلف. وكأنّ رؤيته من جديد ستجعله يدرك بأنّها كانت أكثر من متعبة فيتمكّن عندها من إنقاذها. ولكنّ هذا العذاب لن يجدي نفعاً، وجميعهم عرفوا ذلك.

لم يتناول سوى رشفتين من فنجان القهوة، أمّا الخبز المحمّص الذي أعدّته ديانا فلم يلمسه على الإطلاق. كان عاجزاً عن التفكير في الطعام، وجلّ ما أراده الآن هو رؤيتها واحتضانها.

"ماذا سنفعل الآن؟" سألت أماندا وهي تمسح أنفها بمنديل سحبته من العلبة التي وضعتها ديانا على الطاولة. كانت أماندا في الخامسة والعشرين من عمرها، ولم تعرف في حياتها خسارة كتلك. فالموت كان أمراً غير مألوف تماماً بالنسبة إليها. إذ توفي جدّاها وهي صغيرة جداً بحيث لا تتذكر ذلك. حتّى أنّها لم تفقد حيواناً أليفاً في حياتها. لذا شكّلت وفاة آن صدمة كبيرة لها.

قال إريك بلطف: "أستطيع الاهتمام ببعض الأمور عنكم. سوف أتّصل بفرانك كامبل هذا الصباح". إنّها دار فخمة لتنظيم الجنازات وقد اهتمّت بأهالي

نيويورك لسنوات، بعضهم من المشاهير أمثال جودي غارلاند. "هل لديك فكرة عمّا تودّ فعله من أجل مراسيم الدفن، روبرت؟" دمّره السؤال في لحظة واحدة. فهو لم يكن يريد دفنها، كان يريدها حيّة من جديد، في هذه الغرفة معهم، تسألهم لم يتصرّفون بتفاهة. ولكنّ هذا الوضع لم يكن تافهاً، إنّه بالأحرى لا يطاق، لا يصدّق، ولا يُحتمل بالنسبة إلى زوجها وأولادها. وفي الواقع، كانوا يتعاملون معه بشكل أفضل منه.

عرض جيف مساعدته قائلاً بهدوء: "هل يمكنني القيام بشيء للمساعدة يا أبي؟" وكذلك فعل شقيقه مايك. كان الشقيقان قد اتصلا بزوجتيهما ونقلا إليهما النبأ المفجع، وبعد بضع دقائق، انسلّت ديانا من بينهم للاتصال بباسكال وجون. وقد صعقا تماماً حين أخبرتهما بأنّ آن توفّيت في ذلك الصباح. حتّى أنّهما عجزا عن استيعاب الخبر في البداية.

كان ردّ فعل باسكال مشابهاً للجميع حين قالت: "ولكنّها كانت بخير البارحة، لا يمكنني أن أصدّق... ماذا حدث؟" أخبرتها ديانا ما تعرفه، وذهبت باسكال باكية لإخبار جون الذي كان يقرأ الجريدة. بعد نصف ساعة، وصلا إلى منزل آل موريسون هما أيضاً، وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة حين عاد روبرت أخيراً إلى شقّته لتغيير ملابسه. وحين رأى الأنوار مضاءة والمناشف التي غطّى بها آن لتدفئتها ملقاة على أرض الحمّام، انفجر في البكاء من جديد. ولمّا استلقى على سريرهما، شمّ رائحة عطرها على وسادته. ما يحدث له كان يفوق قدرته على الاحتمال.

رافقه إريك إلى دار كامبل بعد ظهيرة ذلك اليوم، وساعده على إتمام تلك المهمّة الشاقّة المطلوبة منه وعلى اتخاذ قرارات في ما يتعلّق بطلب الورود واختيار التابوت. اختار تابوتاً أنيقاً من خشب الماهوغاني مبطّناً بالمخمل الأبيض. كان الوضع كلّه أشبه بالكابوس، ثمّ أخبروه بأنّه يستطيع رؤية زوجته لاحقاً عصر ذلك اليوم بعد أن تصل من المستشفى. وحين رآها، وكانت ديانا تقف بقربه، شعر بأنّه منهار تماماً. احتضن بين ذراعيه جسد آن الخالي من

الحياة بينما وقفت ديانا تراقبهما ودموعها تنهمر بصمت. في تلك الليلة، ذهب إلى منزل جيف لتناول العشاء مع أولاده. وأصرّ عليه جيف وزوجته لقضاء الليلة معهما، فارتاح لهذه الفكرة. أمّا ماندي، فأمضت الليلة مع مايك وزوجته سوزان في شقّتهما. فأيّ منهم لم يرغب بالبقاء وحده، وكانوا ممتنّين لوجودهم معاً.

تناول آل دونالي وآل موريسون العشاء معاً تلك الليلة، وكانوا لا يزالون عاجزين عن تصديق ما حدث. ففي الليلة الماضية كانت آن معهم والآن رحلت وتركت روبرت حطاماً.

"لا أودّ أن أكون قليلة اللباقة في هذه الظروف"، بادرتهم ديانا وهم ينظرون بحزن إلى أطباقهم وقد تذوّقوا بالكاد الطعام الصيني الذي طلبه إريك. كما أنّ أحداً لم يكن يشعر بالجوع في منزل جيف، مع أنّ روبرت كان يتضوّر جوعاً. فهو لم يتناول شيئاً منذ الليلة الماضية ولم يكن يرغب بذلك. أضافت ديانا: "كنت أفكّر في ما يجب علينا فعله بخصوص منزل سان تروبيز".

أجابها جون الذي لم يكن أقلّ تجهّماً من الباقين: "أنا أيضاً سأكون قليل اللباقة. سيكون إيجار المنزل باهظاً لو قسم على اثنين عوضاً عن ثلاثة. لذا علينا التخلّي عن الفكرة"، قال بحزم، بينما رمقت باسكال زوجها بانزعاج.

قالت هامسة: "لا أعتقد أنّ بوسعنا فعل ذلك".

"لِمَ لا؟ فنحن لم نخبرهم بعد بأنّنا موافقون عليه". فقد اتفقوا على إرسال فاكس من مكتب آن يوم الإثنين.

أجابت باسكال بارتباك: "بل فعلنا".

سألها جون وهو ينظر إليها بذهول: "ماذا تعنين بذلك؟".

"إنّه منزل رائع، وقد خفت أن يأخذه شخص آخر غيرنا، فطلبت من والدتي أن تدفع عربوناً للمنزل حالما اتصل بي السمسار. كنت أكيدة من أنّ الجميع سيحبّونه".

قال جون وهو يصرّ على أسنانه: "هائل، أمّك لم تدفع ثمن معجون أسنان منذ سنوات ما لم ترسلي لها ثمنه أو تدفعينه بدلاً عنها، وفجأة تبدأ بدفع عربون منزل؟ وقبل أن نوافق عليه حتّى؟" كان ينظر إلى باسكال عابساً وهو عاجز عن تصديق ما تقول.

قالت باسكال بنعومة وهي تنظر إلى زوجها بأسف: "أخبرتها بأنّنا سنعيد لها المال". ولكن تبيّن بأنّ المنزل هو تماماً كما وصفه السمسار كما أحبّوا الصور التي أرسلت لهم، وهي بالتالي لم تكن مخطئة.

أمرها جون بحزم: "قولي لها إذاً أن تسترجع المال".

"لا أستطيع، فقد أخبرونا بأنّهم لا يعيدون المبلغ قبل أن أطلب منها دفعه".

"آه، حبّاً بالله باسكال، لم فعلت ذلك؟" كان غاضباً منها ولكن كان واضحاً بأنّه يشعر بالاضطراب بسبب وفاة آن ولا يعرف كيف يعبّر عن ذلك. "ما عليك إذاً سوى أن تدفعي ثمنه من مالك الخاصّ، لأنّ أحداً لن يرغب بالسفر الآن، وبالتأكيد روبرت لن يذهب من دون آن. انتهى الأمر. انسي أمر المنزل".

"ربّما لا"، قالت ديانا بهدوء. "ما زال أمامنا ستّة أشهر ونصف. ربّما شعر روبرت حينها بتحسّن كبير وربما كان من المفيد له السفر إلى مكان لم يسبق له الذهاب إليه، معنا جميعاً لمرافقته والتخفيف عنه. أعتقد بأنّ علينا القيام بذلك". نظر إليها إريك مفكّراً ثمّ هزّ رأسه موافقاً.

"أعتقد بأنّك محقّة"، قال مؤيّداً رأيها، بعكس جون.

"وماذا لو رفض الذهاب؟ سنجد أنفسنا مضطرّين إلى دفع مبلغين باهظين جدّاً. أنا لن أذهب. ولن أدفع". أصرّ جون بغضب.

رمقته باسكال قائلة: "أنا سأدفع إذاً. أنت شخص حقير، جون دونالي، تستعمل هذا الأمر حجّة لكي لا تدفع المال. أنا سأدفع حصّتك ويمكنك أن تبقى في المنزل، أو تزور أمّك في بوسطن".

"ومنذ متى وأنت بهذا الكرم؟" قال لها بنبرة سبّبت لها ألماً عميقاً. ولكن شأنها شأن الآخرين، كانت تتألّم لموت آن وليس لكلام زوجها.

أصرّت باسكال قائلة: "أظنّ بأنّنا نحتاج لأن نكون معاً. كما أنّ روبرت سيكون بحاجة إلينا أكثر من أيّ وقت". وافقها إريك وديانا وحاولا إقناع جون بوجهة نظرها، إلاّ أنّه بقي متشبّثاً برأيه.

أصرّ قائلاً: "أنا لن أذهب".

"لا تذهب إذاً، سوف نسافر نحن الأربعة"، قالت باسكال وهي تبتسم بحزن لإريك وديانا وأضافت: "وسوف نرسل لك بطاقات بريديّة من الريفييرا".

"خذي أمّك معك".

أجابته: "قد أفعل"، ثمّ استدارت نحو الآخرين قائلة: "اتّفقنا إذاً. سوف نسافر إلى سان تروبيز في شهر آب القادم". كان هذا الموضوع آخر همومهم في الوقت الحاضر، ولكنّ التفكير بأمر سارّ مدّهم ببعض المواساة. فكلّ ما شغل تفكيرهم في ما عدا ذلك كان خسارة صديقتهم العزيزة والحزن الذي غرق فيه روبرت. لم يكن باستطاعتهم فعل شيء كثير لأجله، سوى الوقوف إلى جانبه. ومع أنّ الذهاب إلى سان تروبيز من دون آن بدا لهم وكأنّه خيانة لها، غير أنّ باسكال شعرت بأنّ آن كانت لتشجّعهم على السفر واصطحاب روبرت معهم.

قالت ديانا بعقلانية: "قد نجد صعوبة في إقناعه، ولكن لدينا الوقت الكافي لذلك. فلنستأجر المنزل الآن ثمّ نناقش الموضوع معه لاحقاً". توقّعت بأن يكون جون قد لان حينها هو أيضاً. بيد أنّ فكرة ذهابهم هم الخمسة من دون آن كانت محزنة. فمن الصعب التصديق بأنّها لن تكون معهم بعد الآن.

ذهب آل دونالي إلى بيتهم بعد ذلك بوقت قصير، ثمّ اتّصلا بروبرت في منزل جيف وأخبراه بأنّهما يفكّران فيه. غير أنّ شدّة حزنه منعته من التحدّث إليهما لوقت طويل، كما أنّ باسكال سمعته يبكي. كان يبكي طيلة اليوم في

الواقع، وتمنّت لو أنّها تستطيع فعل شيء لأجله. وعدته بأن تلاقيه في دار تنظيم الجنازات في اليوم التالي لرؤية آن. حدّدت الجنازة يوم الثلاثاء. وقد طلب روبرت من جيف الاتصال بشركاء آن في شركة المحاماة، كما اتصلت كنّتاه بلائحة طويلة من الأشخاص لإخبارهم، قبل أن يصدر النعي في اليوم التالي، يوم الأحد. كتب روبرت النعي بنفسه وأودعه مايك لدى جريدة نيويورك تايمز عصر ذاك اليوم.

كان روبرت عاجزاً عن تصديق ما يحدث وهو يأوي إلى السرير في غرفة الضيوف في منزل جيف وإليزابيث. شعر بالارتباك الفكري بسبب الحزن والبكاء وقلّة الطعام. وعندما استلقى هناك يفكّر فيها، وجد بأنّه لم يعرف في حياته هذا القدر من الحزن والوحدة. ثمانية وثلاثون عاماً رائعة انتهت في لحظة واحدة. ولم يكن روبرت يملك أدنى شكّ بأنّ حياته قد انتهت هو أيضاً.

3

أقيمت جنازة آن في كنيسة سان جايمس في شارع ماديسون عصر يوم الثلاثاء. جلس روبرت على المقعد الأوّل مع أولاده وكنّتيه وأحفاده الخمسة، فضلاً عن أصدقائه الأربعة المقرّبين. وغصّت الكنيسة بمعارفهما، وبأناس عملت معهم آن، وزبائن، وزملاء، وأصدقاء قدامى. بدا روبرت مفجوعاً وهو يدخل الكنيسة متأبّطاً ذراع ابنته. كانا يبكيان كلاهما، وكذلك ولداه. وفي صمت الكنيسة، كان الجالسون قريباً منهم يسمعون نشيج باسكال التي جلس جون بقربها ودموعه تنهمر بصمت على خدّيه.

جلس الزوجان موريسون بقربهم على المقعد الثاني، وعيونهما مبتلّة بالدموع، وأمسكا أيديهما بصمت. كانا عاجزَين عن التصديق بأنّ آن رحلت عنهم. بموتها انقطعت دائرة صداقتهم وضاعت منها حلقة هامّة. لقد فقدوا جميعاً صديقة عزيزة على قلوبهم.

كانت الصلاة موجزة ومؤثّرة، وحين خرجوا من الكنيسة ليتبعوا التابوت إلى عربة نقل الموتى، كان الثلج يتساقط. ومع أنّ الشتاء أتى قاسياً تلك السنة، إلاّ أنّ ذاك النهار كان شديد البرودة. ذهب روبرت إلى المقبرة مع أولاده وترك آن هناك بعد أن ألقى الكاهن، الذي عرفهما منذ زواجهما، كلمة قصيرة. ثمّ ودّعها روبرت الوداع الأخير، وبدا أشبه بميت عاد لتوّه إلى الحياة حين مشى أخيراً مع أولاده نحو السيارة وقد أعمت الدموع عينيه.

بعد مغادرة المقبرة، توجّه الجميع إلى منزل آل موريسون لتناول الغداء مع الأشخاص الذين دعاهم الزوجان. كان روبرت يتحرّك بشكل آلي واختفى

قبل أن يغادر أحد. اصطحبه جون دونالي إلى البيت ولم يشأ أن يتركه وحده، فبقي معه.

ألقى روبرت بثقله على الأريكة وحدّق في الفراغ. حتّى البكاء صعُبَ عليه، فاكتفى بالجلوس بعنين ساهمتَين. سأله جون بهدوء متمنّياً لو أنّ باسكال كانت معهما: "هل أستطيع أن أحضر لك شيئاً؟" كانت أفضل منه في التعامل مع هذه الظروف، ولكنّه لمس عدم رغبة روبرت بوجود أحد، ولا حتّى جون على الأرجح.

"كلاّ، شكراً". لم يكن جون أكيداً ممّا إذا كان عليه أن يبقى أم يرحل. كما أنّ روبرت لم ينبس ببنت شفة. ولمّا لم يجد شيئاً آخر لفعله، قام وأحضر له كوباً من الماء وضعه أمامه، ولكن لم يبدُ على روبرت بأنّه رآه. أخيراً، ألقى رأسه على ظهر الأريكة وأغمض عينيه. ثمّ تحدّث في صمت الغرفة، وعيناه مغمضتان، والحزن ينضح من كلماته. "لطالما اعتقدت بأنّني سأموت قبلها. كانت أصغر منّي وتضجّ حياةً. لم يخطر لي يوماً بأنّني سأفقدها". منذ أربعة أيّام والناس يخبرونه بأنّه لن يفقدها أبداً وبأنّ روحها باقية، ولكنّ الواقع يؤكّد بأنّها رحلت. نظر إلى جون بألم كبير قائلاً: "جون، ماذا أفعل الآن؟" لم يكن يملك أدنى فكرة كيف سيعيش من دونها. فبعد ثمانية وثلاثين عاماً، أصبحت جزءاً لا يتجزّأ منه، وكأنّها روحه.

قال جون وهو يجلس بقربه على الأريكة: "أظنّ بأنّه عليك اجتياز هذه المحنة يوماً بيوم، هذا ما عليك فعله. ويوماً ما ستشعر بحال أفضل. ربّما لن تكون الأمور كما كانت عليه أبداً، ولكنّك ستستمرّ. لديك أولادك، أصدقاؤك. الناس يتجاوزون هذه المحن". لم يرد أن يقول له بأنّه قد يتزوّج حتّى يوماً ما، مع أنّ هذا بدا مستبعداً في حالة روبرت. فقد أحبّها لمدّة طويلة، ولم يكن من هذا النوع من الرجال. ولكن عليه الاستمرار حتّى من دون وجود شخص آخر في حياته. لم يكن لديه الخيار في ذلك. وكلّ ما أمكن جون فعله هو الدعاء لأجله لكي لا يقتله الحزن، ولا يتخلّى عن حياته.

"ربّما يجب عليّ أن أتقاعد. فأنا لا أتخيّل كيف سأعود إلى العمل". في الواقع، هو لا يستطيع أن يتخيّل فعل شيء الآن. فقد فقدَ أهمّ أسباب بقائه.

قال له جون بحكمة: "من المبكر جدّاً أن تتّخذ قراراً كهذا. لا تفعل شيئاً الآن". فهو بحاجة ماسّة إلى التسلية في عمله، وإلاّ قد يموت من الحزن. لقد رأى جون هذا يحدث لأشخاص آخرين، وشعر بقلق كبير على صديقه.

"لا بدّ لي من بيع الشقّة. كيف لي أن أعيش هنا من دونها؟" كانت عيناه مفتوحتين وقد اغرورقتا بالدموع من جديد.

"يمكنك الإقامة معنا لفترة إن رغبت، إلى أن تقرّر ماذا تودّ أن تفعل". ولكن في الحقيقة، أراد روبرت البقاء هنا مع ذكرياته عنها. فقد سبق لباسكال وديانا أن عرضتا على أماندا مساعدتها في جمع ملابس أمّها، ولكن حتّى هذا الأمر بدا شديد الصعوبة، وقال روبرت بأنّه لا يريد تغيير أيّ شيء. كان من المريح له رؤية أشيائها في الخزانة كما هي، ومئزرها معلّقاً في الحمّام، وفرشاة أسنانها في الكوب. إذ ساعده ذلك على تضليل نفسه والاعتقاد بأنّها مسافرة إلى مكان ما، إلى مؤتمر مثلاً، وسوف تعود قريباً. ولكنّ الواقع الأليم الذي يعرف الجميع بأنّ عليه مواجهته يوماً ما هو أنّها رحلت إلى الأبد.

بقي جون معه لفترة طويلة من دون أنّ يتبادلا الكلام. وأخيراً، حين أظلمت الغرفة، استلقى روبرت لينام على الأريكة. لم يرغب جون بتركه، بل جلس بهدوء في مكتبة روبرت يتصفّح بعض الكتب. وعند الساعة السادسة، اتّصل بباسكال.

كانت شديدة القلق على روبرت، شأنها شأن الجميع، فسألته: "كيف حاله؟".

"إنّه نائم، فهو يعاني من إرهاق نفسي كبير. لم أرغب بتركه. ماذا أفعل برأيك؟" كان يعتمد على حكمها في المسائل العاطفية.

"ابقَ معه. أعتقد أنّه عليك إمضاء الليلة عنده". كان جون قد فكّر بالأمر نفسه. أضافت: "لا توقظه. هل تريدني أن أحضر طعاماً؟".

"لا بدّ من وجود شيء هنا"، أجابها، ولكنّه لم يكن واثقاً ولم يتأكّد.

"سأحضر بعض الشطائر والحساء"، قالت بحزم ولم يحاول جون السخرية من طبخها كالعادة، بل كان ممتناً لها. ذلك أنّ وفاة آن ذكّرتهم جميعاً بمدى أهميّة الحياة وأهمّية شركائهم. وكان يرغب من أعماقه بمساعدة روبرت. جميعهم رغبوا بذلك. "أراك قريباً".

حين وصلت باسكال وهي تحمل كيساً من المشتريات وقطعة باغيت تحت ذراعها، كان روبرت قد استيقظ للتوّ. بدا مشوّشاً ومنهكاً، ولكنّ الغفوة الطويلة كانت مفيدة له. فهو لم ينم جيّداً منذ ليلة الجمعة. ولكن حين رأى الحساء والشطائر التي أعدّتها باسكال لهما في المطبخ، قال بأنّه لا يستطيع الأكل. كان واضحاً بأنّه خسر من وزنه، فقد بدا نحيفاً جدّاً.

"عليك أن تأكل. أولادك بحاجة إليك، روبرت. ونحن كذلك. لا يمكنك أن تمرض".

"لمَ لا؟" سألها بضراوة. "ما الفرق في ذلك؟".

"الفرق كبير، بالنسبة إلينا. والآن كن مطيعاً وتناول بعض الحساء". تحدّثت إليه وكأنّه طفل صغير، فجلس إلى طاولة المطبخ وبدأ يأكل الحساء. لم يتناول سوى نصف الطبق، ورفض الشطائر التي صنعتها، ولكنّه حصل على بعض الغذاء على الأقلّ. بعد ذلك اقترحت باسكال بقاء جون معه.

"لا ضرورة لذلك. اذهبا أنتما الاثنين إلى بيتكما. أنا بخير". لم يكن هذا الوصف ينطبق عليه إطلاقاً، ولكنّه كان يتصرّف بشهامة.

ألحّت عليه باسكال قائلة: "جون يريد البقاء"، ولكنّ روبرت كان حازماً، وغادر الزوجان دونالي أخيراً عند الساعة العاشرة. بدا الاثنان مرهقين في سيارة الأجرة وهما في طريق العودة. قالت باسكال: "أنا قلقة عليه جدّاً، ماذا لو استسلم ومات هو أيضاً؟ بعض الناس يفعلون ذلك".

أجابها جون وهو يحاول تصديق نفسه: "لن يفعل. لا يستطيع. سوف يتجاوز موتها في النهاية، ربّما ليس تماماً، ولكن بما يكفي ليعيش على نحو

منطقيّ. ربّما كان هذا كلّ ما يمكننا توقّعه". كان هذا تصوّرا محزناً لحياة روبرت المقبلة.

قالت باسكال وهي تمسح الدموع عن خدّيها مجدّداً: "أنا لست أكيدة". الأمر محزن برمّته. من كان ليعلم بأنّهم سيخوضون مأساة كهذه، بأنّ آن سترحل عنهم، من دون إنذار، وبهذه السرعة؟ هذه الأفكار دفعت باسكال إلى الاقتراب أكثر من زوجها، فيما أقلّتهما سيارة الأجرة نحو المنزل. كانت تلك الحادثة تذكيراً عنيفاً لمدى قصر الحياة وسرعة انتهائها ومدى هشاشتها، كما ذكّرتهم بأنّهم هم أيضاً معرّضون للموت. ولم تفتهم الرسالة.

اتّصل به جون وباسكال وإريك وديانا يوميّاً. ولكنّ أحداً منهم لم يره في الأسابيع الثلاثة التالية. فهو لم يتحمّل البقاء بمفرده في الشقّة وأقام عند جيف في الأسابيع القليلة الأولى. فكان جدول حياته اليومية مركزاً على أولاده، ولازم المنزل ولم يذهب إلى المحكمة قبل مرور شهر. وحين فعل، أخيراً، قابل آل دونالي وآل موريسون ثانية. كان قد انتقل إلى شقّته للتوّ في ذلك الأسبوع. وكان قد مضى شهر على رحيل آن.

رؤيته صدمتهم جميعاً. فقد خسر كثيراً من وزنه وبدت عيناه غائرتين. فما كان من باسكال إلاّ أن احتضنته بقوّة وهي تقاوم دموعها. فحزنه ذكّرهم بوفاة صديقتهم وقلوبهم تمزّقت لأجله.

"إذاً، كيف حالكم؟" حاول روبرت أن يبدو مهتمّاً، ولكنّ عينيه أظهرتا العكس. كان يصعب عليه التحدّث معهم والتفكير في حياتهم المشتركة من دون أن يشعر بالألم يمزّق صدره أمام فداحة خسارته. ولكن بالرغم من ذلك كان سعيداً لرؤيتهم من جديد. فقد كان لاجتماعه بهم أثر مريح على نفسه حتّى أنّه أخذ يبتسم في نهاية السهرة أمام نكات جون العديمة الذوق، وتذمّره مجدّداً من باسكال. غير أنّهم كانوا أكثر رقّة ولطفاً وأكثر حبّاً تجاه بعضهم وتجاهه من السابق. فالرسالة التي وجّهت لهم بوفاة آن كانت واضحة لهم جميعاً.

"حصلت على مزيد من الصور لمنزل سان تروبيز البارحة"، قالت باسكال عرَضاً وهم يشربون القهوة، محاولة أن تجسّ نبضه، مع أنّها تعلم بأنّ الوقت لا يزال مبكراً، كما أنّه لا يزال أمامهم خمسة أشهر ونصف، وهي مدّة طويلة لا يزال على روبرت أن يجتازها.

تحدّثت لبضع دقائق عن المنزل وما لبث روبرت أن نظر إليها بهدوء وقد خيّم الحزن على عينيه واكتفى بالقول: "أنا لست ذاهباً معكم". فذهابه سيذكّره كثيراً بالصيف الذي رغب كثيراً بإمضائه مع آن في فرنسا، والذي سبق أن قضاه معها هناك في ما مضى.

"ليس عليك اتّخاذ هذا القرار الآن"، قالت له ديانا برقّة وهي تنظر إلى إريك الذي هزّ رأسه مؤيّداً وقال: "إن لم ترافقنا، سيحوّل جون حياتنا إلى جحيم. فهو بخيل جدّاً ليدفع نصف إيجار المنزل. عليك أن تأتي رأفةً بنا".

ابتسم روبرت ابتسامة صفراوية ضعيفة واقترح عليهم قائلاً: "ربّما تمكّنت ديانا من تنظيم حفلة لجمع التبرّعات من أجل دفع الإيجار".

"هذه فكرة ممتازة"، قال جون وقد سرّه اقتراح روبرت، ممّا أضحك الجميع. "ويمكن لوالدتك أن تقف في الزاوية وتحمل فنجاناً مليئاً بأقلام الرصاص لمساعدتنا"، قال لباسكال التي لمعت عيناها غضباً. غير أنّ هذه اللحظة لم تكن سوى ذكرى من المزاح والضحك الذي كان يسيطر على جلساتهم في الماضي ولم يعرفوه منذ شهر.

قال روبرت: "في الواقع، أنا أودّ أن أفي بالتزامنا وأن أدفع حصّتنا. فآن هي من أقنعكم بالمنزل، ولا أمانع أن أدفع حصّتنا. إلاّ أنّني لا أودّ الذهاب".

"لا تكن سخيفاً روبرت"، قالت له ديانا على نحو قاطع، بينما وجّهت إليها باسكال نظرة سريعة قبل أن تقول: "في الحقيقة، أعتقد بأنّ هذا سيكون لطفاً بالغاً منك"، فحدّق إليها الآخرون بذهول ولكنّها تابعت تقول: "أنا أكيدة بأنّ آن كانت لتودّ ذلك أيضاً". هزّ روبرت رأسه وكأنّه مخدّر. ففي ظلّ الارتباك الذي

يعاني منه، بدا له الأمر منطقيّاً. لمَ يتوجّب عليهم أن يعانوا من خسارة مادية سبب وفاة آن؟

قال ببساطة: "أخبريني بالمبلغ وسأرسل لك شيكاً". ثمّ تحوّل الحديث إلى موضوع آخر. ولكن حتّى جون شعر بعدم الارتياح حين ذكر الأمر لباسكال بعد مغادرة الباقين.

"ألا تعتقدين بأنّ ما فعلته كان فظّاً بعض الشيء، أن تطلبي من روبرت دفع إيجار منزل لن يستعمله؟ تقولين بأنّني بخيل؟ حيلتك الصغيرة هذه بدت لي فرنسية إلى حدٍّ فظيع". كانت عيناه تعبّران عن رفضه لما فعلته، ولكنّها لم تشعر بأيّ إحراج، بل انهمكت برفع الأكواب التي تركوها.

"إن دفع فسيذهب، حتّى ولو كان غير موافق الآن". فابتسم لها جون. كانت فتاة ذكية جدّاً.

"هل تظنّين ذلك حقّاً؟".

"أما كنت لتفعل أنت؟".

"أنا؟" ضحك جون على نفسه. "لو دفعت لما قبلت التنازل عن المقابل. ولكنّ روبرت أكثر شهامة منّي بعض الشيء. ولا أعتقد بأنّه سيأتي".

"أنا أظنّ العكس. هو لا يدرك ذلك الآن، ولكنّه سوف يفعل. وسفره سيفيده كثيراً". بدت واثقة ممّا تقول.

"إن رافقنا، أتمنّى أن لا يُحضر معه جميع أولاده، بعد أن رحلت آن عنهم. فأحفاده صاخبون جدّاً، كما أنّ سوزان تثير أعصابي". كانت تثير أعصاب باسكال أيضاً، شأنها شأن كنّته الثانية، وحتّى أماندا وأحفاده كانوا صاخبين أحياناً. ولكنّ باسكال لم تأبه لهذا الأمر في الوقت الحاضر.

"لا يهمّ. فلنأمل بأن يكون معنا وحسب".

نظر إليها جون بحنان وقال مبتسماً: "أتعلمين، أنا سعيد لما فعلت. حين قلت له ذلك، كدت أختنق بقهوتي. قلت لنفسي لا بدّ بأنّ عشرتي الطويلة أثّرت بك".

أجابته برقّة: "ليست طويلة إلى هذا الحدّ"، وانحنت نحوه لتقبيله. منذ وفاة آن وهي تفكّر كم يعني بالنسبة إليها، وكان جون يفكّر بالأمر نفسه. فبالرغم من خلافاتهما المتكرّرة، كانا محظوظين، وأدركا ذلك. الحياة قصيرة، ووفاة آن ذكّرتهم جميعاً بذلك، غير أنّها عذبة جدّاً في بعض الأحيان.

4

اجتمع الأصدقاء على العشاء يوميّاً خلال الأشهر الثلاثة التالية، واتّصلوا به يوميّاً في الشهرين الأوّلين. كان بحال أفضل، بالرغم من حزنه بالطبع، وتحدّث عن آن كلّما التقوا به. ولكنّ القصص التي كان يرويها كانت تتحوّل من المحزنة إلى المرحة، ومع أنّه ظلّ يبكيها في بعض الأحيان، إلاّ أنّه أصبح الآن قادراً على الابتسام.

وكان روبرت شديد الانشغال في العمل أيضاً. ومع أنّه ما زال يتحدّث عن بيع الشقّة، إلاّ أنّه لم يتخلّص من أشيائها بعد. وحين مرّ جون وباسكال لاصطحابه إلى العشاء من هناك في إحدى الأمسيات، رأت باسكال مئزر آن في الحمّام، وفرشاة شعرها على طاولة الزينة، كما كانت الخزانة مليئة بأكملها بمعاطفها وأحذيتها. ولكنّه على الأقلّ كان يبقي نفسه مشغولاً، ويرى أولاده ويتصرّف بحيويّة أكبر مع أصدقائه الآن.

كانوا قد بدأوا يتحدّثون عن الصيف ويلحّون عليه لمرافقتهم إلى سان تروبيز، ولكنّه قال بأنّ لديه كثيراً من العمل. إلاّ أنّه وفى بوعده وأرسل لهم شيكاً بحصّته من الإيجار. قال روبرت بأنّه سيبقى في نيويورك ذلك الصيف. فها قد مضت أربعة أشهر على وفاة آن. وكان منشغلاً بأملاكها كما أقام مؤسّسة خيريّة باسمها لتمويل القضايا التي كانت تهتمّ لأجلها كثيراً، لا سيّما النساء والأطفال الذين يتعرّضون لسوء المعاملة. وكان شديد الحماس وهو يتحدّث عنها لأصدقائه.

قال له إريك بلطف: "صيف نيويورك شديد الحرّ"، مع أنّه أقرّ بأنّه قد

يـضطرّ لقطـع إجازته هو أيضاً. إذ قال بأنّه شديد الانشغال في العيادة وأحد شـركائه مريض منذ عدّة شهور. لم تسرّ ديانا لسماع النبأ وأكّدت أنّه لو غادر إريك باكراً ستبقى مع باسكال وجون في فرنسا.

قالـت ديانـا بقلق: "سيكون من المحزن بقاؤنا نحن الثلاثة فقط إن رحل إريـك". بدت لباسكال متوتّرة على غير عادتها في الشهر الفائت، ولكنّها تعلم بـأنّ ديانـا تحـضّر لحـدث ضخم وبأنّها تعمل ليلاً وفي العطل الأسبوعيّة. "روبرت، أنا أظنّ حقّاً بأنّه عليك المجيء. كانت آن لترغب بذلك، كما يمكنك إحضار الأولاد".

"سـوف نـرى". هذا كلّ ما قاله. ولكنّها المرّة الأولى التي يعطيهم فيها بارقة أمل.

"هـل تعتقدون بأنّه سيأتي؟" سألوا بعضهم بعد مغادرته. إذ قال بأنّ عليه الـنوم باكـراً لأنّ أمامه يوماً طويلاً غداً في المحكمة. كما أخبرهم بشيء من التـسلية بـأنّ أماندا طلبت منه مرافقتها إلى حفلة خيريّة، العرض الأوّل لفيلم سـينمائيّ شهير. فقد انفصلت مؤخّراً عن صديقها الأخير وليس لديها مرافق. راح الباقون يضايقونه حول هذا الأمر، فأكّد لهم بأنّه غير متشوّق للحفلة ولكنّه سمع بأنّ الفيلم رائع.

وذكر الأمر لهم حين التقوا مجدّداً في الأسبوع التالي.

سـأله إريـك: "إذاً، كـيف كانت الحفلة؟" كان إريك يبدو بحال ممتازة، مـسترخياً وسعيداً، بالرغم من ساعات العمل الطويلة والليالي التي يقضيها في العمل مكان شريكه. علماً أنّ ديانا بدت متعبة وخسرت بعضاً من وزنها. كانت أكثـر هدوءاً من العادة. شعرت باسكال بالقلق عليها ولكنّها لم تذكر لها ذلك. فقـد أصـبحوا أكثـر قلقاً على بعضهم منذ وفاة آن. ولكنّ الجميع لاحظ بأنّ روبرت يبدو أحسن حالاً ممّا كان عليه خلال الأشهر الماضية.

أقـرّ قـائلاً: "كـان العرض مشوّقاً. كان ثمّة خمسمائة مدعوّ كما تلت العـرض حفلة صاخبة. ولكنّني أظنّ بأنّ ماندي قضت وقتاً ممتعاً. فقد التقت

بعدد من الممثّلين، وأظنّها تعرف أحد المنتجين، كما أنّ شابّاً وسيماً جدّاً يرتدي بدلة توكسيدو طلب منها الخروج معه. أعتقد بأنّها ستستغني قريباً عن خدماتي كمـرافق". ولكنّه رافقها في أثناء ذلك إلى حفل آخر، وتساءلت باسكال ما إذا كانت ماندي تتعمّد تسلية والدها. فبالرغم من حزنه الواضح على آن حتّى هذا الـوقت، إلاّ أنّ هـذه النشاطات كانت تروّح عنه وتسلّيه، كما أوحت لباسكال بفكرة جيّدة.

اتّـصلت بأمانـدا فـي الصباح التالي واقترحت عليها المجيء إلى سان تروبيز مع والدها. "هذه الرحلة ستفيده كثيراً". أجابتها مفكّرة: "ربّما أنت على حـقّ. أعتقد بأنّه أفضل حالاً، ولكنّه يقول بأنّه لا يستطيع النوم". كانت أماندا قلقة عليه ووجدت باسكال بأنّها كانت محقّة حين اعتقدت بأنّ أماندا تبذل ما في وسـعها لإبقائه مشغولاً. "في الواقع، أبلى حسناً في الحفلة التي ذهبنا إليها في الأسبوع الفائت. صحيح بأنّه لن يقرّ بذلك، إلاّ أنّه استمتع بوقته على ما أظنّ. حتى أنّني فقدت أثره بعد برهة، فلقد جال بين المدعوين بمفرده".

قالـت لها باسكال: "هذا جيّد، انظري إذاً ما يمكنك فعله بخصوص سان تروبيز. أعتقد بأنّه سيشعر بمزيد من التحسّن لو قام بهذه الرحلة".

ضـحكت مانـدي قائلـة: "أجل، وأنا أيضاً. قال أبي بأنّه ثمّة قارب مع المنزل. كما أخبرني بأنّ الصور رائعة. تبدو رحلة ممتعة، أحبّ مرافقتكم".

"لدينا متّسع كبير لك وسنسرّ لقدومك"، أجابتها باسكال بحنان، وأكّدت لها أماندا بأنّها سترى ما يمكنها فعله.

ولكـن فـي الأسبوع التالي حين كانوا ينوون تناول العشاء مع روبرت، ألغى الموعد بحجّة انهماكه في العمل. وجاء إلغاء العشاء في محلّه، إذ توجّب علـى إريـك الإشراف على ولادة ثلاثة أطفال تلك الليلة، أي أنّ العشاء كان سيفوته، كما أصيبت باسكال بالزكام.

كانـت ما تزال تعاني من آثار المرض حين اتّصلت بها ديانا قائلة بأنّ لديها خبراً سيفاجئها.

قالت لها باسكال بحسد: "أنت حامل!".

انفجــرت ديانا بالضحك وقالت: "لا أظنّ ذلك. لو كنت حاملاً فهذا يعني بــأنّ مفعــول الهرمونات التي آخذها أفضل ممّا ظننت". كانت ديانا قد تخطّت ســنّ الإنجاب منذ سنتين. وبالنسبة إليها، لم يعد الحمل وارداً، كما أنّه لم يكن محــتملاً يــوماً بالنــسبة إلى باسكال. "كلاّ، ولكنّ الخبر الذي لديّ لا يقلّ عنه غــرابة. فقــد تناولت العشاء مع سامانتا في الليلة الفائتة، بعدما ألغيتم العشاء وذهــب إريك إلى العمل. فقصدنا مطعم ميدسا لونا، أو على الأقلّ كنّا ذاهبتين إلى هناك. فتسلّلنا إلى مكان آخر بعدما دخلنا واحزري من رأينا هناك؟".

"لا أدري... توم كروز، وطلب منك الخروج معه".

"تقريباً. روبرت. كان يتناول العشاء مع امرأة. وكان يضحك ويبتسم. لم أتعرّف على المرأة، ولكنّ سام عرفتها. لن تصدّقي مَن، إنّها غوين توماس".

"الممثّلة؟" هتفت باسكال وكأنّ قنبلة انفجرت أمامها. "هل أنت متأكّدة؟".

"كــلاّ ولكنّها بدت وكأنّها هي. سام متأكّدة من ذلك". كانت جميلة، شابّة وبدت مستغرقة تماماً في الحديث معه. كما بدا سعيداً معها.

"أيــن تعــرّف عليها باعتقادك؟" فهو لم يذكرها أبداً. ولم يذكر أيضاً بأنّه يتــناول العشاء مع نساء منذ وفاة آن. لم تتمكّن باسكال من أن تمنع نفسها من التساؤل ما إذا كانت تلك هي المرّة الأولى بالنسبة إليه. لا بدّ بأنّها كذلك.

سألتها ديانا: "أليست هي نجمة الفيلم الذي شاهده مع ماندي في الأسبوع الفائت؟".

أجابــتها باســكال وهي تغرق في الوسائد من جديد، وتحدّق شاردة في الفــراغ: "أظنّ ذلك. يا إلهي، من الغباء أن يبدأ بالخروج مع ممثّلات ونجمات ســينما وعارضــات أزيــاء. فهــو حسّاس جدّاً وبريء إلى حدّ ما. هو وآن متــزوّجان منذ الأزل، ولا يعرف شيئاً عن هذا العالم. لطالما قالت آن بأنّه لم يواعد كثيراً من النساء قبل أن يلتقيا. من المؤكّد بأنّه لا يعرف شيئاً عن ذلك". وهذا شأنهم جميعاً. فهم متزوّجون منذ سنوات عديدة.

"لا، لا يعــرف"، وافقــتها ديانا تماماً وصمّمت في سرّها على حمايته، لأجــل آن، ولأجله. فهي كانت لتتوقّع هذا منهم. روبرت هو آخر شخص في العــالم يصلح للخروج مع ممثّلة مشهورة أو امرأة من هذا القبيل. في الواقع، من الصعب تخيّله مع امرأة أخرى غير آن.

"كــم عمرها؟" كانت باسكال شديدة القلق وقد خشيت من أن تجيبها ديانا بأنّهــا تــبلغ الثانية والعشرين، غير أنّها تعرف بأنّها أكبر من ذلك سنّاً. كانت امرأة رائعة الجمال وحظيت بنجاح كبير مؤخّراً. كما فازت بجائزة أوسكار في السنة الماضية.

"أظنّها في أواخر العقد الثالث، وربّما تبلغ الأربعين. ولكن لا يبدو عليها ذلك، تبدو وكأنّها بسنّ سام".

"كــم هو أحمق. يكون قد فقد عقله إن بدأ بالخروج مع نساء مثلها. هل بدَوا مغرمين؟".

أجابت ديانا بصدق: "كلاّ، بدوا صديقَين"، وشعرت عندها ببعض الراحة.

"أتساءل كيف التقى بها".

"ربّما في حفل العرض الأوّل للفيلم السينمائي".

تحدّثت المرأتان لساعة من الزمن تقريباً عن المخاطر والأشراك التي قد يــواجهها صديقهما، وصمّمتا على وعظه حين تسنح لهما الفرصة بذلك. كما وجدتا بأنّ ذهابه معهم إلى سان تروبيز أصبح أكثر إلحاحاً من ذي قبل.

قالــت ديانا: "أتساءل ما إذا كانت ماندي تعلم بخروجه معها أو حتّى بأنّه قابلها".

فذكّرتها باسكال قائلة: "قالت بأنّها أضاعت أثره في الحفلة. سوف أدعوه إلــى العــشاء في الأسبوع القادم لنرى ما إذا كان سيذكر لنا شيئاً عنها. ربّما علينا أن نسأله. هل رأيك؟".

أقرّت ديانا قائلة: "كلاّ، صُدمت لرؤيتهما إلى درجة أنّنا ركضنا هاربتَين

تقريباً. لم أشأ أن أكون دخيلة. كما أعتقد إلى حدٍّ ما أنّ خروجه مع نساء أخريات هو أمر جيّد. كلّ ما في الأمر أنّني لا أريد له أن يتأذّى". ففكرة كونه تحت رحمة نجمة سينما سبّبت الرعب لكلتيهما.

وافقتها باسكال قائلة: "من دون شكّ. فثمة كثير من النساء الجيّدات اللواتي يمكننا تعريفه عليهنّ، إن كان مستعدّاً. ولكنّني لا أظنّه كذلك". فهذا الأمر شكّل بالنسبة إليهما مفاجأة كبيرة.

سُرّت باسكال حين وافق على الانضمام إليهم على العشاء في الأسبوع التالي. بدا طبيعيّاً وكئيباً كعادته حين اتّصلت بمكتبه في المحكمة.

وفي أثناء العشاء، ذكر لقاءه بغوين، مفاجئاً بذلك الجميع.

"من تكون؟" ذهل جون للنبأ فيما تفحّصت المرأتان وجه روبرت بعناية لمعرفة ما إذا كان الأمر يعني له شيئاً.

أجابت باسكال بنظرة ازدراء إلى زوجها: "لقد فازت بجائزة أوسكار. الجميع يعرف من تكون. إنّها جميلة جدّاً". ثمّ التفتت إلى روبرت وسألته: "كيف التقيت بها؟".

"مع ماندي في حفل لعرض سينمائي"، أجاب روبرت ببراءة، بينما التقت عيون باسكال وديانا. هذا ما ظنّتاه تماماً. "إنّها امرأة مثيرة للاهتمام. عاشت في بريطانيا لمدّة طويلة ومثّلت في أعمال لشكسبير. ثمّ عملت في برودواي قبل أن تنتقل إلى السينما. إنّها ذكيّة جدّاً ومثقّفة". علت إمارات القلق وجه ديانا وهي تستمع إليه، وضاقت عينا باسكال شكّاً على الفور.

قالت له عرضاً: "أنت تعرف عنها الكثير". فرمقها جون بنظرة حادّة.

"كيف تبدو؟" سأله جون باهتمام متزايد متسائلاً ماذا تعني له بالضبط، أو إن كانا قد تشاركا السرير.

أجاب روبرت من دون انفعال خاص: "إنّها جذّابة. شعرها أحمر، ومطلّقة". ابتلعت باسكال ريقها.

سألته ديانا بهدوء: "كم عمرها؟".

أجاب وهو يأكل: "واحد وأربعون". كان تخمينهما صحيحاً. "كانت تعيش في كاليفورنيا وعادت للتوّ إلى نيويورك. تبدو وحيدة نوعاً ما، فهي لا تعرف أحداً هنا". كانت باسكال وديانا أكيدتين بأنّها خدعة من جانبها لتوقعه في حبالها.

لم تتمكّن باسكال من المقاومة فسألته ببراءة: "هل ستراها مجدّداً؟".

أجاب بغموض: "لا أعرف. فهي مشغولة، شأني أنا أيضاً. سوف تبدأ بتصوير فيلم سينمائي جديد في شهر أيلول، كما ستسافر خلال هذا الصيف مع أصدقائها. أعتقد بأنّها كانت لتعجب آن"، أضاف بهدوء وهو يبتسم لأصدقائه. لم تكن لديه أدنى فكرة عن الشكوك التي تعصف بذهن المرأتين. فقد أخفتا قلقهما جيّداً، عنه إلى الأقلّ.

قالت له ديانا بحذر، وهي لا تعرف من أين تبدأ: "روبرت، عليك أن تكون حذراً. ثمّة كثير من النساء الماكرات اللواتي يُجدن التلاعب بمشاعر الرجال. لقد مضى عليك زمن طويل خارج عالم المواعدة الكبير الفاسد". تحدّثت إليه بنبرة أخوية فابتسم.

قال وهو ينظر في عينيها: "أنا لا أواعد الآن. إنّها مجرّد صديقة". فأُقفل الموضوع هنا، وبعد أن عاد كلّ منهم إلى بيته، قال إريك لديانا بأنّها تجاوزت حدودها.

"روبرت رجل ناضج ولديه الحقّ بفعل ما يشاء. ولو أمكنه الخروج مع نجمة سينمائيّة في موعده الأوّل، فليفعل". بدا على إريك الإعجاب والتسلية في وقت واحد.

أصرّت ديانا قائلة: "هو لا يعرف ماذا يفعل. الله وحده يعلم أيّ نوع من النساء هي. حتّى أنّه لم يذكر ما إذا كانت تملك أولاداً".

"وما الفرق في ذلك؟".

"لأن هذا يعني بأنّها مستقرّة، محترمة إلى حدّ ما على الأقلّ".

"باسكال لا تملك أولاداً ومع ذلك فهي امرأة رائعة. ما تقولينه سخيف. كثير من النساء المحترمات لا يملكن أولاداً".

"الأمر مختلف في حالة باسكال، وأنت تعلم ذلك. كلّ ما في الأمر أنّي قلقة عليه".

"وأنا كذلك. ولكن إن بدأ يخرج مع نساء فهذه إشارة إيجابيّة، وأنا شخصيّاً أشعر بتحسّن كبير. لمَ لا تهتمّان أنت وباسكال بأموركما وتتركان الرجل المسكين وشأنه؟".

قالت مصرّة على موقفها: "أردنا أن نحذّره لمصلحته".

"هذا أفضل ما يمكن أن يحدث له. كما أنّها قد تكون امرأة جيّدة". فضّل توقّع الأفضل عوضاً عن الأسوأ، خلافاً لديانا وباسكال اللتين كرهتاها منذ الآن، وفاءً لذكرى آن.

تمسّكت ديانا بوجهة نظرها قائلة: "نجمة سينمائيّة؟ هل أنت جادّ؟ إلى أيّ حدٍّ هذا محتمل برأيك؟".

"ليس إلى حدٍّ كبير، أعترف بذلك. إلاّ أنّه على الأقل سيروّح عن نفسه معها قليلاً". كانت عيناه تلمعان وهو يقول ذلك، فدخلت بانزعاج إلى الحمّام لتغيير ملابسها. لطالما تضامن الرجال مع بعضهم، وما دام روبرت يستطيع "الترويح عن نفسه"، من يأبه أيّ نوع من النساء هي غوين توماس؟ من الواضح أنّ روبرت لا يأبه، وكذلك جون الذي كان يقول الشيء نفسه لباسكال في بيتهما.

راحت باسكال تجادله: "آه كيف تقول ذلك؟ وماذا لو حطّمت قلبه أو استغلّته؟".

"استغلّته من أجل ماذا؟" سألها بانزعاج واضح. "أستطيع التفكير بقدر أسوأ من أن يُستغلّ المرء من قبل نجمة سينمائيّة".

"أمّا أنا فلا. روبرت رجل لطيف، محبّ، محترم، شريف، وبريء".

"ربّما كانت كذلك هي أيضاً".

"حبيبي. لا بدّ بأنّك فقدت عقلك، أو تغار منه".

"آه حبّاً بالله. الرجل المسكين محطّم الفؤاد على آن، دعيه يروّح عن نفسه قليلاً".

نظرت إليه بحدّة وقالت: "ليس مع المرأة غير المناسبة".

"لمَ لا تعطين الرجل المسكين بعض الوقت؟ قد لا يراها مجدّداً على الأرجح. أنا أكيد من أنّ قاضياً في المحكمة العليا في الثالثة والستّين من عمره لا يطابق تماماً فكرتها عن الرومانسيّة. ربّما كان يقول الحقيقة وكانا مجرّد صديقَين".

قالت بحزم: "علينا إخراجه من نيويورك وأخذه معنا إلى سان تروبيز".

فضحك جون عليها ولم يستطع أن يقاوم مضايقتها قائلاً: "قد يحضرها معه".

"على جثّتي، وجثّة ديانا"، أجابته بإصرار، وهزّ جون رأسه وهو يصعد إلى السرير.

"ليكن الله بعونه، المسكين، ففرقة مكافحة الشرّ هنا لمساعدته. أتمنّى ألاّ يرافقنا إلى سان تروبيز، لصالحه".

نظرت باسكال برجاء إلى زوجها: "عليك أن تقنعه بالمجيء. نحن ندين لآن بحمايته من تلك المرأة". شأنها شأن ديانا أصبحت بين ليلة وضحاها شديدة الحماس لحماية صديقهم.

"لا تقلقي. سوف يلتقي بأخريات. على الأقلّ آمل ذلك لأجله. ماذا تريدينني أن أفعل؟ أأحضر لك تعويذة لحمايته؟ أنا أكيد من إمكانية إيجاد واحدة في مكان ما".

قالت باسكال بجديّة وقد تملّكها الغضب: "أحضرها لي إذاً؟ علينا أن نقوم بما في وسعنا لمساعدته". بدت وكأنّها كلّفت للتوّ بمهمّة مقدّسة وما كان من جون وهو يحيطها بذراعه في سريرهما الفسيح الدافئ إلاّ أن ضحك منها.

5

تناول آل موريسون وآل دونالي عشاءهم الأخير مع روبرت في مطعم الفصول الأربعة قبل أن تغادر باسكال في حزيران. تحدّثوا في مواضيع شتّى، بالإضافة إلى منزل سان تروبيز بالطبع. بقي روبرت مصرّاً على عدم رغبته بالسفر، فذكّره جون بأنّه دفع ثلث الإيجار وبأنّه سبب وجيه لذهابه.

قال وقد علا الحزن وجهه من جديد: "لم أفعل ذلك سوى لتأدية التزامات آن. كانت ترغب كثيراً بالذهاب، لا بل كانت لتحبّ ذلك". وشردت نظراته وهو يتحدّث إليهم.

قال له جون على نحو عملي: "وكذلك أنت. أنا أيضاً لم أرغب بالذهاب. أخبرت باسكال بذلك فاكتشفت بأنّها دفعت عربوناً للمنزل قبل أن أوافق عليه. ولكن أين المشكلة؟" شعر ببعض الارتباك وهو يقول ذلك. وكان قد دفع المال لأمّها منذ وقت طويل ووافق على الذهاب. "ستكون رحلةً ممتعة. لمَ لا ترافقنا؟ لا أعتقد بأنّ آن كانت لتريد منك البقاء". فهي أكثر سماحةً من ذلك بكثير كما يعرفون جميعاً.

أجابه روبرت بهدوء وهو يفكّر في الأمر: "ربّما، قد تستمتع أماندا بالرحلة، وربّما انضمّت إليّ في جزء منها على الأقلّ. ليس عليّ البقاء طيلة المدّة".

قالت ديانا: "ثمّة متّسع كاف لجيف ومايك أيضاً، إن أتيا بالتناوب. وأعتقد بأنّ كاثرين وجون سينضمّان إلينا أيضاً لبضعة أيّام". تبادل جون وباسكال النظرات. كانت تعرف بأنّه لا يحبّ فكرة استضافة أولادهم. ولكنّ باسكال قمعته بنظرة منها، فلم يقل شيئاً.

"الولدان ذاهبان إلى شيلتر آيلند في الصيف، ولن يكون لديهما الوقت للمجيء إلى فرنسا. ولكنّ ماندي حرّة، سوف أسألها. قد يفيدني مجيئها معي".

قالت ديانا: "سوف تستفيد في الحالتين". لاحظت باسكال مجدّداً تلك الليلة بأنّها تبدو متوتّرة. ولكنّ إريك كان مرحاً ويعاملها برقّة متناهية. غير أنّ باسكال لاحظت بُرود ديانا نحوه، على غير عادتها. فهما حنونان ومفعمان بالعاطفة عادة.

اكتفى روبرت بالقول: "سأعلمكما بقراري النهائي خلال بضعة أيّام". واتّصل بباسكال قبل يوم من رحيلها ليخبرها بموافقة ماندي. سوف ترافقهم لخمسة أيّام. ولم يكن أكيداً بعد من مدّة إقامته ولكنّه يعتقد بأنّه سوف يمكث معهم لأسبوعين.

شعرت باسكال بالسرور وهي تجيبه: "يمكنك المكوث قدر ما تشاء، فهو منزلك أيضاً".

"سوف نرى". ثمّ فاجأها بقوله: "قد أحضر معي أحداً". تلا ذلك صمت طويل بينما جاهدت باسكال لإيجاد الكلمات المناسبة وسؤاله عمّا يعنيه.

"أحد؟".

"لا أعرف بعد، سوف أخبركم حين أتأكّد". أرادت باسكال سؤاله عمّن يكون، ولكنّها لم تجرؤ. ولم تتمالك نفسها من التساؤل ما إذا كان رجلاً أم امرأة. كانت تعرف بأنّه من غير الممكن أن يكون هذا الشخص غوين توماس لأنّه التقى بها للتوّ. بيد أنّها تساءلت الآن ما إذا كان يقابل امرأة أخرى. كانت تعرف بأنّه ما زال حزيناً على آن ويبدو في غاية الكآبة كلّما تحدّث عنها، ولكنّها لاحظت خلال عشائهم الأخير معاً بأنّه بحالة جيّدة جدّاً. كان يخرج أكثر ممّا فعل منذ سنوات، يرى الناس ويخرج لتناول العشاء ويلعب التنس. بدا أكثر شباباً وصحّة من قبل، كما أنّ خسارة بعض من وزنه ناسبته جدّاً. كان من الغريب التفكير به كرجل عازب، ولكن عليها الاعتراف بأنّه جذّاب جدّاً، كما بدا فجأة أكثر شباباً ممّا كان عليه مع آن.

أعطته باسكال رقمها في باريس وأخبرته بأنّها سوف تذهب إلى سان تروبيز قبل يومين من بدء مدّة الإيجار. فقد أخبرها المالكون بأنّها تستطيع الإقامة فيه باكراً لتهوئته وترتيب أمورها. فهم لم يستعملوه خلال السنتين الماضيتين.

"سيكون كلّ شيء جاهزاً لدى وصولكم". كان من المقرّر أن يصل جون والزوجان موريسون في الأوّل من آب، وقال روبرت بأنّه سيطير إليهم في الثالث منه. وقد تصل ماندي معه على الأرجح لتقضي عطلتها القصيرة.

قال لها: "اتّصلي بي إن احتجت شيئاً"، ثمّ هرع عائداً إلى المحكمة قبل أن تتمكّن من سؤاله عن الشخص الذي ينوي إحضاره معه. حتّى أنّها لم تعرف شيئاً عن تاريخ وصوله ومدّة مكوثه معهم، هذا إن حضر.

وبعد بضع دقائق، اتّصلت بديانا لتخبرها بأنّه قادم، ففرحت كثيراً. ولكنّ باسكال وجدتها متوتّرة بعض الشيء، فقرّرت أخيراً أن تسألها عمّا بها. "هل من خطب ما؟".

تردّدت ديانا للحظة واحدة ثمّ أكّدت لها بأنّ كلّ شيء على ما يرام. عندها أخبرتها باسكال عن الشخص الذي سيحضره معه روبرت.

سألتها ديانا بحيرة: "ومن يكون؟".

"لا أدري. لم أجد الشجاعة لأسأله. ربّما كان قاضياً آخر، أو محامياً. إنّه رجل على الأرجح".

"أتمنّى ألاّ تكون تلك الممثّلة"، قالت ديانا بقلق ولكنّها وافقت باسكال على أنّ هذا الأمر غير محتمل. فهما بالكاد يعرفان بعضهما ومن المبكر أن ترافقه إلى أيّ مكان، وبالطبع ليس إلى فرنسا. ولدى وصولهم إلى سان تروبيز يكون قد مضى على وفاة آن أقلّ من سبعة أشهر.

"أنا سعيدة لأنّ ماندي سوف ترافقه، سيسرّه ذلك". مع أنّه لن يسرّهم كثيراً. فماندي فتاة لطيفة وتحبّ والدها، ولكنّها لم تكن على وفاق تامّ مع والدتها، وهذا الخلاف كان يمتدّ أحياناً إلى أصدقاء والدتها أيضاً. لذا فإنّ وجود فتاة في سنّها معهم لم يكن سهلاً عليهم دائماً.

قالت باسكال: "روبرت لا يحتاج إلى ماندي حقّاً، فهي صعبة بعض الشيء أحياناً، كما اعتادت على إثارة أعصاب آن". فقد عرفت آن سنوات صعبة معها. ولطالما كان التعامل مع الصبيّين أسهل عليها.

قالت ديانا بروح طيّبة: "لا بأس، كانت أصغر سنّاً حينها، ولن تمكث سوى خمسة أيّام. وجودها سيسعده، أنا مسرورة لأنّه قرّر المجيء".

أجابتها باسكال بسعادة: "أنا أيضاً". استغرق إقناعه خمسة أشهر بعد وفاة زوجته. وبعد ستّة أسابيع سيكونون جميعاً في فرنسا معاً، الأمر الذي أسعد باسكال كثيراً.

ألحّت عليها ديانا قائلة: "اتّصلي بي حين ترين المنزل"، فوعدتها بأن تفعل. وأضافت: "أنا واثقة بأنّه رائع"، فضحكت باسكال. كانت لا تزال قلقة على ديانا، وتمنّت فقط بألاّ تكون مشكلتها صحيّة. فبعد وفاة آن، أصبحت أكثر قلقاً من العادة على صحّة صديقتها. وقرّرت أنّه مهما كان سبب انزعاج ديانا مؤخّراً، سوف تتحدّثان عنه في فرنسا.

ضحكت باسكال وقالت: "إن لم يكن المنزل رائعاً سيقتلني جون، فهو ما زال يبكي على ما أنفقه".

"المنزل يستحقّ كلّ قرش دفعناه. ولكن إن لم يتصرّف بهذا الشكل لما عرفناه". فالباقون دفعوا حصصهم من دون تذمّر واعتقدوا بأنّه سعر عادل، باستثناء جون. وكان ما زال يتذمّر من السعر عندما غادرت باسكال إلى فرنسا.

كالعادة، كانت في غاية الحماس للعودة إلى ديارها، ورؤية أصدقائها القدامى، وزيارة مطاعمها ومتاجرها المفضّلة. أمضت عصر أحد الأيّام في اللوفر تبحث عن معروضات جديدة، كما قصدت بعض محلاّت التحف في الضفّة الغربيّة. ذهبت إلى المسرح، واستمتعت بعدد من الأمسيات الهادئة مع أمّها وجدّتها وخالتها. كانت زياراتها إلى فرنسا تزوّدها بالطاقة للعام كلّه. وسرّها في تلك الزيارة أن ترى أمّها بحالة صحيّة جيّدة. وكما قال جون عن

حماته، كانت أمّ باسكال تتذمّر منه على نحو متواصل. فبالنسبة إليها كان قصيراً جدّاً، سميناً جدّاً، لا يعمل بجهد كاف، ولا يجني ما يكفي من المال، كما أنّه يلبس مثل الأميركيين ولم يبذل أيّ مجهود لتعلّم الفرنسيّة. ولكنّ باسكال اعتادت على الدفاع عن كل منهما أمام الآخر وعدم الإصغاء إلى أمّها وهي تعدّد خصاله السيّئة. كما أنّها لم تقل شيئاً عن ذلك لجون حين اتّصلت به، ولكنّه لم يتردّد في رشق حماته ببعض الإهانات وهو يتحدّث مع باسكال على الهاتف. كانا هو وأمّها ملائمين لبعضهما تماماً. وفي خضمّ كلّ ذلك، لم تقل خالة باسكال شيئاً. فهي صمّاء تماماً ولا يمكنها أن تسمع ما تقوله شقيقتها عنه، لذا اعتقدت دوماً بأنّ جون هو رجل بالغ اللطف. لم يحزنها سوى أنّهما لم يرزقا بأطفال، ولكن هذا الأمر لم يزعج باسكال على ما يبدو. كما أنّ جدّة باسكال تنام معظم الوقت ولطالما ظنّت بأنّ جون رجل جيّد.

كلّما رجعت باسكال إلى عائلتها، كانت تستعيد صفاتها الفرنسية بالكامل. فتصبح لكنتها الإنكليزية ثقيلة بعض الشيء وتنسى كلمات مألوفة وهي تتحدّث مع جون على الهاتف. تجمع الروايات الفرنسية لتقرأها ليلاً، وتأكل وجباتها المفضّلة وتدخّن سجائر غولواز. وكلّ حركة وكلّ إيماءة، كلّ عبارة وكلّ كلمة تصبح فرنسيّة أصيلة.

وحين غادرت إلى جنوب فرنسا في آخر تمّوز، كانت مسترخية وبأحسن حال. إذ خسرت بعضاً من وزنها، بالرغم من وجبات العشاء الدسمة التي تناولتها والجبن والحلوى التي تحبّها. وذلك لأنّها مشت كثيراً في أنحاء باريس وبدت في أفضل أحوالها. وفي اليوم الذي سبق رحيلها إلى سان تروبيز، سافرت أمّها وخالتها إلى إيطاليا، كالعادة. فغادرت الشقّة بهدوء، إذ كانت جدّتها نائمة كعادتها، وأخبرت الممرّضة بطريقة الاتّصال بها في جنوب فرنسا.

كانت الطائرة المسافرة إلى نيس مكتظّة بالأزواج والعائلات والأطفال، فضلاً عن جبال من الحقائب وأكياس التبضّع المحتوية على قبّعات القش

والأطعمة وكل ما يمكن أن يخطر على بال. كانت كل الأماكن محجوزة، ولكنّ جوّاً من الفرح سيطر على المسافرين. فعلى غرار معظم الفرنسيّين، كان لدى معظمهم شهر إجازة وكانوا متوجّهين لقضائه في جنوب فرنسا. وكثير منهم أحضروا كلابهم معهم. فما من أحد باستثناء الإنكليز يحبّ كلابه أكثر من الفرنسيّين. الفرق الوحيد هو أنّ الإنكليز يعاملون كلابهم ككلاب. أمّا الفرنسيّون فيصطحبونها إلى المطاعم ويطعمونها على الطاولة كما يحملونها بحقائب اليد ويمشّطون وبرها. راحت الكلاب في الطائرة تنبح على بعضها مثيرة جنون الركّاب. ولكنّ باسكال لم يبدُ عليها الانزعاج، بل جلست تنظر من النافذة وتفكّر بالأوقات السعيدة التي سيقضونها في سان تروبيز. فقد كانت تمضي فصول الصيف في صغرها في سان جان كاب فيرات وفي الأنتيب. أمّا سان تروبيز فكانت بعيدة بعض الشيء. سيكون عليها القيادة لمدّة ساعتين على الأقلّ من نيس. وفي ازدحام السير، يكون الوضع أكثر سوءاً. وأفضل وسيلة للوصول إلى هناك من باقي مناطق الريفييرا هي الزورق.

حين حطّت الطائرة في مطار نيس، جمعت باسكال حقائبها. كانت قد اشترت بعض الملابس من باريس، ما أضاف حقيبة ثالثة إلى حقيبتيها اللتين أحضرتهما معها من الولايات المتحدة. وكانت تأمل إيجاد حمّال لمساعدتها على الوصول إلى مؤجّر السيّارات. كانت تعلم أنّه لو كان جون معها لأجبرها على حمل حقيبتين على الأقلّ من حقائبها ولتذمّر من حمل الباقي. كانت تحمل حقيبة هيرميس فضلاً عن حقيبة بحر كبيرة من القشّ. لا شكّ بأنّ أمتعتها كثيرة. وضعها الحمّال بسرور في صندوق سيارة البيجو التي استأجرتها وعلى المقعد الخلفي. وبعد نصف ساعة من وصول باسكال إلى نيس، كانت في طريقها إلى سان تروبيز.

من الطبيعي في ذلك الوقت من العام أن تكون الطرقات مزدحمة بعدد كبير من السيارات المكشوفة والرجال الوسيمين والنساء الجميلات، فضلاً عن قطيع حقيقيّ من الدو شوفو، تلك السيارات الصغيرة التي تتكاثر كالأرانب في

فرنسا. ولكنّ جون لا يجدها آمنة. ومع أنّه اشتكى من غلاء سعر السيارة العادية الحجم، إلاّ أنّه طلب منها دوماً استئجار إحداها. علماً أنّها كانت لتفضّل سيارة دو شوفو، (أي حصانان)، التي تبدو في الواقع وكأنّها حصان واحد.

كانت الساعة السادسة تقريباً حين وصلت باسكال إلى سان تروبيز. سلكت د98 بعد ن98 ود25، ثمّ قادت سيّارتها على طول لا روت دي بلاج (طريق الشواطئ) حسب التعليمات التي أعطيت لها، وبعد عشرين دقيقة كانت لا تزال تبحث عن العنوان وخائفة من أن تكون قد سلكت منعطفاً خاطئاً. شعرت بالجوع يقرص معدتها ولكنّها أرادت وضع حقائبها في المنزل قبل أن تبحث عن مكان تأكل فيه. كانت تنوي شراء البقالة في اليوم التالي. وفيما كانت تفكّر بالأمر، مرّت أمام عمودين حجريّين متداعيين وبوّابة حديدية تآكلها الصدأ. ابتسمت لنفسها وهي تفكّر بمدى سحر المكان. كانت سعيدة جدّاً للعودة إلى فرنسا. تابعت طريقها بعد أن عبرت من أمام البوّابة بالسرعة القصوى. ولكن بعد عشر دقائق، تحقّقت من أرقام المنازل وأدركت بأنّها تجاوزت العنوان. استدارت وعادت أدراجها ولكنّها تجاوزته مجدّداً. وهذه المرّة، بعد أن استدارت مرّة أخرى، سارت ببطء شديد. كانت تعرف بأنّ المنزل يجب أن يكون في مكان ما في هذه المنطقة، وبأنّ المدخل مخبّأ على ما يبدو. أخيراً حدّدت موقع الرقم الذي يسبقه وأوقفت السيّارة لتبحث عنه. فوجدت نفسها أمام الأعمدة المتداعية من جديد. وحين أمعنت النظر، عثرت على لوحة صغيرة متّسخة معلّقة بمسمار واحد صدئ. ولكن من الواضح أنّه ثمّة خطأ. فالبوّابة الحديديّة الصدئة كانت تحمل رقم الشارع الصحيح لمنزلهم. كما كتب على اللوحة بوضوح "Coup de Foudre" التي تعني بالفرنسية حرفيّاً "صاعقة" ولكنّ معناها الأكثر شاعريّة هو "حبّ من النظرة الأولى". كان الغسق قد حلّ في تلك الليلة الدافئة على نحو غريب، فقادت السيّارة بهدوء عبر البوّابة. كان الطريق ضيّقاً ومتعرّجاً نمت على جنباته شجيرات عشوائيّة أخذت تحتكّ بالسيّارة وهي مارّة فيما اجتاحت باسكال موجة من الذعر. لم يكن هذا هو المدخل الذي توقّعته أو رأته في

الإعلان. بعض الأعشاب النامية في وسط الطريق كانت مرتفعة إلى حدّ اضطرّ باسكال إلى الانعطاف حولها بالسيارة. كانت أشبه بالشجيرات في الواقع. كلّ النباتات كانت بحاجة إلى تشذيب. بدا المكان أشبه بمشهد مأخوذ من فيلم رعب أو لغز جريمة، وضحكت على نفسها وهي تسلك المنعطف الأخير لترى المنزل. أقرّت بأنّ المدخل مخبّأ فعلاً، إذ يستحيل رؤية شيء من المنزل من الطريق. وما إن اكتمل مشهد المنزل أمامها حتّى ضغطت بقوّة على المكابح وتوقّفت. كان المنزل عبارة عن فيلاً ضخمة للعطلات، تماماً كما بدا في الصور، مع نوافذ فرنسيّة جميلة وجدران مكسوّة بنبات اللبلاب، ولكنّ الصور التي رأوها أخذت على الأرجح منذ خمسين عاماً. ويبدو بأنّ المنزل مهجور منذ ذلك الحين من دون أن يتمّ ترميمه مطلقاً. وشكّت على الفور بأنّ ملاّكه لم يأتوا إليه منذ أكثر من سنتين، هذا ما لم نذكر المصوّر الذي التقط الصور لأن أعشاب الحديقة الأماميّة كانت مفرطة النموّ تخالطها أعشاب ضارّة بارتفاع الخصر تقريباً. كما كان ثمّة مفروشات قديمة محطّمة في الحديقة متناثرة هنا وهناك، ومظلّة بالية فوق طاولة حديديّة صدئة إلى حدّ أنّ من يأكل عليها سيحتاج من دون شكّ إلى حقنة ضدّ الكزاز. بدا المكان وكأنّه مأخوذ من فيلم سينمائيّ، وللحظة أرادت أن تسأل ما إذا كانت تلك مزحة وحسب. ولكن من الواضح أنّها ليست كذلك. هذا هو منزلهم. وبالنسبة إلى باسكال لم يكن بالتأكيد "حبّاً من النظرة الأولى"، بل هو أقرب إلى الصاعقة منه إلى الحبّ الأوّل.

"تبّاً"، قالت بهدوء وهي جالسة تحدّق بالمكان من السيارة. كلّ ما بقي أمامها هو الدعاء بأن يكون المصوّر أكثر صدقاً في تصوير داخل المنزل. ولكنّ هذه الأمنية بدت لها مستبعدة وهي تخرج من السيّارة وتتعثّر بحفرة. كانت الدروب المحيطة بالمنزل مليئة بالحفر بينما توزّعت هنا وهناك برك من الوحل. كان ثمّة بعض الزهور البريّة، أمّا أحواض الزهور الأنيقة الموجودة في الصور فلا بدّ بأنّها اختفت منذ سنوات. ثمّ خطر لها أن تطلق بوق السيّارة، فهي تعلم بأنّ ثمّة امرأة وزوجها بانتظارها وقد كتبت لهما لإعلامهما بأنّها

ستصل اليوم. ولكن بالرغم من الضغط على البوق عدّة مرّات، لم يجبها أحد، فسارت بحذر شديد نحو الباب الأماميّ.

وجدت جرس الباب فرنّته، ولكن لم يفتح لها أحد. كلّ ما وصل إلى مسمعها هو أصوات نباح كلاب، وافترضت من صوتها بأنّها مائتان من الجراء على الأقل. مضت خمس دقائق تقريباً قبل أن يجيب أحد، ثمّ سمعت في النهاية صوت خطوات داخل المنزل. وقفت باسكال هناك وقد انتابها القلق إلى أن فتح الباب أخيراً، وكلّ ما تمكّنت من رؤيته هو كرة كبيرة من الشعر الأجعد الأشقر المشعّث، الذي أحاط برأس امرأة على نحو مستقيم تقريباً. بدا أشبه بشعر مستعار في فيلم مخيف من أفلام الستينيّات، يعلو وجهاً صغيراً مستديراً. كلّ ما تذكّرته باسكال في تلك اللحظة أنّ اسم المرأة هو أغات، لفظته بتردّد وهي تحاول عدم التركيز كثيراً على الشعر.

"نعم، أنا أغات". إنّها هي. بالطبع هي. ومن غيرها؟ كانت ترتدي قميصاً من دون أكمام بدا بأنّ ثدييها سيفيضان منه، وبعدما عبرت بنظرها على معدتها المكتنزة، رأت أقصر سروال وقعت عليه عيناها. بدا جسدها مستديراً بأكمله، مثل الطابة، من دون خصر تقريباً. كانت عبارة عن معدة وثديين، ونعمتها الوحيدة هي أنّها تملك ساقين جميلتين. ولسوء حظّ باسكال كانت ترتدي حذاءً بارتفاع ستة إنشات، شبيه بالموضة التي راجت في الخمسينيات. نظرت شزراً إلى باسكال من دون اكتراث، بينما تدلّت من فمها سيجارة غولواز ملفوفة بورق الذرة الأصفر. ارتفع الدخان ببطء في خطّ رماديّ طويل أجبرها على إغماض إحدى عينيها. كانت مشهداً يستحقّ التوقّف عنده، وكانت تدور حولها ثلاثة جراء بيضاء من فصيلة البودل، مسرّحة بعناية وهي تنبح على نحو هستيري. وخلافاً لمالكتها، بدت وكأنّها خرجت للتوّ من عند مزيّن الشعر، وكان كلّ منها يرتدي طوقاً ورديّ اللون. واصلت باسكال التحديق بالمرأة، محاولة من دون وعي تحديد سنّها. كانت في العقد الرابع أو حتّى في العقد الخامس، ولكنّ بشرة وجهها الصغير النضر بدت ناعمة.

عرّفتها باسكال على نفسها، وحاول أحد الجراء عضّ كاحلها، فيما انقضّ آخر على حذائها، ولم تكلّف أغات نفسها عناء إبعادها.

"لن تؤذيك"، طمأنتها وهي تفسح لها الطريق، فتمكّنت باسكال من إلقاء نظرة على غرفة المعيشة. بدت وكأنّها مأخوذة من فيلم عروس فرانكشتاين. كان الأثاث قديماً وبالياً، حتّى أنّه يمكن للناظر رؤية بيوت العنكبوت تتدلّى من السقف والثريّا، كما أنّ قطع السجّاد العجمي التي يفترض أن تكون أنيقة كانت رثّة بالكامل. للوهلة الأولى، لم تعرف باسكال ماذا تقول، فما كان منها سوى أن حدّقت بالمرأة عاجزة عن تصديق ما تراه.

سألتها بصوت بدا أشبه بالنعيب: "أهذا هو المنزل الذي استأجرناه؟" وراحت تدعو الله بأن تجيبها المرأة بأنّ المنزل الذي استأجرته يقع على مقربة منه على الطريق. وحين هزّت أغات رأسها وهي تضحك بصوت خافت، غاص قلب باسكال بين ضلوعها. في تلك اللحظة، كان الجرو الثالث ينقضّ بنهم على حذائها الآخر. لم يكن على الإطلاق حبّاً من النظرة الأولى، في ما عدا بالنسبة إلى الجراء ربّما.

شرحت لها أغات بمرح: "كان مغلقاً لفترة. ومع بعض من أشعّة الشمس غداً، سيكون رائعاً". سوف يحتاج المنزل إلى أكثر من أشعّة الشمس ليبدو أكثر من قبر. لم ترَ باسكال في حياتها شيئاً بهذه الفظاعة. الشيئان الوحيدان اللذان عرفتهما من الصور هما الموقد والمنظر الذي يطلّ عليه المنزل، وكلاهما جذّاب على نحو استثنائيّ. أمّا الباقي فكان كارثة حقيقيّة، ولم تملك أدنى فكرة عما عليها فعله. سيصل الباقون بعد يومين. ليس أمامها سوى الاتصال بالسمسار واسترجاع أموالهم. ولكن ماذا تفعل بعد ذلك؟ أين سيقيمون؟ في هذا الوقت من السنة، جميع الفنادق محجوزة. ومن غير الممكن الذهاب إلى إيطاليا والإقامة مع أمّها. تسارعت أفكارها، بينما بدت المرأة ذات الشعر الأشقر مستمتعة بالموقف.

"حدث الأمر نفسه لأشخاص قدموا من تكساس في العام الماضي".

"وماذا فعلوا؟".

"ادّعوا على السمسار والمالك واستأجروا يختاً". تلك فكرة جيّدة على الأقلّ.

"هل أستطيع رؤية الباقي؟" سألتها باسكال بضعف، فهزّت أغات رأسها، وراحت تضرب الأرض من جديد بحذائها العالي الكعبين. كانت الجراء قد اعتادت الآن على باسكال واكتفت بالوقوف وهي تنبح عوضاً عن مهاجمتها، بينما أخذت أغات تأمرها بالابتعاد. كانت الجراء صاخبة بشكل لا يصدّق، حتّى أنّ باسكال ودّت قتلها وهي تتبع أغات عبر غرفة المعيشة.

غرفة المعيشة فسيحة، تماماً كما بدت في الصور، ولكنّها لا تحوي أيّاً من قطع الأثاث التي رأوها. أمّا غرفة الطعام فكانت طويلة وخالية، تحتوي على طاولة طعام قديمة وكراسي كانتا متسخة، تعلوها ثريّا بدت وكأنّها تتدلّى من خيط. ومع أنّ الطاولة مكسوّة بقطرات الشموع، إلاّ أنّ أحداً لم يكلّف نفسه عناء تنظيفها منذ سنوات على ما يبدو. ولكن حين رأت باسكال المطبخ، شعرت وكأنّها تلقّت لكمة في معدتها، وصدر عنها أنين خافت. كان قذراً للغاية، ويحتاج إلى خرطوم إطفاء الحريق لتنظيفه. فالشحوم والسخام يغطّيان كلّ ما فيه، وهواؤه مثقل برائحة الطعام القديم. من الواضح بأنّ أغات لم تضيّع وقتها في تنظيف المنزل.

كانت غرف النوم أفضل بقليل، كبيرة، مرتّبة ومهوّأة. كلّ ما فيها كان أبيض اللون تقريباً، باستثناء قطع السجّاد المعرّقة الرثّة المفروشة على الأرض. ولكنّ منظر البحر الذي تطلّ عليه غرف النوم كان خلاّباً إلى درجة أنّ ما من أحد قد يلاحظ أو يهتمّ لمدى حاجة الغرف إلى الديكور. ومن المحتمل قليلاً أنّه لو بذلت أغات بعض الجهد وملأ أحدهم الغرف بالأزهار، يمكن للمرء في الواقع أن يقضي ليلة فيها. كانت غرفة النوم الرئيسيّة هي الأفضل، ولكنّ الغرف الباقية لا بأس بها أيضاً، وكلّ ما تحتاجه هو الصابون والتلميع والهواء.

"هل أعجبتك؟" سألتها أغات، فتردّدت باسكال في الإجابة. إن أقاموا في المنزل، وهو أمر مستبعد، سيكون عليهم الكثير من العمل. ولكنّها لم تستطع أن تتخيّل كيفيّة ذلك، فهي تعلم بأنّ رفاقها معتادون على الرفاهية. فديانا تحبّ الكمال في كلّ شيء، وكذلك إريك، كما تعلم بأنّ لا جون ولا روبرت يتوقّعان

هـذه الكارثـة، لا سيّما مع الثمن الذي دفعاه. إلاّ أنّها لا تعرف ماذا تقدّم لهم عوضـاً عنه، ولم يعجبها التخلّي عن أمل قضاء شهر في سان تروبيز. وهي أكيدة أيضاً بأنّ جون لن يتركها تعيش بسلام إن رأى المنزل. فما كان منها إلاّ أن حمـدت الله لأنّ أمّهـا ليسـت هـي من وجده، وكانت قد نوت تدبّر أمر السمسار بنفسها. لربّما أمكنه إيجاد منزل آخر لهم.

ألقـت نظـرة على الحمامات، فتأكّدت أسوأ مخاوفها. كانت تمديدات أنابيب الصرف تعود إلى أربعين أو خمسين عاماً، والأوساخ التي تغطّي المكان موجودة منذ ذلك العهد على الأقلّ. من الواضح بأنّ أغات لا تنظّف الحمامات أو النوافذ أو الأرضـيات أو أيّ شـيء آخـر. كان المكان مثيراً للاشمئزاز، ولا تستطيع لوم الأشخاص الآتين من تكساس الذين قاضوا المالك والسمسار. كانت تفكّر بفعل ذلك هي نفسها. وشعرت فجأة بالغضب والخيبة الشديدين إلى حدّ أرادت معه الصراخ.

"هذا مخزٍ"، قالت لأغات بنظرة لم تكن فرنسية وحسب، بل باريسيّة، ولو تجـرّأت لـركلت الجـراء الثلاثة التي لم تتوقّف عن النباح. "متى نظّف هذا المنزل آخر مرّة".

"هذا الصباح، مدام"، أجابت أغات التي بدت وكأنّها تلقّت إهانة، بينما هزّت باسكال رأسها بغيظ لم تحاول إخفاءه. من الواضح بأنّ أحداً لم ينظّف المكان منذ سنوات. "وماذا عن البستانيّ، الرجل؟ زوجك. ألا يمكنه مساعدتك هنا؟".

"ماريوس لا يقوم بالأعمال المنزلية"، قالت أغات بتكبّر وهي تقف وتفرد طـولها الذي يتجاوز بالكاد طول باسكال، حتّى مع كعبيها العاليين. كما كانت أسمن منها بثلاث مرات.

"إذاً، قـد يضطرّ إلى ذلك، إن كان علينا البقاء"، حذّرتها باسكال وعيناها تلمعان غضباً، ثمّ توجّهت إلى الطابق السفليّ لاستعمال الهاتف. كان ثمّة هاتف واحد في المطبخ. كانت باسكال تخشى لمسه، فهو لم يكن أقلّ اتّساخاً بالشحوم من الفرن. وحين ردّت المرأة في مكتب السمسار، انفجرت فيها غضباً: "كيف أمكـنك... كـيف تجرّأت..." وراحت تهدّدها بالدعاوى القضائيّة، والتشويه،

والقتل وأمرتها بأن تعثر لهم على منزل آخر أو أجنحة في فندق. ولكنّ الإقامة فـي فندق لن تكون ممتعة كما في منزل، هذا من دون ذكر كلفتها. وانكمشت خوفاً وهي تفكّر بجون، ثمّ انقضّت على السمسارة من جديد. "ما من سبيل إلى الـبقاء هنا، لا يمكن العيش في هذا المنزل... إنّه قذر... مقرف... هل رأيته؟ بـم كـنت تفكّرين بالضبط؟ المنزل لم يعرف النظافة منذ دهور". وبينما كانت تقـول ذلك، دخلت أغات بغضب مع قطيع الجراء. بقيت باسكال على الهاتف مـع السمـسارة لنصف ساعة. فوعدتها بالمجيء في الصباح لترى ما يمكنها فعله، ولكنّها أكّدت لباسكال عدم وجود مكان آخر للاستئجار في سان تروبيز. وأصـرّت علـى أنّ هـذا المنـزل جيّد وأنّ كل ما يلزمه هو بعض التنظيف بالمكنسة والصابون. فصرخت بها باسكال التي فقدت أعصابها: "هل أنت مجنونة؟ هـذا المكان بحاجة إلى قنبلة ذريّة. ومن سوف يقوم بذلك؟ سيصل أصدقائي بعد يومين. وهم أميركيّون. هذا بالضبط رأيهم بفرنسا. لقد أثبتّ كلّ ما يقوله عنّا الناس في الخارج. إرسال تلك الصور كان غشّاً، لقد سرقت مالنا، وهذا المنزل لا يتعدّى أن يكون زريبة حيوانات. هذا مخزٍ"، اتّخذ حديث باسكال منحىً شاعريّاً إذ تابعت تقـول: "أنـت لم تخونيني فحسب، بل خنت فرنسا". أرادت قتلها في الواقع بينما اسـتمرّت المرأة بطمأنتها بأنّ رفاقها سيحبّون المنزل، وبأنّه رائع فعلاً. "ربّما كان كذلك يوماً ما، ولكن لم يعد كذلك منذ وقت طويل".

حاولـت السمـسارة تهدئـتها قائلـة: "سـوف أرسل غداً فريق تنظيف للمساعدة"، ولكن من دون جدوى.

"احرصـي علـى أن تكونـي هنا غداً أنت شخصيّاً في السابعة صباحاً، ومعك شيك بنصف المبلغ الذي دفعناه، وإلاّ فسوف أقاضيك. وأحضري الفريق معك. في الواقع، يمكنك العمل معي هنا لليومين القادمين، ومن الأفضل لك أن يكون فريق التنظيف جيّداً".

"بالطـبع"، قالت السمسارة بشيء من الفخر. كانت صديقة السمسار الذي تعـرّفت علـيه باسـكال في باريس، وقد أكّدت لها باسكال بأنّها ما لم تجترح

معجزة، ستجعل سمعتها مع الوكالة في باريس في الحضيض على الفور. "سأفعل ما بوسعي لمساعدتك".

"أحضري عدداً كبيراً من الأشخاص والكثير من معدّات التنظيف، والكثير الكثير من الصابون".

أجابت السمسارة بغطرسة: "سأفعل ما بوسعي لخدمتك".

"شكراً"، قالت باسكال وهي تصرّ على أسنانها، وتحاول السيطرة على أعصابها، ولكنّ الوقت كان قد فات. فقد انتقمت من المرأة، التي استحقّت ذلك بعد أن خدعتهم واحتالت عليهم. وبينما كانت باسكال تغادر المطبخ، قفزت فزعاً، وراحت تحدّق إلى رجل بدا لها أنّه بطول عشرة أقدام. كان طويلاً، نحيفاً ومخيفاً، ذقنه وشعره طويلان، يرتدي رداء سرواليّاً أميركيّ الطراز من الدنيم من دون قميص، مع حذاء جلديّ. بدا أشبه بمتشرّد يتجوّل في المنزل. وبعد أن هبط قلبها مرّة أخيرة، خمّنت باسكال من يكون. كان يحمل أحد الجراء الفرنسية المستمرّ بالنباح، ويسوّي له الطوق الورديّ بحنان. لا بدّ بأنّه زوج أغات، ماريوس. وحين سألته باسكال، انحنى لها احتراماً.

"في خدمتك مدام، أهلاً وسهلاً". ودّت لو تركله على ساقيه بسبب حالة الحديقة. من المفترض به أن يكون البستانيّ والسائق.

قالت له باسكال بفظاظة: "لديك كثير من العمل لتقوم به. هل تملك جزّازة عشب؟" شحب لونه للحظة، وكأنّها سألته عن آلة غامضة لم يسبق له أن سمع بها.

"نعم، أظنّ ذلك".

"أريدك أن تبدأ إذاً بجزّ العشب عند السادسة صباحاً. ستحتاج إلى النهار بطوله لتنظيف الحدائق".

"آه، ولكن مدام... كلّ هذا الجمال...".

أجابته باسكال وهي تحدّق به فيما كان يداعب الجرو: "الأعشاب الضارّة ليست جميلة. الحديقة قبيحة والعشب الأمامي مقزّز. أنا لا أسألك، بل آمرك

بفعل شيء حيال ذلك. وبعد أن تنتهي، سوف نحتاج إلى مساعدتك في الداخل. أمامنا الكثير من العمل غداً". لمحت ماريوس وأغات يتبادلان النظر، ولم يبدُ عليهما الرضى.

قالت أغات: "ظهره يؤلمه، لا يمكنه إجهاد نفسه. هذا العمل متعب جدّاً بالنسبة إليه". من الواضح بأنّه لم يكن يتجاوز الخامسة والأربعين من عمره، إلاّ أنّه بدا كسولاً أكثر منه متعباً. كان في ابتسامته شيء من البلاهة، وعدم تركيز في تعبير وجهه. وحين انحنى لها للمرّة الثالثة، بدت وقفته غير ثابتة. ولكنّ باسكال لم تهتمّ على الإطلاق. سوف تنبّهه بالقهوة لو احتاج الأمر أو تجبره على زيادة سرعته. عليه أن يقوم بالعمل. فما من أحد غيره في الوقت الحالي. والله وحده يعلم من سيكون في *فريق* التنظيف الذي ستحضره السمسارة.

قالت باسكال بنظرة تنذر بالسوء: "لدينا يومان قبل أن يصل الباقون. وحين يصلون، سيكون هذا المنزل نظيفاً". كان واضحاً، بالنسبة إليهما بأنّها عاشت مدّة طويلة في أميركا. ولكن مهما كانت فكرتهما عنها، فلقد كانت مصمّمة على الحصول منهما على ما تريده. فاستقامت في وقفتها وهي تنظر إليهما، وكانت في تلك اللحظة معلّمة الباليه والطاغية التي يجب أن تكون. ثمّ سألت أغات: "هل تطبخين؟" فالإعلان يقول بأنّها تطبخ.

"ليس كثيراً"، أجابت وهي تهزّ كتفيها بلا مبالاة وتوقع الرماد على صدرها. فنفضته لكي لا يقع على الجرو الذي تضمّه إليها. كان الثالث على الأرض ينبح بكلّ ما أوتي من قوّة. شعرت باسكال عندها بصداع قويّ. وارتأت وهي تتأمّل وجبةً أعدّتها أغات أنّه من الأفضل ألاّ تتولّى الطبخ. بمقدورها تولّي هذه المهمّة بنفسها والذهاب إلى مطاعم في سان تروبيز، إن قبل جون بذلك.

"هل تريدينني أن أحضر الحقائب؟" سأل ماريوس بلطف وهو يزفر الدخان في وجهها. شبّهته بتنّين ينفث النار وهي تنظر إليه. أرادت القول بأنّها

تفضّل الذهاب إلى أحد الفنادق، ولكنّها أدركت بأنّها لو فعلت، وعثرت على غرفة، لن يتمّ إنجاز العمل. هذان الزوجان بحاجة إلى مراقبة مستمرّة، وإلى يد من حديد، وعود من الديناميت لحثّهما على الحركة. كما أنّ نوم الجراء من شأنه أن يساعد، غير أنّها كانت آخر همومها في تلك اللحظة. فأعطت ماريوس مفاتيح السيّارة.

عاد بعد برهة مع الحقائب وسألها: "الجناح الرئيسي، مدام؟" كان يحمل اثنين من حقائبها ويتقدّم بشعره الطويل ردائه السروالي وحذائه الجلدي المضحك. رغبت بالضحك لمجرّد النظر إليه. كان الموقف بأكمله مضحكاً.

"أجل، يمكنك ذلك". من الممكن دوماً إعطاء الغرفة لاحقاً للزوجين موريسون، ولكنّها وجدت أنّ لا بأس بالاستئثار بها في الوقت الحاضر. فأخذ الحقائب إلى غرفة النوم الرئيسية، وجلست بنظرة يأس على الكرسي الوحيد. عندها، سمعت الرفّاصات وهي تشقّ قماش الكرسيّ وتتدلّى إلى الأرض. تركها ماريوس وأغات بعد بضع دقائق، فجلست هناك تحدّق من النافذة. كان المنظر رائعاً والمنزل كارثة. لم تكن متأكّدة ما إذا كان عليها أن تضحك أم تبكي. خطر لها الاتصال بديانا، ولكن ماذا ستقول لها؟ لم ترغب بتخييب أملها هي وإريك، وروبرت أيضاً، كما أنّها لم تجرؤ على التفكير بما سيقوله جون. فراحت تدعو الله بألاّ يتّصل بها لأنّه سيعرف بما يجري من صوتها. ولكن من حسن حظّها، كانت تعرف مدى انشغاله قبل السفر. ليس أمامها سوى أن تحاول التعويض عليهم عبر تحسين حالة المنزل. سوف تحتاج إلى معجزة لإتمام العمل في يومين. وبينما راحت الشمس تنحدر نحو الأفق، ألقت رأسها على ظهر الكرسي القديم. شعرت بالإنهاك وبالصداع المؤلم وعلمت أنّ عليها القيام بمجهود سحري في اليومين القادمين. كانت بداية سيئة جداً لعطلتهم في سان تروبيز، ولكنّ باسكال رفضت الهزيمة. سوف تعمل على إنجاح الأمر مهما كلّفها ذلك.

6

ضبطت باسكال المنبّه على الساعة الخامسة والنصف فجراً، وحين استيقظت، ارتدت بنطال جينز وقميصاً قطنياً ونزلت إلى المطبخ لترى ما إذا كان بإمكانها العثور على بعض القهوة. وجدت ما يكفي منها لصنع قهوة مرشّحة ثمّ جلست على كرسيّ مطبخ قديم وأشعلت سيجارة بنظرة من اليأس الشديد. جلست هناك تدخّن وتتساءل ما إذا كان عليها إيقاظهما حين جرى أحد الكلاب إلى المطبخ وراح ينبح على باسكال. وبعد ثانيتين، ظهرت أغات. كانت ترتدي مئزراً فوق بيكيني أحمر بدا بأنّ جسدها المستدير يطفح منه.

سألتها باسكال بذهول: "هل ترتدين هذا للعمل؟" ولكنّ شيئاً لم يعد يفاجئها بعد الآن، سوى أنّ شعرها الأشقر الغزير المفتّح بدا أكبر حجماً من اليوم السابق. حتّى أنّها وضعت أحمر شفاه يتلاءم مع لون البيكيني وارتدت حذاءً ذا كعبين أكثر ارتفاعاً، بينما تحلّقت الجراء الثلاثة حول قدميها وكأنّها كرات بيضاء صغيرة من الفراء. وبالطبع، بدأت بالنباح حالما رأت باسكال.

"هل يمكننا برأيك وضعها في مكان ما ونحن نعمل؟" سألت باسكال أغات وهي تصبّ لنفسها فنجاناً آخر من القهوة، وأدركت بأنّها لم تأكل شيئاً منذ غداء الأمس. كانت على استعداد للتخلّي عن ذراعها اليمنى مقابل فطيرة كرواسان من مطبخ أمّها، أمّا في هذا المطبخ، فالخزائن خالية كما تبيّن لها. ولم يكن لديها وقت للذهاب إلى المتجر. أرادت أن يبدأ ماريوس وأغات بالعمل. على الأقلّ، ظهرت أغات في الوقت الذي احتاجتها فيه، وهذا إنجاز بحدّ ذاته. كما حضر ماريوس بعد خمس دقائق. قال بأنّه وجد جزّازة العشب، مع أنّها قديمة جداً.

ولكن حين تفحّصتها باسكال ووجدت فيها محرّكاً، حمدت الله وطلبت منه تشغيلها والعمل إلى أن يزيل كلّ شيء على مرمى البصر.

"كلّ شيء؟" وبدا عليه الذهول حين هزّت رأسها. وعلمت بأنّ هذه المهمّة ستستغرق منه ساعات، وهو أمر لا يرضيه. ذهبت أغات لتضع الجراء في غرفة نومها خلف المطبخ وعادت مع مماسح وصابون ومنفضة غبار راحت تلوّح بها في الهواء وكأنّها عصا ساحر، إلى أن أخذتها منها باسكال وأعطتها الممسحة وبعض مواد التنظيف، واقترحت عليها بدء العمل في المطبخ. كانت تنوي تنظيف غرفة المعيشة بنفسها.

عمدت أوّلاً إلى لفّ قطع السجّاد ووضعها في خزانة. ثمّ نفضت وسائد الأريكة والستائر وأزالت الغبار عن كلّ ما في الغرفة. كادت تختنق وهي تقوم بذلك، ولكنّ شكل الغرفة بدأ يتحسّن حين نفشت ريش الوسائد وأزالت البقع. انتقلت في ما بعد إلى تلميع الطاولات واستعملت الجرائد للنوافذ، كما علّمتها جدّتها، ثمّ لمّعت الأرض. لم تبدُ الغرفة كما في الصور على الإطلاق، ولكنّها كانت في حال أفضل حين وصلت السمسارة ومعها فريق التنظيف، وقد بدا عليها الحرّ والسأم. كانوا جميعهم من الأطفال الذين جمعتهم ذلك الصباح للقيام بكلّ ما تريده باسكال.

تجادلت باسكال مجدّداً مع السمسارة التي وافقت في الواقع على إعادة نصف المبلغ، وعلمت باسكال بأنّ جون سيفرح لذلك. ولكنّه سيفرح أكثر هو والآخرون لو تمكّنت من تنظيف المنزل. فخطرت لها فكرة.

صعدت إلى الطابق العلوي وأخرجت من حقيبتها مجموعة من الأوشحة الملوّنة التي أحضرتها معها. وراحت تفرشها وتثبّتها فوق الأرائك البالية والمكسوّة بالبقع، فبدت الغرفة مختلفة تماماً حين انتهت. أصبحت النوافذ نظيفة، وفتحت الستائر، فيما اختفت بيوت العنكبوت ولمعت الأرض كالمرآة. أمّا الأرائك والكراسي المغطّاة بالألوان الزاهية، فجعلت الغرفة تبدو بسيطة وبهيجة في آنٍ واحد. كلّ ما كان ينقصها هو الأزهار والشموع وبعض المصابيح الساطعة.

انكبّ فريق التنظيف على العمل في المطبخ، فأرسلت باسكال أغات إلى الحمّامات وطلبت منها حفّها إلى أن تلمع، بينما عمل ماريوس تحت أشعّة الشمس الحارّة في جزّ الأعشاب. وحين ذهبت لتراه، لم تجده مسروراً، ولكنّ ما يقوم به أحدث تغييراً كبيراً. وبرزت من بين الأعشاب الطويلة كراسٍ قديمة مكسورة وطاولات خشبية ذات رجلين اهترأت جميعها، فطلبت منه التخلّص منها. أخذت الأعشاب الضارّة تختفي تدريجيّاً، فيما بدت الأزهار البريّة النامية على أطراف الحديقة جميلة نوعاً ما.

كانت الساعة الثامنة مساءً حين انتهوا من العمل، ونظرت السمسارة إلى باسكال بإعجاب. لم يكن المنزل رائعاً، ولم يبدُ كما في الصور، ولكنّه تحسّن كثيراً عمّا كان عليه في اليوم السابق حين رأته باسكال للمرّة الأولى. ومع أنّ المطبخ بقي في حالة سيئة نوعاً ما، والفرن كان قديماً، ولكن على الأقلّ كلّ ما فيه أصبح نظيفاً.

شعرت باسكال بأنّها منهكة القوى، فقد عملت لأربع عشرة ساعة، ولكنّ النتيجة استحقّت التعب. قد يفاجأ الباقون حين يرون المنزل، ولكنّهم لن يهربوا من الباب وهم يصرخون. كانت السمسارة قد أحضرت معها جبناً وفاكهة وفطيرة محشوّة، تناولت باسكال بعضاً منها، ولكنّها بالكاد أكلت طيلة النهار. كلّ ما أرادته هو الانتهاء، وقد وعدتها السمسارة وهي تغادر بالعودة في اليوم التالي لإنهاء العمل. وسيكون على ماريوس جزّ مزيد من العشب. كانت أغات قد تعاطفت معه طيلة النهار، وبدا شكلها حين انتهت من العمل أكثر فوضوية ممّا كان عليه. فالبيكيني الأحمر كان يتدلّى على كتفيها، فيما اختفى الصندل العالي الكعبين، وبدا شعرها وكأنّها قد دسّت إصبعها في مقبس كهربائي. ولحسن الحظّ، لم ترَ باسكال الجراء أو تسمع نباحها طيلة النهار.

كانت باسكال جالسة في المطبخ تحدّق في الفراغ وتأكل بقايا الفطيرة، حين رنّ الهاتف وأجفلت. رفعت السمّاعة لتكتشف بأنّه جون. كان يتّصل بها

من المكتب وبدا سعيداً ومتحمّساً. فهما لم يريا بعضهما منذ ستّة أسابيع وشعر بالسرور لأنّه سيراها بعد يومين.

"إذاً، كيف وجدته؟ رائعاً؟" سألها بحماس، فأغمضت عينيها محاولة التفكير بم تجيب.

"إنّه مختلف بعض الشيء عن الصور"، أجابت وهي تتساءل عمّ سيقوله حين يراه. على الأقلّ أصبح نظيفاً الآن ويبدو أفضل بكثير، ولكنّه ليس قصراً بالتأكيد وبالكاد يشبه الصور الأنيقة التي رأوها.

سألها جون بفرح: "أهو أجمل؟" فضحكت وهي تهزّ رأسها. كانت متعبة إلى حدّ عجزت معه عن التفكير.

"ليس بالضبط. إنّه مختلف وحسب، ذو طابع أقلّ رسميّة ربّما".

"هذا يبدو عظيماً". ما كانت باسكال لتستعمل هذه الكلمة لوصف المنزل المدعوّ "حبّ من النظرة الأولى"، ولكنّها بذلت كلّ ما بوسعها. "هل تحدّثتِ مع الآخرين؟".

" كلاّ، كنت مشغولة جدّاً"، قالت وقد بدا عليها الإرهاق، فضحك جون.

"مشغولة بماذا؟ بالتمدّد على الشاطئ؟" فقد تخيّل بأنّها تسبح وتتمدّد تحت أشعة الشمس طيلة النهار، ولم يخطر له بالطبع بأنّها تحفّ الأرضيّات وجدران الحمّامات.

"كلاّ، كنت مشغولة بترتيب المنزل".

ولمَ لا تكتفين بالاسترخاء وحسب، من باب التغيير؟" إنّها تتوق إلى ذلك، ولكنّها لو فعلت لكان أصيب بجلطة دماغية وهو يدخل إلى المنزل.

"غداً ربّما"، قالت وهي تتثاءب.

"حسناً، أراك بعد غد".

"أنا أتوق إلى ذلك"، وابتسمت وهي تفكّر فيه وتجلس في المطبخ الخرب. فوقع نظرها على بقعة شحم على الفرن فاتهم تنظيفها.

"خذي قسطاً من النوم وإلاّ ستكونين مرهقة حين نصل".

"لا تقلق، سوف أفعل. رحلة موفّقة". بعد أن أنهيا اتّصالهما، أطفأت الأنوار وذهبت إلى السرير. كانت قد طلبت من أغات تغيير الملاءات القديمة البالية، فعثرت أخيراً على زوج من الملاءات لكلّ سرير في حالة جيدة نسبيّاً. وكانت المناشف رثّة هي أيضاً، ولكنّها أصبحت الآن نظيفة على الأقلّ. استغرقت في النوم حالما وضعت رأسها على الوسادة تقريباً، ونامت إلى أن أشرقت شمس اليوم التالي. ومع أنّها لم تنجح في خفض الستائر، ومع أنّ مصاريع النوافذ مكسورة هي أيضاً، إلاّ أنّها لم تنزعج حين غرقت الغرفة في أشعّة الشمس.

عملت بجهد كبير في ذلك النهار أيضاً. كان العمّال الذين أحضرتهم السمسارة يتذمّرون من شدّة الإنهاك، ولكنّ باسكال تمكّنت من إبقائهم لديها طيلة ما بعد الظهيرة. وحين خرجت لترى ما أنجزه ماريوس، وجدت العشب في الحديقة الأماميّة بحالة ممتازة، كما اختفت جميع قطع الأثاث المكسورة. كلّ ما بقي كان قابلاً للاستعمال، وإن كان بحاجة ماسّة إلى طبقة من الطلاء. فتساءلت ما إذا كان ماريوس يملك الوقت للقيام بهذه المهمّة أيضاً. ولكن عندما بحثت عنه، وجدته في غرفته يشخر وبدا لها بأنّه غارق في النوم، فيما تمدّدت فوقه الجراء الثلاثة. من الواضح أنّها لن تجني منه مزيداً من العمل، في الوقت الحاضر على الأقلّ. وكذلك أغات كانت منهكة هي أيضاً.

عند الساعة الخامسة، قادت باسكال سيّارتها عبر سان تروبيز وعادت بها ملأى بالأغراض. فقد اشترت شموعاً وأزهاراً، وآنيات ضخمة لوضعها فيها، فضلاً عن مجموعات منسّقة من الأزهار الجافّة. كما اشترت ثلاثة أوشحة ملوّنة لاستعمالها في غرفة المعيشة، وثلاث علب من الطلاء الأبيض لماريوس لكي يقوم بطلاء كراسي الحديقة في اليوم التالي. وعند انتهائها من العمل، عند التاسعة مساءً، كان كلّ ما في المنزل مرتّباً والعشب قد جزّ والأعشاب الضارّة قد اقتلعت، وكانت كلّ غرفة تحتوي على الأزهار والمجلاّت. وابتاعت أيضاً صابوناً فرنسيّاً رائعاً ومناشف إضافيّة للجميع،

وأحدثت تغييراً سحرياً في كلّ غرفة من غرف الفيلا. ربّما لم تكن الحبّ من النظرة الأولى، ولكنّها تحسّنت على نحو جذريّ.

في الحقيقة، لا تستطيع أن تتخيّل ما سيكون رأيهم حين يرَون الفيلا الآن. فقد بدت أفضل بالنسبة إليها، ولكنّها ما زالت لا تشبه بشيء ما تخيّله أيّ منهم. وخافت من أن يغضبوا منها، ولكن هذا كلّ ما استطاعت فعله من دون دهّان ومتعهّد بناء ومصمّم ديكور. وحين نزلت أخيراً لإلقاء نظرة على المركب الشراعي المركون عند الرصيف في تلك الليلة، تساءلت ما إذا كان صالحاً للإبحار. فقد بدا وكأنّه ربط هناك منذ سنوات، كما بدت الأشرعة بالية وملطّخة، ولكنّها علمت أنّه إن كان ثمّة أمل بذلك، فسوف يعمل روبرت وإريك على الإبحار به.

تهاوت على السرير منهكة في تلك الليلة أيضاً، ولكن بشعور من الرضى. وأحسّت براحة كبيرة لأنّها فكّرت بالقدوم قبل يومين من بدء مدّة الإيجار. لولا ذلك، كانت واثقة بأنّ الباقين ما كانوا ليمكثوا فيه. أمّا الآن، فهي تظنّ بأنّهم سوف يقبلون بالمكوث. على الأقلّ، كانت تأمل ذلك. فهي لم ترغب بالتخلّي عن شهر الإجازة في سان تروبيز.

نامت كالصخرة في تلك الليلة، واستيقظت عند الساعة العاشرة في اليوم التالي. كانت الشمس تتسلّل إلى الغرفة، والأزهار المنتشرة على الطاولات في كلّ مكان أضافت لوناً وحياةً على الغرفة. حضّرت لنفسها القهوة من الأغراض التي ابتاعتها، وتناولت خبز الشوكولا الفرنسي وهي تتصفّح عدداً قديماً من Paris Match قبل أن تنتقل لقراءة The International Herald Tribune. حين كانت تعيش في فرنسا كانت تحبّ قراءة Le Monde أيضاً، ولكنّ جون أصرّ دوماً على قراءة Herald Tribune، وقد اشترتها له في اليوم السابق.

نهضت باسكال لتضع أطباقها في حوض الجلي فدخلت أغات مرتدية سروالاً قصيراً ذا لون أخضر فاقع وقميصاً أبيض شفافاً. كانت تشبه جراءها

الفرنسية بشعرها المنفوش، كما وضعت نظارات شمسيّة مضحكة مع حجر ماسي مزيّف على طرفيها، وارتدت حذاءً ذهبياً عالي الكعبين إلى حدّ مخيف.

بادرتها أغات وهي ترفع فنجان باسكال بكسل: "صباح الخير". ثمّ سألتها بلا اكتراث وكأنّ الأمر لا يعنيها: "متى يصل أصدقاؤك؟".

"في وقت متأخّر من بعد الظهيرة. أودّ من ماريوس أن يرافقني إلى المطار بالشاحنة. فصندوق سيّارتي لا يتّسع لحقائبهم".

قالت أغات بنظرة اتهام: "لقد آذى ظهره البارحة، ونظرت شزراً بعينها اليسرى إلى مخدومتها للشهر المقبل. كانت عينها اليمنى مغمضة بفعل دخان الغولواز التي بدت ملتصقة دائماً بشفتيها.

سألتها باسكال وهي تراقبها وتتساءل أتوجّه لها ملاحظة بشأن ثيابها أم لا: "أما زال قادراً على القيادة؟".

"ربّما" كانت تلك هي الكلمة الوحيدة التي نطقت بها أغات. فهمت باسكال المطلوب، فتوجّهت سرّاً إلى حقيبة يدها وأخذت منها خمسمائة فرنك لكلّ منهما. فقد عملا بجهد لم يبذلاه منذ سنوات. صحّ ظنّ باسكال إذ سرّت أغات حين استلمت النقود. في الواقع كانت تنوي إعطاءها شيئاً في جميع الأحوال.
"أعتقد بأنّه لن يمانع بالذهاب. في أيّة ساعة تودّين المغادرة؟".

"عند الثالثة. فطائرتهم تصل عند الخامسة. سنكون هنا في وقت العشاء". كانت باسكال قد نوت ترك العشاء في الفرن. فأيّ منهم لن يرغب بالخروج في أوّل ليلة بعد الرحلة المتعبة، بل سيفضّلون المكوث في المنزل والخلود إلى الراحة.

ونجحت أيضاً في إقناع ماريوس بدهن أثاث الحديقة مقابل خمسمائة فرنك أخرى، وحين غادرا إلى المطار، بدا شكل المنزل معقولاً. لقد اجترحت معجزة، حتّى أغات علّقت على الأمر قبل مغادرتهما وقالت بأنّ المكان يبدو رائعاً. في الواقع، فوجئت لبقاء باسكال. ذلك أنّ أحداً لم يقبل في السابق المكوث في المنزل.

أجابتها باسكال بسعادة: "لقد قمنا بعمل جيّد، أليس كذلك؟" بينما راحت جراء أغات تنبح عند قدميها وهي تتناول قنّينة عصير وتشرب منها. وحين غادرت إلى المطار، لوّحت لها أغات وكأنّهما صديقتان قديمتان. كانت ترتدي قميصاً زهريّاً شفّافاً إلى حدٍّ مثير للاستنكار، فوق صدريّة سوداء وسروال قصير بلون زهريّ فاقع، وتنتعل صندلها الأحمر المفضّل العالي الكعبين. كانت أزياؤها غريبةً بكلّ ما للكلمة من معنى، ولكنّ باسكال قرّرت عدم مناقشتها في ذوقها في اختيار الملابس. فبإمكان الآخرين التعايش معه، ولكن ليس مع الكلاب التي تنبح طيلة الوقت. كانت باسكال قد طلبت منها إبقاءها في غرفتها قدر الإمكان، وعلّلت رغبتها تلك بأنّ زوجها يعاني من التحسّس تجاهها، ربّما ليس تجاه وبرها ولكن بكلّ تأكيد تجاه الضجيج الذي تحدثه.

كان الطريق طويلاً من سان تروبيز إلى نيس، وحين وصلا إلى المطار، اشترت باسكال زجاجة عصير برتقال ورأت ماريوس يبتاع شرابه المفضّل. كان يرتدي رداءه السروالي وحذاءه الجلديّ مجدّداً، من الواضح بأنّه يعتبره زيّه الرسمي. وفيما انتظرت أن تحطّ الطائرة، فكّرت بأنّها لم تشعر في حياتها بمثل هذا التعب. أصبحت فعلاً بحاجة إلى هذه الإجازة.

مرّت الرحلة من نيويورك بسلام، ورافق جون الزوجين موريسون، مع أنّه لم يجلس معهما. فقد حجزا مقعدين في الدرجة الأولى، كعادتهما، بينما حجز هو في الدرجة الثانية. مازحه إريك حول هذا الأمر حين ذهب للتحدّث إليه، ثمّ رافقه جون إلى مقعده. كانت ديانا تقرأ بهدوء، ورأى جون نظرة غريبة تمرّ بينهما. كانت المرّة الأولى التي يلاحظ فيها شيئاً كهذا، ولكنّ أحداً منهما لم يقل شيئاً، فعاد إلى مقعده لينام. كان متحمّساً لرؤية باسكال، فقد اشتاق لشجاراتهما. كان لا يزال مغرماً بها بعد خمسة وعشرين عاماً من الزواج. فهي تعرف كيف تبقي حياته مشوّقة، كما أنّها شغوفة بكلّ شيء، أكان ممارسة الحبّ أم الشجار. وبغيابها، بدت الشقّة في نيويورك فارغة وبلا حياة في الأسابيع الستّة الماضية.

قال إريك وهو يعود للجلوس بقرب ديانا: "يقول جون بأنّ باسكال أخبرته أنّ المنزل رائع". مرّ وقت طويل لم تجبه فيه ديانا بل أبقت عينيها مثبّتة على الكتاب. فسألها بهدوء: "هل سمعت ما قلت؟" فرفعت عينيها للنظر إليه. كانت الأسابيع الماضية قد شهدت شدّاً وجذباً بينهما حول ما إذا كان عليها أنّ تأتي أم لا. وفرح لأنّها قرّرت المجيء في النهاية، كما شعر بالراحة. فقد عرفت علاقتهما بعض التوتّر في الشهر الماضي، وكان هذا التوتّر بادياً على وجه ديانا، إن لم يكن على وجهه هو أيضاً.

أجابته بوجه خالٍ من التعبير: "سمعت ما قلت". فهي ليست مضطرّة للادّعاء ما داما غير محاطَين بأحد من معارفهما. وأضافت: "أنا سعيدة لأنّ المنزل أعجب باسكال". بدت عيناها بلا حياة وهي تتحدّث.

قال لها بلطف: "أتمنّى أن يعجبك أنت أيضاً". أراد لهذه الإجازة أنت تكون ممتعة بالنسبة إليهما. فهما بحاجة ماسّة إليها، وكان يأمل بأن يوطّد هذا الشهر في فرنسا الرابط الذي يجمعهما. لطالما كان لديهما كثير من القواسم المشتركة، كما أحبّا الأشياء نفسها وتمتّعا بصحبة أصدقاء مشتركين وكنّا لبعضهما إعجاباً حقيقيّاً.

كرّرت عليه اللازمة التي كانت تردّدها في الأسبوعين الفائتين قائلة: "لا أعرف كم سأبقى، سوف أرى".

"هروبك لن يحلّ المشكلة. بإمكاننا أن نقضي وقتاً ممتعاً مع الآخرين، ونستفيد كلانا"، قال على أمل إقناعها ولكن من دون جدوى.

"قضاء وقت ممتع لن يحلّ المشكلة أيضاً. الأمر لا يتعلّق بالمتعة". فالمشكلة أكبر من ذلك بكثير. لقد وضع حياتهما وزواجهما على المحكّ وديانا لم تتخذ قراراً بعد بشأن ما ستفعله. حاولت التوصّل إلى قرار عدّة مرّات في الأسابيع الماضية ولكنّها غيّرت رأيها مجدّداً، فهي لم ترغب بالتسرّع. ولكنّها ليست متأكّدة من قدرتها على مسامحته على فعلته. لقد سبّب لها جرحاً بليغاً وهزّ ثقتها ليس فيه فحسب بل وفي نفسها أيضاً. شعرت بأنّها غير جميلة وغير

مرغوب فيها، وأحسّت فجأة بأنّها أكبر بكثير ممّا بدت عليه. لم تعرف ما إذا كان شعورها تجاهه سيعود إلى ما كان عليه يوماً.

سألها بهدوء: "ديانا، هل لنا أن نحاول نسيان ما حدث الآن؟" ولكن كان من السهل عليه قول ذلك، أسهل بكثير ممّا هو بالنسبة إليها.

أجابته بنبرة ساخرة: "شكراً لسؤالي". ثمّ تناولت كتابها مجدّداً قبل أن تضيف: "والآن بما أنّك أخبرتني بما عليّ أن أفعل، أنا أكيدة بأنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام". اغرورقت عيناها بالدموع وهي تدّعي قراءة الكتاب الذي بين يديها، ولكنّ ذهنها ظلّ مشتّتاً في الساعة الماضية ولم تكن تملك أدنى فكرة عمّا قرأته. واكتفت بحمل الكتاب لكي لا يتحدّث إليها لأنّها لا تملك المزيد لقوله. ففي الأسابيع العصيبة الماضية قالا كلّ ما يمكن أن يقال.

قال لها: "ديانا... لا تكوني هكذا..." ادّعت في البداية بأنّها لم تسمع، ثمّ التفتت للنظر إليه. كان كلّ الحزن الذي تشعر به بادياً على وجهها.

"كيف تتوقّع أن أكون، إريك؟ مرحة؟ غير مكترثة؟ سعيدة ربّما؟... آه صحيح، يفترض بي أن أكون زوجة شغوفة، محبّة، متفهّمة. حسناً، ربّما لا أستطيع". واختنق صوتها وهي تلفظ الكلمات الأخيرة.

"ولكن لم لا تعطيننا فرصة؟ دعي الأمور تهدأ ونحن هنا. مررنا كلانا بوقت صعب..." قاطعته قبل أن يقول المزيد ونهضت.

"سامحني إن لم أكن متعاطفة تجاه مدى صعوبة ذلك بالنسبة إليك. فهذا لا يتطابق مع رأيي عن الموضوع. فكّر بشيء آخر". قالت هذا، ومرّت من أمامه واختفت في الممرّ للابتعاد عنه والسير قليلاً. لم ترغب بمناقشة الأمر معه مجدّداً. فقد قالا ما فيه الكفاية في الشهر الفائت. ولم ترغب بالاستماع من جديد إلى أعذاره ووعوده واعتذاراته وتبريره لما ارتكبه. حتّى أنّها لم ترغب بأن تكون هناك معه، وأسفت لقدومها. في الحقيقة، هي لم تنضمّ إلى الرحلة إلاّ خشية من خذل أصدقائها. سارت إلى حيث يجلس جون، ولمّا نظرت إليه، وجدته نائماً على ما يبدو. وقفت تنظر من نافذة الباب في مؤخّرة الطائرة

وتفكّر بالحالة التي آل إليها زواجهما. كانت محطّمة ولم يخطر لها يوماً أن يصل الأمر إلى هذا الحدّ. لقد دمّر كلّ ما تشاركاه سويّة وآمنا به، وقضى على الثقة التي أولته إياها. وحين عادت إلى مقعدها، لم تقل له شيئاً ولم يتحدّثا ثانية لبقيّة الرحلة.

حطّت الطائرة في الوقت المحدّد وأشرق وجه باسكال حين رأت جون وآل موريسون خلفه تماماً. كانوا متعبين وأقل حيويّة من عادتهم ولكنّ الأربعة تحدّثوا بحماس عن المنزل فور ركوبهم السيّارة، فيما لحق بهم ماريوس بالشاحنة مع حقائبهم. فوجئوا قليلاً حين رأوا ماريوس، فقرّرت أن تحضّرهم لرؤية أغات في طريق العودة إلى سان تروبيز، ولكنّها وجدت صعوبة في وصفها بدقّة، لا سيّما بالبيكيني الأحمر والصندل العالي الكعبين.

فسألها جون: "ألا ترتدي زيّاً رسميّاً؟" فقد تخيّل زوجين فرنسيّين برداء أبيض وسترة بيضاء، يقدّمان الطعام بعناية بالغة في الفيلا الأنيقة. ولكنّ المرأة التي تصفها لهم باسكال مختلفة تماماً عمّا في أذهانهم.

أجابته: "ليس بالضبط. فهما غريبا الأطوار بعض الشيء، ولكنّهما يعملان بجهد". ولم تضف بأنّهما يفرطان في الشرب وكلابهما لا تتوقّف عن النباح. وحين وصلا أخيراً إلى سان تروبيز عند الساعة السابعة والنصف، قالت بعصبيّة: "أتمنّى أن يعجبكم المنزل".

أجابها إريك بثقة وهي تمرّ بالسيّارة بين الأعمدة المتهاوية وتعبر البوّابة: "أنا أكيد بأنّنا سوف نحبّه".

"إنّه ريفيّ الطابع أكثر ممّا ظننّا"، قالت باسكال وهي تعبر الطريق المليء بالحفر. كانت المفاجأة قد بدأت تظهر على جون، كما لاحظت بأنّ الزوجين موريسون الجالسَين على المقعد الخلفي، صامتان تماماً، على غير عادتهما. ولكنّهما على الأرجح متعبان وهادئان بسبب تحذيراتها المقتضبة. وحين أصبحوا أمام واجهة المنزل، حدّق فيه جون وقال: "يحتاج إلى طبقة من الطلاء أو إلى الصيانة، أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟".

أجابته باسكال: "إنّه بحاجة إلى أكثر من ذلك بكثير، ولكنّه أصبح الآن نظيفاً على الأقلّ".

فسألتها ديانا باستغراب: "ألم يكن المنزل نظيفاً حين وصلت؟".

"ليس تماماً". ثمّ غرقت باسكال في الضحك. وجدت أنّه لا جدوى من إخفاء الحقيقة عنهم، لا سيّما الآن بعد أن أصبحوا هنا. فتابعت قائلة: "كان أشبه بزريبة حين وصلت. أمضيت يومين في تنظيفه مع فريق من عشرة أشخاص. ولكنّ النبأ السعيد هو أنّني استرجعت نصف نقودنا، لأنّنا خدعنا فعلاً". طار جون من الفرح. فبالنسبة إليه، كان كمَن ذهب في رحلة مجانيّة، وقد سرّ لذلك.

"أهو مريع إلى هذا الحدّ باسكال؟" بدت ديانا قلقة فجأة، فراح إريك يطمئنها. آخر ما يريده هو أن تغادر ديانا عائدة إلى نيويورك.

أجابتها باسكال بصدق: "كلاّ، ليس مريعاً، ولكن كلّ ما فيه قديم وبالٍ كما أنّه لا يحتوي على كثير من المفروشات. أما المطبخ فيبدو خارجاً من العصور الوسطى".

ضحك جون قائلاً: "آه، وماذا في ذلك؟ من يهتمّ؟" فبعدما علم بأنّه استعاد نصف نقوده، أحبّ المنزل. وقد أحسنت باسكال في إخباره بذلك قبل أنّ يراه عن كثب.

حين دخلوا المنزل، شهقت ديانا من هول الصدمة. بدا لها فارغاً ومتداعياً، ولكنّها أقرّت بأنّ أوشحة باسكال التي تغطّي المفروشات هي فكرة ذكيّة، لا بدّ بأنّها وجدت الأرائك في حالة رهيبة لتلجأ إلى هذا الحلّ. لكن حين قاموا بزيارة بقية أنحاء المنزل، اتّفقوا على أنّه ليس سيّئاً. لا يشبه ما توقّعوه بالطبع، ولكنّ باسكال حضّرتهم لذلك على الأقلّ. وحين أخبرتهم بما كان عليه حين وصلت، وبما قامت به، تأثّروا وشعروا بالامتنان للجهد الذي بذلته.

"الحمد لله أنّك وصلت قبلنا"، قال إريك وهم يدخلون لإلقاء نظرة

على المطبخ. كان نظيفاً تماماً، ولكنّه قديم جدّاً، مثلما وصفته باسكال بالضبط.

فقال جون بذهول تامّ: "ولكن كيف تمكّنوا من التقاط تلك الصور؟".

"من الواضح أنّها أخذت منذ أربعين عاماً تقريباً، أي في الستينيّات".

"يا لهم من مخادعين، هذا مثير للاشمئزاز"، قال إريك بنظرة احتجاج، ولكنّه بدا راضياً بالمنزل. كان مريحاً ونظيفاً وغير رسميّ على الإطلاق، ومختلفاً كلّ الاختلاف عن الفيلا الفخمة التي توقّعوا رؤيتها. ولكن بفضل باسكال وجهودها، أصبح يمتاز ببعض الجمال لا سيّما مع الشموع والأزهار الموزّعة في الأرجاء. وحين عرضت إعطاء الغرفة الرئيسيّة لآل موريسون، أصرّا على أن تحتفظ بها هي وجون بعد أن أدركا ما فعلته لأجلهم.

اعترفت لهم قائلة: "فعلت ما فعلت لكي لا تكرهونني". فضحكوا جميعاً، بينما خرج جون بحثاً عن زجاجة عصير، فاصطدم بأغات التي كانت واقفة في المطبخ. كانت ترتدي سروالاً قصيراً أبيض اللون مع القطعة العلوية من البيكيني الأحمر وتنتعل صندلها الأحمر العالي الكعبين. فوقف يحدّق فيها لبرهة. كالعادة، كانت إحدى عينيها مغمضة بينما كانت تدخّن سيجارة غولواز.

بادرها على نحو أخرق: "بونجور". كان هذا كلّ ما تعلّمه من الفرنسيّة في أوّل مرة ذهب فيها لزيارة والدة باسكال. ابتسمت له أغات، وبعد لحظة، ظهر ماريوس مع قطيع الجراء التي تنبح خلفه. "آه يا إلهي"، هذا كلّ ما نطق به جون فيما هاجم أحد الجراء بنطاله وراح يمضغه في أقلّ من خمس ثوانٍ.

فتح له ماريوس زجاجة العصير واختفت أغات مع الجراء مجدّداً. بدا جون مصدوماً بعض الشيء وهو يصعد إلى الطابق العلوي حاملاً العصير وأربعة أكواب.

"التقيت للتوّ بثلاثة كلاب صيد متوحّشة وبتوأم تينا تيرنر الشرّير".

ضحكت باسكال ولمحت نظرة حزن تعبر وجه ديانا، ولكن حين التفتت إلى إريك، لم تلاحظ شيئاً. تساءلت ما إذا كانت ديانا تفكّر بآن وكم كانت لترغب بمرافقتهم. فقد خطر لها هذا الأمر هي أيضاً حين وصلت، ولكن مذ ذاك، لم تتح لها الفرصة للتفكير فيها. كانت واثقة بأنّ روبرت سيفكّر بالأمر نفسه. فهم ما زالوا يفتقدون إليها ومن الصعب عدم التفكير بمدى حماسها لقضاء شهر هنا.

سألها إريك بينما صبّ جون لهم العصير: "هل رأيتِ المركب الشراعي؟".

اعترفت باسكال قائلة: "لقد فعلت. يعود تاريخ بنائه إلى عهد روبنسون كروزو. أتمنّى أن تتمكّنوا من الإبحار به".

"أنا واثق من ذلك"، ونظر إلى زوجته وهو يبتسم، ولكنّ ديانا لم تعلّق بشيء.

أعدت لهم باسكال العشاء في تلك الليلة. كانت أغات قد حضّرت الطاولة في قاعة الطعام، وعرضت خدمتهم، ولكنّ باسكال قالت بأنّها ستتدبر أمرها بدونها. فيما بعد، حين قامت هي وديانا برفع الأطباق، وخرج جون وإريك إلى الحديقة لتدخين سيجار، لم تتمكّن من مقاومة سؤالها. كانت قلقة عليها.

"هل أنت بخير؟ بدوت لي منزعجة منذ برهة، وفي نيويورك، ظللت أفكّر بأنّك متعبة على الأرجح. هل من خطب، ديانا؟".

تبع سؤالها صمت طويل فيما نظرت إليها صديقتها وبدأت بهزّ رأسها مؤكّدة ظنّ باسكال. ثمّ جلست إلى طاولة المطبخ القديمة وسالت دموعها ببطء على خدّيها. رفعت بصرها إلى باسكال وقلبها يتمزّق ولم تعد قادرة أو حتّى راغبة بإخفاء مأساتها عن صديقتها.

"ما الأمر؟... آه أيّتها المسكينة... ماذا حدث؟" أحاطتها باسكال بذراعها

وهي تسألها ومسحت ديانا دموعها بطرف كمّها.

غير أنّها لم تتمكّن من قول شيء، بل استندت إلى صديقتها لبرهة، فيما ضمّتها باسكال إليها وكأنّها طفلة وتساءلت ما الذي كدّرها بهذا الشكل. في الواقع، لم يسبق لها أن رأت ديانا بتلك الحالة.

"هل أنت مريضة؟" هزّت ديانا رأسها نافية ولكنّها لم تقل شيئاً، بل مسحت أنفها بالمنديل الورقي الذي أعطتها إيّاه باسكال. "لا يتعلّق الأمر بك أنت وإريك، أليس كذلك؟" لم تقصد باسكال من وراء السؤال سوى محاولة التحدّث إليها، ولكن ما إن رأت التعبير الذي كسا وجه ديانا حتّى علمت بأنّ ذلك هو سبب حزنها. جلست ديانا وحدّقت بها وقتاً طويلاً قبل أن تهزّ رأسها أخيراً. "هذا ليس صحيحاً، كيف يُعقل؟".

"لا أدري كيف يُعقل. كنت أطرح عليه السؤال نفسه طيلة الشهر الماضي".

سألتها باسكال مصعوقة: "ولكن ماذا حدث؟" وبدت ديانا محطّمة تماماً.

"كان على علاقة بإحدى مريضاته"، قالت وهي تنفخ أنفها مجدّداً. كان من المريح إخبار باسكال، فهي لم تخبر أحداً منذ أن اعترف لها بخيانته. بل بقي سرّها الفظيع وحدها.

"هل أنت متأكّدة بأنّك لا تتخيّلين ذلك؟ في الحقيقة لا يمكنني التصديق".

"أنا لا أتخيّل. لقد اعترف لي بنفسه. شعرت بوجود خطب منذ حوالى شهرين، ولكنّني لم أعرف ما هو، ومنذ أربعة أسابيع، اعترف لي بذلك. فقد أصيب ابن كاثرين بالخناق واضطرّت إلى إدخاله المستشفى في منتصف الليل. فاتّصلت بإريك لأطلب منه ملاقاتهم في غرفة الطوارئ، ولكنّهم أخبروني بأنّه لم يكن هناك طيلة الليل، مع أنّه أخبرني بأنّه مضطرّ

للبقاء حتّى الصباح وبأنّه سيذهب من هناك مباشرة إلى العيادة. وأدركْتُ فجأة بأنّه في كلّ تلك المرات التي كان يخبرني فيها بأنّه ماكث في المستشفى ليلاً، لم يكن هناك فعلاً".

"إريك؟" سألت باسكال بصوت ضعيف. فبالنسبة إليها، لطالما بدا زوجاً مثالياً. فهو سهل المعشر، بشوش، حريص على مراعاة مشاعر الآخرين، لطيف تجاه زوجته، إنّه الزوج والأب المثالي. "أهو مغرم بها؟".

"يقول بأنّه ليس أكيداً. كما يقول بأنّه توقّف عن رؤيتها منذ بضعة أيّام، وربّما كان هذا صحيحاً، فهي تتصل به كلّ ليلة في البيت. أعتقد بأنّه منزعج جداً بسبب ذلك. يقول بأنّها امرأة لطيفة. كانت إحدى مريضاته، وقد هجرها زوجها بعد ولادة طفلها مباشرة، فشعر بالأسف تجاهها. ولا بدّ بأنّها جميلة جداً، فهي عارضة أزياء".

"كم تبلغ من العمر؟" سألتها باسكال، وهي تشعر بالأسف الشديد عليها. فهو أسوأ كابوس بالنسبة إلى أيّة امرأة. بدت ديانا منهكة بعد ما قالته لباسكال.

أجابت ديانا بحسرة: "ثلاثون سنة. أنا بسنّ والدتها، فهي بسنّ كاثرين. أشعر بأنّني أبلغ ستمائة سنة. لا بدّ بأنّه أفضل حالاً معها". ثمّ نظرت إلى باسكال بعينين مجروحتين وأضافت: "لا أظنّ أنّه بمقدوري الوثوق به مجدداً. حتّى أنّني لست أكيدة ما إذا كنت قادرة على الاستمرار بزواجنا".

قالت باسكال وقد انتابها القلق: "لا يمكنك فعل ذلك، إيّاك وطلب الطلاق، ليس بعد كلّ هذا الوقت، سيكون أمراً رهيباً. إن توقّف عن رؤيتها، فقد انتهى الأمر، سرعان ما سينساها"، وبدت متفائلة، مع أنّها ما زالت تشعر بالأسف على صديقتها.

قالت ديانا بصدق: "ربّما سينسى أمرها، أمّا أنا فلا. ففي كلّ مرة أنظر فيها إليه، أعرف بأنّه خانني. وأشعر بأنّني أكرهه بسبب فعلته تلك".

قالت باسكال بتعاطف: "هذا طبيعي، وهذه الأمور تقع في بعض الأحيان. كان من الممكن أن يحدث ذلك معك أنت ربّما. وإن كان قد أنهى علاقته مع تلك المرأة، عليك أن تحاولي مسامحته. ديانا، الطلاق سيدمّر حياتك وحياته. أنتما تحبّان بعضكما".

"ليس بقدر ما ظننت. على الأقل ليس بالنسبة إليه". لم يظهر في عينيها أيّ شعور بالتسامح، بل الألم والخيبة وحسب. وأحسّت باسكال بالأسف تجاهها.

"ماذا يقول عن ذلك؟".

"بأنّه آسف وأنّه لن يكرّر هذه الغلطة. كما وأنّه ندم عليها في اللحظة التي ارتكبها، مع أنّه استمرّ بارتكابها لثلاثة أشهر، وكان من الممكن أن يستمرّ بعلاقته معها لمدّة أطول لو أنّ ابن كاثرين لم يمرض في تلك الليلة. ولربّما انتهى بالتخلّي عنّي لأجلها". وأجهشت بالبكاء بمرارة وهي تتلفّظ بهذه الكلمات.

"لا يمكن أن يكون بهذا الغباء". ولكنّه رجل وسيم ويبدو رائعاً بالنسبة إلى سنّه، كما أنّه يتعامل مع النساء طيلة اليوم، وتتوفّر لديه فرص أكبر من معظم الرجال للالتقاء بالنساء. وفي الواقع، كلّ شيء ممكن، حتّى بالنسبة إلى رجل مسؤول وأهل للثقة مثل إريك. ولكنّ ما فعله بديانا كان بادياً على وجهها، حتّى أنّ باسكال استغربت تمكّنها من المجيء في هذه الإجازة وسألتها عن ذلك.

"لم أكن آتية بعدما اكتشفت الحقيقة، ولكنّه توسّلني لآتي. وهو الآن يقول بأنّه لا يستطيع البقاء لأكثر من أسبوعين، ولو رحل، سأفكّر بأنّه يمضي كلّ دقيقة معها".

قالت لها باسكال بهدوء: "ربّما يجب عليك التصديق بأنّه وضع حدّاً لعلاقته بها". ولكنّ ديانا أجابتها بغضب: "لمَ عليّ تصديقه؟ لقد كذب عليّ. كيف لي أن أثق به بعد اليوم؟" كانت على حقّ، ولم تعرف بمَ تجيبها. ولكنّ

مجـرّد التفكير بأنّهما سيتطلّقان يسبّب لها الحزن. "في الواقع لا أظنّ بأنّني أستطيع الاستمرار بهذا الزواج، باسكال. لن تعود الأمور كما كانت عليه بالنسبة إليّ، وعلى الأرجح ما كان عليّ المجيء في هذه الإجازة. أخبرته بأنّني سأتحدّث إلى محامٍ قبل مغادرة نيويورك، فطلب منّي الانتظار على الأقلّ حتّى نعود. ولكنّني لا أعتقد بأنّ هذا سيغيّر شيئاً". كانت تشعر خلال الرحلة بأنّ الحديث معهم هو أشبه بحمل ثقيل، وكأنّه جبل جاثم على صدرها. ولم يكن نذير خير بالنسبة إلى الرحلة. "هل كنت لتبقي متزوّجة من جون لو أنّه خانك؟" سألتها ديانا وهي تنظر في عينيها بمرارة. كانت تبدو وكأنّها امرأة أخرى. لطالما كانت خالية البال وسعيدة جداً، وكذلك كان إريك. وكانت علاقتهما ناجحة جداً. وقد اعتقدت باسكال دوماً بأنّه من بين الزيجات الثلاث، زواجهما هو الأنجح، أو ربّما كان زواج آن وروبرت هو الأفضل. فهي وجون كانت لديهما خلافاتهما على الدوام، ويتشاجران أكثر بكثير من الباقين. والآن رحلت آن، وديانا تتحدّث عن ترك إريك. ما يحدث يفوق قدرتها على الاستيعاب.

أجابتها باسكال بصدق: "لا أعلم ماذا كنت لأفعل، ولكنّني أكيدة من أنّني كنت لأرغب بقتله". في الحقيقة، كثيراً ما يتحدّث جون عن النساء، ولكنّ باسكال لم تأخذه يوماً على محمل الجدّ. لا بل هي واثقة بأنّه لم يخنها يوماً وأنّه لا يقصد من وراء ذلك سوى إضفاء سمعة الرجل العابث على نفسه. ولكن كلّ كلامه ليس له أساس من الصحّة. "وأعتقد بأنّه عليّ أن أمعن التفكير قبل اتّخاذ أيّ قرار، وربّما علي أن أحاول الوثوق به مجدّداً. فالناس معرّضون لارتكاب هذه الأخطاء، ديانا".

تأفّفت منها قائلة: "لا تكوني فرنسيّة إلى هذا الحدّ"، ثمّ بدأت بالبكاء من جديد. كانت شديدة الحزن ولا تزال نادمة على مجيئها. فكلّما نظرت إليه، تنتابها الكآبة. ولا تدري كيف ستتمكّن من احتمال رفقته شهراً كاملاً، هي التي لم تعد تطيق رؤيته يوماً واحداً.

قالت باسكال بلطف: "ربّما كان الفرنسيّون محقّين أحياناً. عليك التفكير جيّداً قبل اتّخاذ قرار قد تندمين عليه لاحقاً".

أجابتها ديانا بغضب: "هو الذي كان عليه التفكير جيّداً قبل أن يطارحها الغرام". وما زاد من بؤسها هو أنّه اختار امرأة أصغر منها بكثير. هذا ما جعلها تشعر فجأةً بأنّها متقدّمة في السنّ وغير جميلة. لقد سبّب لها الألم بأسوأ طريقة ممكنة ولم تكن تعرف كيف ستتجاوز هذه المحنة أو ما إذا كان زواجهما سوف يستمرّ.

سألتها باسكال بحذر: "هل أخبرت أحداً؟".

أجابت ديانا: "أنت وحسب. فقد خجلت من الأمر. لا أدري لم أشعر بالإحراج، فما فعله أشعرني بأنّني أقلّ منها وأنّني لست كافية بالنسبة إليه". بدت مدمّرة فعلاً.

قالت باسكال وهي تحاول أن تكون عادلة نحو الاثنين: "ديانا، أنت تعلمين بأنّ هذا غير صحيح. كلّ ما في الأمر أنّ إريك ارتكب عملاً شديد الغباء، وأنا أكيدة بأنّه يشعر بالإحراج هو أيضاً. وبرأيي أنت شجاعة لأنّك قرّرت المجيء". في الواقع، أعجبت باسكال بها مع أنّه كان واضحاً بأنّ ديانا لم تكن تتطلّع إلى المجيء. كانت مشتّتة الذهن إلى حدّ لا يتيح لها الاهتمام بالرحلة.

قالت ديانا بحزن: "لم أرغب بتخييب أملك أنت أو روبرت. أعلم كم كان صعباً عليه المجيء، وأشعر بأنّني أدين له بذلك. أتيت لأجله أكثر من ممّا هو لأجل إريك".

فقالت باسكال بتفاؤل: "ربّما كان وجودكما هنا مفيداً لكما أنتما الاثنين". ولكنّهما يحتاجان إلى أكثر من مجرّد إجازة على الريفييرا. زواجهما بحاجة إلى عمليّة جراحيّة وليس إلى إسعافات أوّليّة.

أصرّت ديانا قائلة وهي تغرق بالبكاء من جديد: "لا أعتقد بأنّني سأسامحه يوماً على فعلته".

أجابتها باسكال بحكمة: "ليس الآن بالطبع، ولكن ربّما مع الوقت". ثمّ أحاطت صديقتها بذراعها واحتضنتا بعضهما، وبعد برهة، عادتا إلى غرفة المعيشة للانضمام إلى زوجيهما. وحين عاد الرجلان من الحديقة بعدما انتهيا من تدخين السيجار، أصبحت باسكال قادرة على رؤية الهوّة التي ولدت بين إريك وديانا. فهما ينظران إلى بعضهما وكأنّهما فقدا بعضهما، فاعتصر قلب باسكال لأجلهما.

كانت الكآبة لا تزال بادية على وجهها حين صعدت هي وجون إلى غرفتهما، ولاحظ ذلك على الفور، على غير عادته. ففي بعض الأحيان، يكون ضعيف الملاحظة تجاهها. "هل من خطب؟" وتساءل ما إذا كان قد قال أو فعل أمراً عن غير قصد سبّب لها الإزعاج.

أجابته:"كلاّ، كنت أفكّر وحسب". لم تكن تريد قول شيء له ما لم تأذن لها ديانا. فهي لا تريد أن تخون ثقتها، ومع أنّها أرادت أن تستأذن منها لإخبار جون، إلاّ أنّها لم تفعل.

سألها جون وقد بدا عليه القلق: "ما الأمر؟" إذ بدت باسكال قلقة فعلاً.

"لا شيء هام. أفكّر بما سأعدّ غداً على الغداء". كذبت عليه ولكنّها لم تقصد سوى الحفاظ على سرّ ديانا وإريك.

"لا أصدّقك. هل الأمر خطير؟".

"نوعاً ما".

"أعتقد بأنّني أعلم ما هو. فقد أخبرني إريك للتوّ بأنّه يعاني من المشاكل هو وديانا". وبدا جون منزعجاً من الأمر هو أيضاً.

"هل أخبرك أيّ نوع من المشاكل؟".

"كلاّ، فالرجال لا يتطرّقون إلى التفاصيل عادة. كلّ ما قاله هو أنّه يواجه وقتاً عصيباً في زواجه".

قالت باسكال بأسى: "إنّها تريد طلب الطلاق. سيكون هذا رهيباً، لكليهما معاً".

سألها جون: "أهي امرأة أخرى؟" هزّت رأسها مجيبة، وشعر جون بالاستياء مثلها تماماً.

"يقول بأنّ الأمر انتهى ولكنّ ديانا مجروحة جدّاً وغير مستعدّة لمسامحته".

قال جون بقلق: "أتمنّى أن يتمكّنا من تخطّي هذه المشكلة. لقد عاشا معاً اثنين وثلاثين عاماً. وهي ليست بفترة قصيرة". ثمّ جذبها إليه وهو ينظر إليها برقّة لم تعتدها فيه. ففي معظم الوقت يكون فظّاً وعنيفاً. قال لها بلطف: "اشتقت إليك".

ابتسمت له قائلة: "وأنا أيضاً"، ثمّ عانقها. وفي اللحظة التالية، أطفأ النور وأخذها بين ذراعيه. مضت ستّة أسابيع لم يريا بعضهما فيها، وهو وقت طويل لأيّ زوجين، ولكنّه يعرف ما يعنيه لها المجيء إلى باريس، ولم يكن ليحرمها منه أبداً. فهي تنتظر كلّ سنة الأسابيع التي تقضيها هنا.

تلك الليلة استلقيا في أحضان بعضهما لوقت طويل بعدما مارسا الحب، وكان القمر بدراً يرسل أشعّته عبر نافذة غرفتهما. وبعد أن استغرق في النوم، تمدّدت بقربه وهي تنظر إليه وتتساءل كيف كانت لتشعر لو أنّه فعل بها ما فعله إريك بديانا. وتخيّلت كم كانت لتشعر بالإحباط، مثل ديانا تماماً. والفكرة الوحيدة التي سيطرت على ذهنها وهي تنظر إليه هي أنّها محظوظة جدّاً لوجوده معها. إنّه كلّ ما تحتاج إليه وتريده في هذه الحياة، ولطالما كانت كذلك.

7

في اليوم التالي، وبينما كانت باسكال تعدّ لهم الإفطار، دخل جون إلى المطبخ مذعوراً إلى حدّ ما. كان يحمل مقبضاً نحاسيّاً في يده، فيما مرّت أغات مرتدية بيكيني بألوان جلد النمر مع صندل عالٍ. كانت تضع سمّاعات على أذنيها وتحمل منفضة الغبار وتغنّي بصوت عالٍ. توقّف جون للتحديق بها غير مصدّقٍ ما يراه، بينما استمرّت باسكال بخفق البيض غير مكترثة إطلاقاً لمرأى أغات. لقد أصبحت معتادة عليها وبدت غافلة تماماً عن مظهرها.

أخيراً أعلن جون وهو يلوّح بالمقبض النحاسيّ: "الحمّام مغمور بالمياه. ماذا يفترض بي أن أفعل؟".

"لا أدري. ألا يمكنك معالجة الأمر؟ أنا أعدّ الطعام". وبدت التسلية على وجه باسكال وهو يواصل التلويح بالمقبض في اتجاهها. فاقترحت عليه قائلةً: "لِمَ لا تنادي ماريوس وتطلب منه مساعدتك؟" فما كان منه إلاّ أن نظر إلى الأعلى بامتعاض.

"كيف لي أن أعرف أين أجده؟ وكيف أشرح له ما حدث؟".

قالت له باسكال وهي تلوّح لأغات لتلفت انتباهها: "ليس عليك سوى أن تريه ما يحدث". كانت لا تزال تغنّي، ولكنّها رفعت السمّاعات أخيراً عن أذنيها وأخذت باسكال تشرح لها المشكلة. ولكن لم يبدُ عليها الاستغراب، بل اكتفت بأخذ المقبض من يد جون وانصرفت متهادية للبحث عن زوجها. ظهر بعد دقائق ومعه دلو وممسحة وكبّاسة. كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً قطنيّاً شفّافاً، وبدا فعلاً كالمتشرّد.

راحت أغات تخبرها بأنّ أموراً كهذه تحدث طيلة الوقت وأنّها ليست بالمشكلة الخطيرة، وبينما هي تقول ذلك، أخذ خيط من الماء يتسرّب من سقف المطبخ. نظر جون وباسكال إلى الأعلى مذعورَين، ثمّ هرع جون راكضاً ليعود إلى مسرح الجريمة وتبعه ماريوس ببطء أكبر. أمّا أغات، فأعادت السمّاعات إلى أذنيها واستأنفت غناءها وهي تعدّ الطاولة.

بعد برهة، دخل إريك وديانا إلى المطبخ ففوجئ إريك وهو يرى أغات ببيكيني جلد النمر والمئزر. علّق قائلاً بحذر: "يا له من مظهر!"، فيما غرقت ديانا بالضحك.

"أهي دوماً بهذا الشكل؟" سألت ديانا باسكال التي أطفأت الفرن وابتسمت لها. كانت سعيدة لأنّهما يبدوان أكثر استرخاءً وارتياحاً من الليلة السابقة.

"تقريباً. أحياناً ترتدي ثياباً أكثر وأحياناً أقلّ، ولكنّ النمط العامّ لا يتغيّر عادة. غير أنّها ماهرة في التنظيف. لقد ساعدتني في تنظيف البيت قبل وصولكم".

"زيّها جميل على كلّ حال"، قال إريك وهو يتناول ثمرة درّاق عن طاولة المطبخ. كانت الفاكهة التي اشترتها باسكال شهيّة. ثمّ سأل وهو ينظر إلى المياه المتسرّبة من السقف: "هل المطر يتساقط هنا، أم لدينا مشكلة؟".

"قال جون بأنّ المياه فاضت في الحمّام"، أجابت باسكال وهي تضع البيض على الطاولة وهزّ إريك برأسه. وبعد بضع دقائق، انضمّ إليهم جون وهو يبدو منهكاً وثائراً بعض الشيء. ثمّ قال: "المياه على أرض الحمام بارتفاع إنشين. طلبت من ماريوس أن يقطع عنه المياه إلى أن يستدعي السمكريّ".

سألته باسكال باستغراب: "كيف تمكّنت من قول كلّ هذا؟" فبعد خمس وعشرين سنة من الزواج بالكاد لفظ عشر كلمات فرنسية مع والدتها، معظمها "صباح الخير"، "إلى اللقاء" و"شكراً"، وذلك حين يكون مضطرّاً فعلاً وحسب.

أجابها وهو يغوص في طبق البيض: "كنت أمارس لعبة الإشارة في الثانوية العامّة". ودخل ماريوس ليضع دلواً تحت المياه المتسرّبة من السقف. ومع أنّ التسرّب يزداد سرعة وقوّة، إلاّ أنّه لم يبدِ اكتراثاً، بل اختفى من جديد وتبعته أغات.

سألت باسكال إريك وهي تصبّ لهم قهوة قويّة ساخنة: "هل نمت جيّداً؟".

أجابها إريك وهو يلقي نظرة عجلى على ديانا: "الحمد لله". بدا بأنّهما لا يتحدّثان إلى بعضهما، أو على الأقلّ ليس بقدر ما هو متوقّع منهما. كما كان التوتّر واضحاً بينهما. لذا، وحالما انتهوا من تناول الطعام، اقترحت باسكال على ديانا الذهاب إلى السوق. وكان جون يرغب بالبقاء لرؤية السمكريّ فيما أعلن إريك بأنّه سيذهب للتحقّق من المركب الشراعي ليرى ما إذا كان صالحاً للإبحار.

كان صباحاً جيّداً بالنسبة إلى الجميع. فالطقس رائع، وقد تحدّثت ديانا وباسكال في طريقهما إلى السوق. علّقت باسكال بأنّ إريك يبذل جهده ليكون لطيفاً تجاهها، فوافقتها ديانا وهي تحدّق من النافذة.

أقرّت لصديقتها قائلةً: "هذا صحيح، ولكنّني لست أكيدة ما إذا كان هذا سيغيّر شيئاً".

"ربّما عليك أن تري ما الذي يمكن أن يحدث خلال الإجازة. فمن شأن الوقت أن يداوي جراحكما، لو أتحت له الفرصة".

بدت ديانا منزعجة من الاقتراح إذ قالت: "وماذا بعد؟ ننسى كلّ ما جرى؟ كيف ظننت بأنّني أستطيع ذلك؟".

أجابتها باسكال بصدق: "في الواقع، أنا لست واثقة من قدرتي على ذلك أنا أيضاً. ربّما كنت لأقتل جون لو أنّه فعل ذلك. ولكن، ربّما كان هذا ما عليك فعله لإصلاح الأمور".

سألتها ديانا غاضبة: "ولِمَ عليّ أنا إصلاحها؟ لست أنا من أخطأ، بل هو".

"ولكن ربّما عليك أن تصفحي عنه إن أردت الاستمرار بالزواج".

"لم أتّخذ قراراً بهذا الشأن بعد".

هزّت باسكال رأسها متفهّمة وبعد بضع دقائق، وصلتا إلى السوق. جالتا فيه لساعتين ابتاعتا خلالهما الخبز والأجبان والفاكهة والشراب واللحم، فضلاً عن فطيرة فراولة أسالت لعاب باسكال لمجرّد رؤيتها. وحين عادتا إلى المنزل مع مشترياتهما، وجدتا إريك وجون ممدّدين على كرسيّين طويلين. كان جون يدخّن سيجاراً وبدا الاثنان مسترخيين وسعيدين. وعندما دخلت المرأتان حاملتين الأكياس فضلاً عن سلّة كبيرة، أخبرهما جون بأنّ السمكريّ قد أتى لإصلاح الحمّام. ولكن حالما رحل، فاض حمّام غرفة ديانا وإريك، وماريوس في الطابق العلوي يحاول إصلاحه.

قال إريك بجديّة: "لا أعتقد بأنّه من الحكمة شراء المنزل".

قال جون وهو يلوّح بسيجاره نحو زوجته: "ماذا جلبت لنا؟ أتمنّى ألاّ تكوني قد أنفقت كثيراً من المال على الطعام".

"بالطبع لا، لم أشترِ سوى جبناً معفّناً وخبزاً بائتاً وفاكهة مهترئة. كانت صفقة رابحة".

"كم هذا مضحك"، أجابها ساخراً قبل أن يلتفت إلى إريك ويأخذ نفساً من سيجاره.

تناول الأربعة الغداء في الهواء الطلق، ثمّ سبحوا جميعاً قبل أن يصطحب إريك ديانا في المركب الشراعي. تمنّعت عن مرافقته في البداية، ولكنّه أقنعها في النهاية. فهي لم تكن بحّارة جيّدة ولم ترغب بالاعتماد عليه. ولكنّ باسكال ذهبت لأخذ قسط من النوم واختفى جون بعد قليل. ولمّا لم يكن لديها شيء آخر لتفعله، قرّرت الذهاب معه.

حين خرج الزوجان دونالي من غرفتهما عند السادسة، كان إريك وديانا يتحدّثان ويبدوان أكثر استرخاءً بكثير ممّا كانا عليه ذلك الصباح. ربّما لم تكن علاقتهما ممتازة، ولكنّها تحسّنت بعض الشيء.

في تلك الليلة، أعدّت باسكال طبق الحمام للعشاء وكانت قد أخذته عن وصفة قديمة لوالدتها، كما أكلوا فطيرة الفراولة الشهيّة التي اشترتها ديانا وباسكال من السوق. وختموا العشاء بالقهوة المرشحة، ثمّ جلسوا يتسامرون حول الطاولة. كان من المقرّر وصول روبرت في اليوم التالي، فسألت ديانا باسكال ما إذا كانت قد عرفت المزيد عن الصديق الغامض الذي قال بأنّه قد يجلبه معه.

"لم أسمع عنه شيئاً منذ أن غادرت نيويورك. أعتقد بأنّه سوف يخبرنا حين يصل، ولكنّني لا أظنّ بأنّها تلك الممثّلة. فهما بالكاد يعرفان بعضهما. أعتقد بأنّ قلقنا لا مبرّر له". ففي جوّ سان تروبيز الذي يبعث على الاسترخاء، أصبحت أقلّ ميلاً إلى القلق.

قالت ديانا بتجهّم: "أتمنّى ذلك". فبعد خيانة إريك لها، أصبحت تحرص على الدفاع عن مكارم الأخلاق. كانت قد صمّمت على عدم السماح لروبرت بأن يجعل من نفسه أضحوكة، وإن أخبرهم بأنّه دعا غوين توماس إلى سان تروبيز، فإنّ ديانا تنوي أن تخبره عن الخطأ الذي يرتكبه وما ينطوي عليه من إهانة لذكرى آن إن هو واعد نجمة سينمائيّة. حتّى أنّها بالكاد نجمة بالنسبة إلى سنّها، ولكنّ ديانا على قناعة تامّة، شأنها شأن باسكال، بأنّها لا يمكن أن تكون امرأة محترمة، وهما لا تريدان سوى حماية روبرت من نفسه.

ولكن حين وصل روبرت في اليوم التالي، بدا محترماً تماماً وهو ينزل من السيارة المستأجرة مع ابنته. كانت ماندي ترتدي قميصاً قطنيّاً وسروال جينز أبيضين وتضع قبّعة من القشّ. أمّا روبرت فكان يرتدي قميصاً قطنيّاً أزرق اللون وسروالاً كاكيّاً. بدا كلاهما نضرين وبصحّة جيّدة، وأميركيّي المظهر إلى حدٍّ بعيد، وفوجئوا بعض الشيء حين رأوا الفيلا.

قال روبرت بحيرة: "لا أذكر بأنّها بدت كذلك في الصور. هل فقدت ذاكرتي أم أنّها ريفية الطابع بعض الشيء؟".

"ريفـيّة جـدّاً"، أكّدت له باسكال، فيما رمقها زوجها بنظرة مرحة قائلاً: "وانتظـر إلـى أن تـرى الخادمة والبستانيّ، ولكنّنا استعدنا نصف نقودنا، لذا فالأمر يستحقّ العناء".

فوجئ روبرت بما قاله جون وسأله: "ولكن لمَ فعلوا ذلك؟".

"لأنّهم مخادعون. فهم فرنسيّون، ماذا تتوقّع منهم؟" فرمته باسكال بنظرة حـادّة، ولكنّها لم تردعه بل تابع قائلاً: "في الحقيقة، حين وصلت باسكال، كان المنـزل على ما يبدو أشبه بمنزل الأشباح. فأمضت يومين في تنظيفه وأصبح ممـتازاً، ولكن حاول ألاّ تفتح مياه الحمام ولا تتوقّع رؤية صوره في مجلاّت فـنّ العمـارة". فهزّ روبرت رأسه والتسلية بادية في عينيه، فيما سيطر القلق على ماندي.

"ألا يمكننـا استخدام الحمّام؟" كان صوتها مشوباً بالذعر ممّا أثار التسلية فـي نفس باسكال على الفور. في الواقع، لطالما تذمّرت آن من أنّ ابنتها مدلّلة جدّاً وصعبة الإرضاء.

طمأنهـا جـون قائلاً: "بالطبع يمكنكم ذلك، ولكن احرصي على ارتداء جزمة قبل الدخول".

"آه يـا إلهـي"، قالت، فيما حاولت باسكال كبت رغبتها بالضحك. سألت والـدها قائلة: "أليس من الأفضل الذهاب إلى أحد الفنادق؟ لا تبدو الإقامة هنا ممكنة". اعتقدت بأنّ استعمال أنابيب المياه غير ممكن على الإطلاق، وفضّلت في تلك الحالة الإقامة في فندق.

قالت لها ديانا: "نحن هنا منذ يومين، ولم نواجه مشكلة في البقاء في هذا المنزل. ما رأيك لو رافقتك لتري غرفتك؟" ولكنّ رؤية الغرفة لم تطمئن ماندي فعـلاً. فالأنابيب كانت تقرقر والمياه تتسرّب، كما شمّت رائحة رطوبة وعفن فـي الغرفة. كانت من أولئك الأشخاص الذين لا يشعرون بالراحة تماماً حين يغادرون المنزل. قالت ديانا: "سوف أفتح النافذة"، في محاولة لمساعدتها. ولكن حـين حاولت فتحها، سقط مصراع النافذة وحطّ في الحديقة. قالت وهي تبتسم

لمانـدي التي كست وجهها تعابير الفزع: "سوف أطلب من البستانيّ تثبيته في مكانـه". وبعـد خمس دقائق، عادت إلى والدها لتسأله ما إذا كان يظنّ المنزل آمـناً. كمـا أنّها تعاني من رهبة تجاه العناكب والحشرات، ومن الواضح أنّ المنزل يملك منها حصّة وافرة.

قالـت لـه بحذر: "حقّاً أنا لا أعتقد بأنّه علينا البقاء هنا". واقترحت عليه الذهاب إلى فندق بيبلوس، الأفضل في سان تروبيز. فأحد أصدقائها أقام فيه في العام الفائت.

أجابهـا مطمئـناً: "سـنكون بخير هنا. وسوف نستمتع بالإقامة هنا مع أصـدقائنا. لـسنا بحاجة للذهاب إلى فندق". وكان إريك قد أخبره بأنّ المركب الشراعي بحالة جيّدة وأنّه يتوق إلى الإبحار فيه معه.

قالت وهي ما تزال تشعر بالقلق: "ربّما عليّ الذهاب إلى البندقيّة باكراً". كانت تنوي ملاقاة أصدقاء لها هناك.

أجابهـا بهـدوء: "كما تشائين". لطالما كانت آن أفضل منه في التعامل معهـا. فهو يفقد صبره حين ينتابها التوتّر أو القلق، ومن الواضح أنّها تفضّل الفخامـة علـى "الطابع الريفي". بيد أنّه لا يظنّ بأنّ قضاء بضعة أيّام في فيلا متداعية في سنّها سوف يؤذيها، بالرغم من الحشرات والمشاكل الأخرى. وفي الواقـع، المنـزل يعجبه، فهو مريح وغير متكلّف ويمتاز ببعض السحر، وقد سـبق وأخبر باسكال بأنّه أعجبه. فقد كانت تشعر بالذنب لأنّه أقلّ ممّا وعدتهم به، غير أنّهم تكيّفوا معه بسهولة.

وقعـت أوّل أزمـة بسيطة في وقت متأخّر من عصر ذلك اليوم، حين ذهـبت ماندي للتمدّد على سريرها لتقرأ لبعض الوقت. وما إن استراحت عليه حتّـى تهـاوى مـن تحتها. فاثنان من أرجل السرير كانتا مكسورتين، وقد تمّ تدعـيمهما بعناية لإخفاء الأمر. وحالما تحرّكت، اختلّ التوازن الدقيق وانهار الـسرير على الأرض. فأطلقت صرخة صغيرة دفعت بباسكال إلى دخول غرفتها لسؤالها عمّا بها، ثمّ أخذت تضحك حين وجدت ماندي ممدّدة على الأرض.

"آه يا إلهي، سوف أنادي ماريوس لكي يقوم بإصلاحه".

ولكن حين أتى ليحاول إصلاح الضرر، تبيّن بأنّ السرير قد دعّم مرّات عديدة إلى حدّ أنّه أصبح من المتعذّر ترميمه هذه المرّة. وكان على ماندي أن تذعن للنوم على فراش على الأرض، ممّا يسهّل وصول العناكب والحشرات التي تخشاها بشدّة. وقد لاحظت باسكال بأنّها لم تكن سعيدة بذلك وخامرها شعور بأنّها سوف ترحل عنهم إلى البندقيّة قريباً.

غادر ماريوس غرفتها وبيده علبة العدّة وعلى وجهه شيء من الذهول. فشكرته على مساعدته.

ولاحقاً أخبرهم جون وهو يضحك: "إنّه شابّ طيّب، كما أنّ زوجته جوهرة حقيقيّة. سوف تحبّين طراز ملابسها". وحين ظهرت أغات في المساء، كانت ترتدي قميصاً أبيض مخرّماً فوق صدريّة سوداء، وسروالاً أسود قصيراً بالكاد يغطّي مؤخّرتها. لم تستطع ماندي أن تمنع نفسها من الضحك، بالرغم من أنّ والدها بدا مصدوماً بعض الشيء.

قال جون وقد بدت عليه التسلية: "أظنّ بأنّها جذّابة، انتظر حتّى ترى رداء جلد النمر الصغير أو سروالها الورديّ القصير المثير". فأخذ روبرت يضحك، فيما توارت ماندي عن الأنظار. كان قد استمتع باستعمال المركب الشراعي عصر ذلك اليوم، وحالة المنزل المتداعي تثير فيه التسلية. بالنسبة إليه، بدت الإجازة أشبه بالمغامرة، وهو واثق من أنّ آن كانت لتحبّ المنزل هي أيضاً، وكانت سترى الجانب المضحك في الأمر. في الواقع، لطالما كانت تتمتّع بروح المغامرة أكثر من ابنتها، ولم تكن تخشى الحشرات. ماندي هي فعلاً ابنة مدينة.

وبينما كانت باسكال تطهو العشاء في تلك الليلة وتتحقّق من الدجاج الذي تشويه في الفرن، سقط باب الفرن عند قدميها على أرض المطبخ. ولكنّ إريك تمكّن من إصلاحه. فاستعمل أسلاك رزم البضائع وابتكر نظاماً فريداً لإعادة تثبيته، فيما صفّق الآخرون لبراعته. رغم أنّ ماندي ذكرت لاحقاً موضوع

بيبلوس أمام والدها مجدّداً بنظرة رجاء. من الواضح أنّها لم تكن تستمتع بالسحر الريفي للمنزل بقدر والدها وأصدقائه.

قال لها ببساطة: "أحبّ هذا المكان، والآخرون كذلك". بالرغم من أنّه لم يكن مصدر تسلية لها بالقدر نفسه. فما من أحد في سنّها لتمضي الوقت معه، حتّى أنّها بدأت تظنّ بأنّها أخطأت بالمجيء. ولكنّها لم ترغب بإيذاء مشاعر أحد بالمغادرة قبل الموعد المحدّد.

أخيراً كان والدها هو الذي عرض عليها إعفاءها من البقاء.

"هذا المكان غير ممتع بالنسبة إليك حبيبتي. فالمنزل غير مريح بقدر ما ظننت". وحتّى المركب لا يثير اهتمامها، بالرغم من أنّ شقيقيها بحاران ممتازان، إلاّ أنّها لا تحبّ الإبحار. كانت تفضّل التزلّج على الماء، والرقص ليلاً، ومرافقة أشخاص في سنّها.

أجابته بصدق: "أحبّ البقاء معك هنا، بابا". في الواقع، لطالما أحبّت أصدقاء أبيها، ولكنّ رفقتهم تشعرها بالوحدة لعدم وجود والدتها بينهم، مع أنّها مولعة بديانا وباسكال.

"إن كنت ترغبين بالذهاب باكراً إلى البندقيّة لن يزعجني ذلك". كان سعيداً مع آل موريسون وآل دونالي، ولكنّ ماندي تشعر بالذنب لتركه.

"بالطبع لا، يعجبني المكان". وكان كلاهما يعلمان بأنّ في كلامها شيئاً من التحوير للحقيقة.

"برأيي، من الأفضل لك الانضمام باكراً إلى أصدقائك". ثمّ حثّها على الذهاب للتسوّق في سان تروبيز عصر ذلك اليوم. فالتقت هناك بصديق يقيم في الجوار، في راماتويل. كان شابّاً لطيفاً للغاية، ومرّ لاصطحابها إلى العشاء في تلك الليلة.

أمّا الباقون فذهبوا للعشاء في لو شابيشو، وهو مطعم اقترحته عليهم أغات. غادروا المنزل في سيّارتين وكانوا يشعرون بالحماس، باستثناء إريك

وديانا، اللذين افترقا وذهبا كلّ في سيّارة مختلفة. بدا إريك منهكاً وديانا أكثر هدوءاً بكثير من العادة. ولكنّ المطعم أعجب الجميع، وازداد إعجابهم به حين تذوّقوا الطعام. فقد كان ممتازاً.

عند الساعة الحادية عشرة، كانوا لا يزالون هناك، يتسامرون بسعادة. حتّى أن مزاج إريك وديانا تحسّن مع أنّهما لم يجلسا بالقرب من بعضهما ولم يتحدّثا طيلة العشاء. كانت باسكال منهمكة في حديث مع روبرت حين ذكر من جديد بأنّ شخصاً سوف يصل يوم الاثنين. كان من المفترض أن تغادر ماندي في نهاية الأسبوع، إن لم يكن قبل ذلك.

سألته باسكال من دون اكتراث: "هل نعرفه؟" كان الفضول يتآكلها، ولكنّها لم تشأ أن تبدو بأنّها تتدخّل في شؤونه.

"لا أظنّ ذلك، إنّه شخص التقيت به قبل شهرين، حين خرجت مع ماندي". عندها راحت باسكال تصغي باهتمام متسائلة ما إذا كان يقصد تلك الممثّلة السيّئة السمعة أو التي افترضت على الأقلّ بأنّها سيّئة السمعة ووافقتها ديانا على ذلك. فتابع: "أنا أكيد بأنّكم سمعتم عنها، فهي امرأة لطيفة جدّاً، تقيم هذا الأسبوع مع أصدقاء لها في أنتيب، وظننت بأنّه من الممتع لكم التعرّف عليها".

كافحت باسكال لاختيار الكلمات المناسبة، يتجاذبها الفضول واللياقة، فقالت أخيراً: "وهل أنت مهتمّ بها؟".

أجابها ببساطة: "نحن مجرّد صديقَين". ثمّ لاحظ بأنّ الجميع يصغون إلى حديثهما، فبدا عليه بعض الارتباك. "إنّها ممثّلة، تدعى غوين توماس. فازت بأوسكار في العام الماضي". حدّقت به ديانا باستنكار واضح حالما قال ذلك. كانت هذه الأيّام أكثر ميلاً إلى توجيه الانتقادات.

سألته بفظاظة: "لِمَ قد ترغب بالمجيء إلى هنا؟ نحن لسنا مثيرين للاهتمام بالنسبة إليها، كما أنّ المنزل في حالة تعيسة. هل تريدها حقّاً أن تأتي؟" كانوا جميعهم يتضرّعون إلى الله بأن يجيبهم نافياً، فهم لا يرغبون

بوجود غريبة بينهم، لا سيّما امرأة صعبة ومدلّلة على الأرجح. وفي الواقع، كانت المرأتان واثقتين بأنّ "الممثّلة"، كما يسمّونها فيما بينهم، تحاول استغلال روبرت بطريقة من الطرق. كانتا تحبّانه كثيراً، وتفترضان بأنّه ساذج في هذه الأمور بعد كلّ تلك السنوات التي قضاها في القفص الزوجي.

قال روبرت بهدوء: "إنّها امرأة لطيفة جدّاً. أعتقد بأنّكم ستحبّونها". وفيما قطّبت المرأتان جبينيهما، هزّ الرجلان رأسيهما وشعرا بالفضول للقائها.

أصرّت ديانا على موقفها وقالت في محاولة لتثبيط همّته: "ولكنّ المكان لن يثير اهتمامها". غير أنّه لم يتأثّر بقلّة حماسها هي أو باسكال للقاء غوين. ومع أنّ جون وإريك شعرا بالاهتمام سرّاً، إلاّ أنّهما ما كانا ليقولا شيئاً لزوجتيهما.

في الواقع، كان أسوأ ما تخشاه باسكال هو الاضطرار إلى استضافة نجمة مدلّلة. كانت واثقة بأنّ غوين توماس هي كابوس من دون شكّ، لا سيّما مع شهرتها الواسعة. وسوف تقضي على إجازتهم، وربّما على حياة روبرت أيضاً. "كم من الوقت ستمكث معنا؟".

"ستمكث بضعة أيّام، أو أسبوعاً على الأكثر. هذا يعتمد على الوقت الذي ستعود فيه إلى لوس أنجلوس لتبدأ بروفات فيلم سينمائي، فلقد أرادت الاستراحة أوّلاً. وقد ظننتُ بأنّ انضمامها إلينا سيكون ممتعاً لها". قال ذلك على نحو أبوي وعطوف، ثمّ أضاف: "أظنّ بأنّها كانت لتثير إعجاب آن، لأنّهما تملكان الآراء والمواقف نفسها. كما تحبّان الكتب والموسيقى والمسرحيّات نفسها أيضاً". نظرت باسكال إلى جون بعينين يشوبهما القلق، وحتّى ديانا رمقت إريك بنظرة خاطفة. في الحقيقة، أيّ منهما لم تصدّق لدقيقة واحدة بأنّهما مجرّد "صديقين". كانتا واثقتين بأنّ غوين توماس تسعى إلى الاستيلاء عليه وبأنّه حملٌ وديع يساق إلى الذبح. ولم تصدّقا بأنّ نوايا الممثّلة قد تكون شريفة تماماً.

خيّم الصمت على الجميع، فما كان من إريك إلاّ أنّ طلب الحساب. فدفع كلّ منهم حصّته، فيما انكبّ جون على الفاتورة، مصمّماً على إيجاد خطأ. فهو يفترض دوماً بأنّ المطاعم تسعى إلى خداعه، لهذا السبب، تكره باسكال الخروج معه للعشاء. وعادة، حين ينتهي من تفنيد الفاتورة وإعادة جمع الحساب، يكون قد أفسد عليها السهرة. غير أنّها هذه المرّة كانت منزعجة من قرب وصول "صديقة" روبرت إلى حدّ أنّها لم تنتبه لجون. كانت متلهّفة لمناقشة الموضوع مع ديانا في اليوم التالي ورأت بأنّ دعوة غوين إلى هنا هي خطوة جريئة من قبَل روبرت. إذ لم يكد يمضي وقت طويل بعد على وفاة آن حتّى يبدأ بالخروج مع أيّة امرأة. في الواقع، بدت لها المرأة والزيارة غير مناسبتَين على الإطلاق.

سألهم روبرت بلطف: "هل نذهب إذاً؟" فتوجّهوا إلى السيّارتين للعودة إلى المنزل. استقلّت باسكال وديانا سيّارة جون في طريق العودة وتحدّثتا بحماس عن خططهما الهادفة إلى "إنقاذ" روبرت من حبائل غوين.

"لمَ لا تعطيان الفتاة فرصة لتريا كيف ستتصرّف؟" سألهما جون فردّتا عليه بنظرة غاضبة، مما دفعه على التساؤل ما إذا كانتا تغاران من غوين. ولكنّه لم يجرؤ على سؤالهما. كلّ ما قالتاه هو أنّهما قلقتان على روبرت وأنّهما تدينان إلى آن بحمايته من فتاة لا تستحقّه برأيهما.

حين وصلوا إلى البيت، تمنّوا جميعاً لبعضهم ليلة سعيدة، وكانت ماندي قد وصلت قبلهم وخلدت إلى النوم. ولكنّ باسكال تمدّدت على السرير تفكّر بالمصيبة التي حلّت عليهم، ثمّ التفتت إلى جون بنظرة قلقة.

سألته بقلق: "ماذا عن الصحافة؟".

"ماذا عنها؟" سألها بدوره من دون أن يفهم. لم تكن لديه فكرة عمّا يجول في رأسها. يبدو بأنّ مخيّلتها أخذتها بعيداً.

"سوف يلحق الصحفيّون بتلك المرأة إلى هنا ولن ننعم بلحظة سلام لبقيّة الإجازة". كانت فكرة منطقيّة لم تخطر على بال أحد منهم حتّى الآن.

أجابها بقلق: "لن يكون بيدنا شيء حيال ذلك. أنا أكيد بأنّها معتادة على الصحفيّين وتستطيع تدبّر الأمر. أقرّ بأنّني فوجئت لدعوته إيّاها إلى هنا، لا سيّما بوجودك أنت وديانا فوق رأسه". وبدت عليه إمارات التسلية وهو يقول ذلك.

أجابته غاضبة: "نحن لسنا فوق رأسه، بل نهتمّ لأمره". وبدت فرنسيّة جدّاً، ثمّ أضافت بتفاؤل: "ربّما لن تمكث لأكثر من يوم واحد حين ترى المنزل. وقد تغادر حين تكتشف بأنّنا لها بالمرصاد. قد يكون روبرت بريئاً في هذا المجال، ولكنّنا لسنا كذلك". فما كان من جون إلاّ أن انفجر ضاحكاً وهو يستمع إليها.

قال لها مفكّراً: "مسكين روبرت. لو يعلم ماذا تخبّئان له حين تصل. في الحقيقة، لا أظنّ بأنّنا سنعتاد أبداً على وجود شخص آخر في حياته. أيّة امرأة غير آن تبدو دخيلة بكلّ معنى الكلمة. غير أنّه يملك الحقّ بفعل ما يريد. إنّه رجل راشد ويحتاج إلى رفيقة. لا يمكنه البقاء وحده لمدّة طويلة. وإن كانت الفتاة تعجبه، باسكال، ما العيب في ذلك؟ إنّها جميلة وشابّة وهو يستمتع برفقتها. يمكنه فعل ما هو أسوأ". في الواقع، بدت الفكرة رائعة بالنسبة إليه، أكثر ممّا يمكن أن يعترف لباسكال.

"ماذا دهاك؟ هل جننت؟ ألا تعلم من تكون؟ إنّها ممثّلة محتالة وعلينا إنقاذه منها". كان رأياً أقلّ ما يقال عنه بأنّه متطرّف. ولكنّها بدت وكأنّها مكلّفة بمهمّة مقدّسة.

"أعلم ما تفكّرين فيه. ولكنّني كنت أتساءل ما إذا كنّا نملك الحقّ بالتدخّل. ربّما كان روبرت يعرف ماذا يفعل. وربّما كانا فعلاً مجرّد صديقين، أمّا إن تعدّت علاقتهما ذلك، فمن الممكن أن يكون مغرماً بها. مسكين روبرت، أشعر بالأسف عليه". ولكن ما مدى الأسف الذي يمكن للمرء أن يشعر به إزاء هذا الوضع؟ إحدى أهم نجوم هوليوود قادمة لزيارته. لا شكّ بأنّه حدث فيه من الإثارة أكثر ممّا عرفه خلال حياته بأكملها مع آن.

"أشعر بالأسف عليه، فهو بريء، وهذا هو السبب الذي يدفعنا إلى حمايته. كما أنّ ماندي ستستاء كثيراً لو علمت بالأمر".

قال لها جون بجديّة: "لا أظنّ أنّ عليك إخبارها. روبرت هو الذي يتوجّب عليه إخبار ابنته عن تلك المرأة".

أجابته باسكال بتشاؤم: "سوف تكتشف الأمر لاحقاً في جميع الأحوال".

ثمّ أضافت بتصميم: "فليرفّه عن نفسه قليلاً بعد الحزن الذي كابده إثر فقدان آن. ربّما كان هذا كلّ ما سيحظى به. ولاحقاً، سوف نعثر له على امرأة مناسبة".

ذكّرها جون: "في الواقع، أجده يبلي حسناً بمفرده. يا إلهي، إنّها ضربة موفّقة، إحدى أشهر الممثّلات في البلاد".

قالت باسكال بإصرار وكأنّه أثبت فكرتها: "بالضبط، ولهذا السبب، علينا حمايته. من غير الممكن أن تكون شخصاً طيّباً، نظراً إلى كلّ ذلك".

"مسكين روبرت"، كرّر جون وهو يبتسم. ثمّ استلقى لينام بجوار باسكال وهو يعلم أنّ عليه الشعور بالأسف تجاهه، ولكن بالرغم من تحذيرات زوجته، بدت الفكرة مثيرةً بالنسبة إليه.

8

انقضت بقيّة أيّام الأسبوع، أمضوها في تناول العشاء في المنزل أو في المطاعم، وفي الاسترخاء والتمدّد تحت أشعّة الشمس والسباحة والإبحار. غادرت ماندي يوم السبت، قبل يوم واحد من موعد رحيلها. وبالرغم من كلّ شيء، أمضت هي ووالدها وقتاً رائعاً. كان قد أخبرها من دون ذكر للتفاصيل بأنّ شخصاً سوف يزوره في الأسبوع التالي، فارتاحت لمعرفة أنّه سيكون محاطاً بالأصدقاء. ومع أنّها نوت سؤاله عمّن يكون، إلاّ أنّها نسيت في غمرة الأعمال التي كان عليها إنجازها قبل الرحيل. وافترضت بأنّه أحد أصدقائه القدامى، أو زميل له في المحكمة، ولم يخطر ببالها أنّه قد يكون امرأةً على الإطلاق.

وفي مساء يوم الأحد، فيما كانت باسكال وديانا تعدّان العشاء، خيّم عليهما شعور بالترقّب لقرب وصول غوين في اليوم التالي. فروبرت لم يخبرهم الكثير عنها، ولكنّ حماسه لرؤيتها بدا واضحاً وإن لم يتحدّث عنها. وكانت باسكال وديانا، وحتّى إريك وجون إلى حدٍّ ما، ما زالوا يشعرون بالفضول والتشكّك حيالها. فبالرغم من كلّ الأفكار المسبقة التي كوّنوها عنها، ما يزالون غير واثقين ممّا ينتظرهم.

بدا روبرت كالطفل بينهم. فهو لم يواعد أحداً منذ سنوات، وبالتأكيد ليس امرأة من هذا النوع. فعالمها غير مألوف على الإطلاق بالنسبة إليه. إنّها مشهورة ومتكلّفة، وأيّ منهم لا يوافق على نمط حياتها، بالمبدأ. فهي غير "محترمة"، كما قالت باسكال، مطلّقة ولم تنجب أطفالاً، مما يوحي

بالنسبة إليهم على الأقلّ بأنّها أنانيّة، لا تهتم سوى بذاتها ومهنتها. باسكال لم تتمكّن من إنجاب الأطفال ولكنّها رغبت بذلك. أمّا غوين، فهي بالتأكيد تكره الأطفال. في الواقع، وجدوا ألف سبب وسبب لكرهها، حتّى من قبل أن تقع أعينهم عليها.

صباح يوم الاثنين، اتصلت غوين وأخبرت روبرت بأنّها سوف تصل بالسيارة وقت الغداء. كانوا واثقين بأنّها ستأتي في سيارة ليموزين سوداء طويلة يقودها على الأرجح سائق ببزّة أو شيء من هذا القبيل. ومع أنّهم طلبوا من ماريوس إصلاح سرير غرفة ماندي، غير أنّ أحداً منهم ما كان ليمانع لو انهار السرير مجدّداً. كانوا أشبه بأولاد في مخيّم أو في مدرسة داخليّة يخطّطون لتعذيب الفتاة الجديدة.

لم يكن روبرت مدركاً لما يجري وهو يستحمّ ويستعدّ لوصولها. فارتدى سروالاً قصيراً أبيض اللون مع قميص قطني أبيض وانتعل صندلاً بنّيّاً. كان رجلاً وسيماً، ومع السمرة التي اكتسبها بدا أفضل من أيّ وقت، وأكثر شباباً وحيويّة ممّا كان عليه لشهور أو حتّى سنوات.

اقترحت باسكال عدم انتظارها للغداء. فقرّر روبرت عدم تناول الغداء واصطحابها إلى مطعم في سان تروبيز إن كانت تشعر بالجوع. بدا له من غير اللائق تجاهلها وتناول الطعام مع الباقين. ولكنّه حثّهم على عدم الانتظار. كان هادئاً ولطيفاً كعادته، ولم تكن لديه أدنى فكرة عمّا يخبّئون لها في جعبتهم، وإلاّ ما كان ليطلب منها المجيء.

كانت باسكال تعدّ الغداء لتقديمه عند الظهر حين سمعت صوت سيّارة تتوقّف في الحديقة، فراحت تتطلّع من نافذة المطبخ لترى من القادم. كلّ ما رأته كان سيّارة دو شوفو صغيرة، ثمّ شاهدت امرأة جميلة حمراء الشعر تترجّل منها. كانت ترتدي تنورة قصيرة وقميصاً قطنيّاً أبيض اللون وتنتعل صندلاً أبيض منخفض الكعبين، ولكنّها بدت في الوقت نفسه نضرة جدّاً، حيويّة ونظيفة. كان شعرها مزيّناً بمنديل مزركش، وذهلت باسكال حين لاحظت بأنّها

تشبه ماندي بعض الشيء، ولكنّها أكثر جمالاً منها. تساءلت في البداية من تكون المرأة، ثمّ أدركت مجفلة بأنّها غوين. لم يكن ثمّة ليموزين أو سائق أو صحفيّين. نظرت غوين حولها وهي تحمل حقيبة يد كبيرة من القشّ وحقيبة ملابس صغيرة واحدة. على الرغم منها، طلبت باسكال من ماريوس الخروج لمساعدتها. وفيما تبعته بنظرها وهو يتّجه نحوها، رأت روبرت يخرج من المنزل. لا بدّ بأنّه كان ينتظر وصولها عند إحدى نوافذ الطابق العلويّ، مثل صبيّ ينتظر صديقته.

أشرقت غوين في اللحظة التي رأت فيها روبرت، وحتّى باسكال أقرّت بأنّ ابتسامتها تسلب الألباب، وبأنّ بشرتها جميلة وساقيها رائعتان في التنورة القصيرة والصندل. كان تتمتّع بوجه رائع الجمال، وبدت سعيدة ومرتاحة معه وهما يتوجّهان إلى المطبخ. حدّقت فيها باسكال بينما قدّمهما روبرت لبعضهما وابتسم بفخر لغوين.

قالت لها باسكال مجاملة: "أنا سعيدة للقائك. سمعنا عنك الكثير".

قالت لها غوين بلطف: "وأنا أيضاً سمعت عنكم الكثير. لا بدّ بأنّك باسكال. كيف وجدت المنزل؟" سلّمت على باسكال وبدت غافلة عن الاستقبال البارد الذي تلقّته منها. كانت سلسة، طبيعيّة وغير مدّعية على الإطلاق. حتّى أنّها عرضت نقل حقيبتها إلى الطابق العلوي بنفسها، ولكنّ روبرت طلب من ماريوس القيام بذلك، ثمّ عرضت غوين مساعدة باسكال في إعداد الغداء. فاندفعت على الفور إلى حوض غسل الأطباق لتغسل يديها، وبدا عليها الاستعداد للمساعدة.

"أنا.. لا... آه... لا بأس. لا ضرورة لذلك". فاكتفت غوين بالجلوس في المطبخ مع باسكال وروبرت الذي راح يتحدّث معها بحماس عن العمل الذي أنجزته باسكال في المنزل لجعله مريحاً بالنسبة إليهم.

"عليهم أنّ يدفعوا لنا مقابل إقامتنا هنا"، قال روبرت بإعجاب، فسمعه جون وهو يدخل المطبخ.

قال وهو ينظر إليها ويتساءل من تكون: "هذه فكرة أوافقك عليها". فكّر بينه وبين نفسه أنّه أيّاً كانت تلك المرأة، فهي جميلة على نحو لا يصدّق. وحين نظر إلى وجه زوجته، أدرك من تكون. لم يتعرّف إلى غوين في البداية، وأكثر ما فاجأه هو أنّه لم يتوقّع أن تكون عاديّة جدّاً، وجميلة أو شابة إلى هذا الحدّ. بالطبع، لم يبدُ عليها أنّها في الحادية والأربعين، ولكنّ باسكال تساءلت ما إذا كان شبابها طبيعيّاً أم أنّها لجأت إلى عمليّات تجميليّة. كانت تضع القليل جدّاً من مساحيق التجميل، وبدت طبيعية تماماً. كانت بسيطة، متواضعة، تتمتّع بلطف ودفء طبيعيّين وبجمال مذهل. وبعد أن تفحّصها جون بعناية، وجد بأنّه من المستحيل أن يرى فيها المرأة الشرّيرة التي وصفتها زوجته. وفي الحقيقة، سرعان ما وجدت باسكال نفسها متفاجئة من الراحة التي بعثها سحر غوين في المحيطين بها.

بعد مرور عشر دقائق، أصبح الغداء على الطاولة ودخل الزوجان موريسون، فوقفا مشدوهين لرؤيتها. لم تكن تشبه على الإطلاق ما تخيّلاه. بل كانت أكثر جمالاً وأقلّ تكلّفاً، كما بدت دافئة فعلاً وهي تتحدّث إليهم. ولكن بالرغم من كلّ هذا، قالت ديانا لنفسها بأنّ غوين ممثّلة وأنّها تستطيع خداع أيّ كان.

جلست غوين معهم إلى الطاولة بعد أن نقلت إليها عدّة أطباق، وهي غافلة تماماً عمّا يجول في رؤوسهم من أفكار جهنّميّة تجاهها. فقد اندفعت تساعد باسكال على الفور، من دون تردّد. ومع أنّ روبرت عرض عليها اصطحابها إلى مطعم لتناول الغداء، إلاّ أنّها أكّدت بأنّها ستكون أكثر ارتياحاً لو تناولت الغداء مع أصدقائه. قالت بأنّ روبرت أخبرها الكثير عنهم وبأنّها سعيدة للقائهم أخيراً. فتبادلت باسكال وديانا نظرة ذات مغزى، وظلّتا على قناعة بأنّ مظهرها الفاتن يخفي وراءه أفعى ماكرة.

حين بدأوا بتناول الطعام، سأل روبرت غوين عن الأنتيب. كان يبدو مرتاحاً جدّاً معها، فأخبرته بأنّها استمتعت بوقتها الذي قضته في القراءة

والتمدّد تحت أشعّة الشمس. فقد كانت منهكة حين وصلت إلى هناك.

سألها باهتمام: "ماذا قرأت؟" كان الباقون يراقبونها بانبهار وغرابة. فبعد رؤيتها كلّ هذه الفترة على الشاشة، كان من الغريب الجلوس معها على طاولة واحدة والتحدّث إليها. قالت غوين لروبرت بأنّها قرأت عدداً من الروايات الجيّدة التي ذكرت عناوينها. وكانت كلّها الكتب نفسها التي قرأتها باسكال وديانا.

قالت لهم: "أتمنّى دوماً تمثيل فيلم مستوحى من الروايات التي أقرأها. ولكن ليس من السهل العثور على نصوص جيدة، فمعظم النصوص سطحية جدّاً وتبعث على الملل". ثمّ أخبرتهم بأنّها مثّلت مؤخّراً فيلماً يرتكز على رواية لغريشام وبأنّها استمتعت كثيراً بالعمل. وهذا ما أثار إعجاب باسكال وديانا وإن لم يبدُ عليهما ذلك.

كان روبرت قد قرأ اثنتين من الروايات الأربع التي ذكرتها. ووافقها بأنّها جيدة. ثمّ تحدّثوا بحماس عن هذا الموضوع فضلاً عن أمور أخرى، إلى أن قدّمت باسكال القهوة. وكان إريك وجون قد اندمجا في الحديث، ولكن المرأتين بقيتا على صمتهما. فهما لم ترغبا بالوقوع تحت سحرها، حتّى وإن كان الرجال قد أخذوا بها بسرعة. كانت مريحة، ذكيّة، مرحة وسهلة المعشر. أسهل بكثير من ديانا أو باسكال. فغوين هي التي تحدّثت قليلاً إلى كلّ منهم وسألتهم عمّا فعلوه في إجازتهم وهي التي أدارت دفّة الحديث، بالرغم من أنّ باسكال وديانا لم تسهّلا عليها الأمور. فقد كانتا تجيبانها بردود قصيرة جدّاً أو حتّى تمتنعا عن الإجابة، ولكن لم يبدُ عليها بأنّها لاحظت ذلك أو انزعجت منه.

وحين انتهوا من تناول الطعام، دخلت أغات وأضفت شيئاً من الفكاهة على جوّ الغرفة المشحون. كانت أغات غافلة عن التأثير الذي تحدثه فيهم وهي تدندن وتحمل كومة من المناشف أمامها، يتبعها أحد جرائها. ثمّ غادرت المطبخ بالسرعة التي دخلت بها. حدّقت بها غوين وهي تتهادى وتهزّ مؤخّرتها

الكبيـــرة مع نغمات الموسيقى. كانت ترتدي سروالاً قصيراً معرّقاً بألوان جلد النمـــر مــع صــدريّة مرصّعة بالماس المزيّف وتنتعل صندل الساتان الأحمر العالي الكعبين المفضّل لديها.

همـــست غــوين لروبرت بعد أن غادرت أغات: "من كانت تلك؟ وكأنّه مشهد للبيرايس".

انفجر الباقون بالضحك على الرغم منهم.

أجابهـــا روبرت مبتسماً أمام وصف غوين الذكي لها: "تلك هي أغات". مـــن الأمور التي تثير إعجابه بغوين هو أنّها تجعله يضحك أكثر ممّا فعل منذ وقت طويل. قال لها بسعادة: "إنّها مدبّرة المنزل، ترتدي عادة زيّاً أسود اللون ومريلة بيضاء، ولكنّها ارتدت اليوم هذه الملابس خصّيصاً لأجلك". وبينما هو يـــتحدّث إليها، رأى أصدقاؤه التعبير الذي علا وجهه. كان يبدو مرتاحاً معها، مع أنّ من عادته أن يكون جدّيّاً وحتّى كئيباً في بعض الأحيان. أما معها، فكان مـــرحاً أكثر من أيّ وقت. وفيما ظنّت باسكال بأنّه يجعل من نفسه أضحوكة، تـــساءلت ديانـــا ما إذا كان لون شعر غوين طبيعيّاً. كان احمراره رائعاً، ومع ذلك من الممكن أن يكون طبيعيّاً، وهو كذلك في الواقع. شعرها أحمر طبيعي، من أندر طيور هوليوود، مع عينين كستنائيّتين كبيرتين وبشرة رائعة من دون نمـــش. أسباب كثيرة كانت تدفع المرء إلى كرهها، لا سيّما مع وجود كلّ هذا الميل.

"هل يمكنها حقّاً أن تقوم بالأعمال المنزليّة؟" كانت غوين لا تزال تطرح الأسـئلة حـــول أغـــات، فهزّ روبرت رأسه، وقد ظهرت على وجهه إمارات التـــسلية وبدا في مزاج جيد على غير عادة. كان كذلك طيلة الإجازة، ما دفع باســـكال إلى التساؤل إن كان قرب وصول غوين هو السبب. بالتأكيد، لم يكن يـــبدو عليه الحزن الشديد، كما في الشهور السابقة، ولكن سبق وقال لهم جون بأنّـــه مـــن غير العادل تجاهل جهود روبرت بأن يبقى مرحاً لكي لا يشعرهم بحزنه.

"تقـــول باســـكال بأنّهـــا عاملة نشيطة"، قال روبرت عن خادمتهم ذات الملابـــس غير العاديّة وقطيع الكلاب التي لا تتوقّف عن النباح. "سبق والتقيت بـــزوجها، صحيح أنّه كسول بعض الشيء، ولكنّه لطيف. لقد أتيا مع المنزل"، أضاف شارحاً لها وهي تضحك.

سألت ديانا وهي تنظر إليهما: "ماذا سيفعل الجميع بعد الغداء؟" كانت قد قرّرت أنّه في حال قرّرا أخذ قسط من النوم، فسوف تشغل نفسها بعمل ما في الممـــرّ بـــين غـــرفتيهما. كانت مستعدّة لفعل أيّ شيء لحماية روبرت، وأقلّه تصعيب الأمور عليهما. شعرت بأنّها تدين بذلك لآن.

"لـــن أمانـــع بالذهاب إلى سان تروبيز لبعض الوقت للتسوّق، إن لم يكن لدى أحد مانع بذلك". كانت غوين قد سبق وأخبرت روبرت بأنّها تحبّ التسوّق ولكنّها نادراً ما تملك الوقت.

"سأرافقك"، قال روبرت على الفور بينما حدّق فيه الآخرون. لم يكن سرّاً بالنسبة إليهم بأنّه يكره التسوّق. وكذلك كانت آن. فجأة أصبح رجلاً مختلفاً.

ســـألتها باســـكال فـــي محاولـــة لإظهار نقطة ضعف فيها: "هل تحبّين الإبحار؟".

أجابت غوين بهدوء: "أنا أعشق الإبحار". ثمّ التفتت إلى روبرت وسألته: "هل تفضّل ذلك عوضاً عن التسوّق؟" ونظرت إلى روبرت بلطف وهي تسأله.

أجابها: "يمكننا القيام بهذا وذاك. فلنذهب أوّلاً إلى سان تروبيز".

"ســـوف أحـــضر حقيبتـــي"، قالت غوين قبل أن تتوجّه إلى غرفتها. أمّا روبـــرت فابتسم لأصدقائه من دون أن يفطن إلى الغيرة التي اعتملت في قلبي ديانـــا وباســـكال. كانـــتا تتـــصرّفان وكأنّهما التوأمان الشرّيران لشخصيّتيهما الأصليّتين.

بادرهم والسرور يملأ قلبه للقائهم بها أخيراً: "أليست امرأة لطيفة؟".

"بلـــى"، أجابـــته باسكال من بين أسنانها، فرماها زوجها بنظرة رادعة.

فبرأيه، باسكال وديانا تجاوزتا حدودهما، وكان روبرت وغوين صبورين معهما كثيراً. ولو سُئل إريك، لوافقه على رأيه. لحسن الحظ، لم يبدُ بأنّ روبرت لاحظ مدى العداء الذي أظهرته المرأتان. كان إعجابه بغوين شديداً إلى درجة أنّه لا يستطيع تخيّل عدم انبهار أيّ شخص بها. مع أنّ اثنتين على الأقلّ من أصدقائه كانتا مصمّمتين على المقاومة، من دون علمه. كانتا تريان فيها خطراً محدقاً يجب التصدّي له بأيّ ثمن، ومهما كلّف ذلك، لمصلحته بالطبع.

تبع روبرت غوين إلى الخارج بعد وداعهم، وبعد بضع دقائق، سمعوا صوت السيارة الصغيرة وهي تنطلق بعيداً، فيما نظر الرجلان إلى زوجتيهما مستنكرَين موقفهما.

"ماذا لو أبديتما أنتما الاثنتين لطفاً أكبر حين يعودان؟ تبدو امرأة لطيفة، وهي ضيفة روبرت"، قال إريك موجّهاً حديثه لزوجته ولباسكال على السواء، فمن الواضح بأنّ جون، الذي كان يهزّ برأسه، يوافقه على كلامه.

أجابته ديانا بمرارة مشيرة إلى الخطيئة التي ارتكبها مؤخّراً: "من الواضح بأنّك وقعت في شباكها على الفور، أليس كذلك؟ لم أكن أعرف بأنّك تحبّ ذوات الشعر الأحمر. ولكنّني أكتشف فيك كثيراً من الأمور الجديدة هذه الأيّام". ومع أنّ إريك انزعج من تلميحها القاسي إلاّ أنّه سيطر على نفسه.

"ليس هذا موضوعنا. لو كنت مكان غوين لما أزعجت نفسي بإفراغ حقائبي، بل لتوجّهت إلى أقرب فندق، عوضاً عن احتمال معاملتنا لها. ليست مضطرّة إلى الإقامة هنا، روبرت هو الذي يرغب بذلك، وهي تنزل عند رغبته. من الواضع بأنّها تهتمّ لأمره، وليس ذنبها إن كان يملك أربعة أصدقاء كانوا متعلّقين بآن وغير قادرين على تجاوز حقيقة وفاتها. روبرت هو الذي يختار من يريد في حياته، ولسنا مسؤولين عن إفساد هذا الأمر عليه". كان كلامه منطقيّاً، أأعجبهما ذلك أم لا.

تدخّلت باسكال غاضبة: "إنّها ممثّلة. يمكنها إقناع أيّ كان بأيّ شيء، أنت، جون، روبرت... هذه مهنتها. حتّى أنّه لا يعرف من تكون".

"ربّما كان يعرفها أكثر منّا، باسكال. روبرت ليس بغبيّ، إنّه رجل راشد وذكيّ. وهي امرأة جميلة وصبورة، إن كانت ترغب بالبقاء معنا. لو كنت مكانها لما فعلت. بل لكنت قلت لكم بأن تذهبوا إلى الجحيم ولغادرت قبل انتهاء الغداء. بالكاد نطقتما بكلمة أنتما الاثنتان. أنا واثق من أنّ كثيراً من الناس كانوا سيتمنّون الجلوس معها ومعاملتها بلطف. هي ليست مضطرّة لاحتمالنا. فماذا لو كنتما أكثر لباقة حين يعودان؟" كان يبذل جهده لإقناعهما، ففي الحقيقة لم يسبق له أن رآهما تتصرّفان على هذا النحو. وقد وافقه جون على رأيه.

"إريك على حقّ. نحن لا نسبّب الأذى لها وحدها بل لروبرت أيضاً لو أسأنا التصرّف معها. لم لا نتركه يتحمّل مسؤوليّة نفسه؟" كما أنّه أحبّ غوين، أكثر بكثير ممّا توقّع، ولكنّه لا يرغب بإخبار باسكال بذلك. كما أحبّ الطريقة التي تعاملت بها معهم، بلطف وظرف وأدب. بدت له محترمة جدّاً وحسّاسة جدّاً، وقد أحرجه تصرّف زوجته، شأنه شأن إريك.

قالت ديانا: "ما خطبكما أنتما الاثنان؟ هل وقعتما في غرامها لمجرّد أنّ ساقيها جميلتان وترتدي تنّورة قصيرة؟ إنّها تصغر روبرت باثنين وعشرين عاماً وهو يجعل من نفسه أضحوكة. أخبراني، كم تعتقدان بأنّ هذه العلاقة سوف تدوم؟ سرعان ما ستلتقي بممثّل شابّ، وتتخلّى لأجله عن روبرت، فينفطر قلبه إن أغرم بها".

"ربّما هو مغرم بها منذ الآن، وهي تبادله شعوره. لمَ لا نتركه يتولّى أموره بنفسه؟ وما المشكلة حتّى إن لم تدم علاقتهما، ما دام سيجد فيها بعض المتعة؟ فقد يستمتع بإخبار أحفاده يوماً ما عن العلاقة التي أقامها مع ممثّلة شابّة وجميلة في أحد فصول الصيف. أمور أسوأ تحدث لغيره، لا بل أسوأ بكثير"، قال إريك وهو ينظر إلى زوجته قبل أن يضيف: "حبّاً بالله، إنّه عازب،

وليس مضطرّاً لأن يقدم تفسيرات لأيٍّ كان، وبالتأكيد ليس لنا نحن. من أين لنا الحقّ بأن نقف في طريقه؟".

قالت ديانا موجّهة حديثها إلى زوجها: "ألا يستعمل جميع الرجال سوى جهة واحدة من دماغهم؟ هي جميلة، أقرّ بذلك، ولكنّ أحداً منّا لا يعرف من تكون؛ ولا حتّى روبرت، أنا واثقة من ذلك. كلّ ما في الأمر أنّني لا أريده أن يقوم بعمل أحمق أو أن يؤذي نفسه أو أن يسمح لممثّلة لعوب في هوليوود باستغلاله".

سألها إريك بإصرار: "كيف؟ كيف يمكن لها أن تستغلّه؟ إنّها تجني على الأرجح أموالاً تفوق ما يجنيه أيّ منّا. لن تجني شيئاً من مشاركته السرير، فهو لن يعطيها دوراً في فيلم سينمائيّ. وبرأيي لولاه، لفضّلت الإقامة في فندق أربع نجوم عوضاً عن النوم على سرير متهالك قد ينهار من تحتها في منتصف الليل، مع حمّام لا ترشح مياهه وخادمة لا تنفث الدخان في وجهها وأربعة أشخاص يحوّلون حياتها إلى جحيم بحجّة حماية رجل يرغب بأن يكون معها في جميع الأحوال، وربّما يجب عليه ذلك. أخبريني ما الذي تظنّين بأنّها سوف تكسبه من ذلك؟" كان كلامه منطقيّاً بالرغم من أنّ أيّاً من المرأتين لم تكن مستعدّة للاستسلام، ولكنّه سجّل نقطة، فيما هزّ جون رأسه موافقاً.

سألته باسكال بغضب: "وماذا لو تزوّجها؟ ماذا سيحدث عندها؟".

"لمَ لا نقلق لهذا الشأن في وقته؟" تدخّل جون بينما انفجر إريك ضاحكاً فجأة.

"ما زلت أذكر أوّل يوم تناولنا فيه العشاء معك، باسكال. كنت بالكاد تتحدّثين الإنكليزيّة، تأخّرت ساعة عن موعدك وارتديت فستاناً ضيّقاً إلى حدّ كنت عاجزة معه على التنفّس، وكنت راقصة باليه، وهي في النهاية مهنة لا تختلف كثيراً عن التمثيل، بنظر بعض الأشخاص على الأقلّ. وكانت ديانا وآن متشكّكتين تجاهك، ولكنّهما تجاوزتا الأمر، وأغرمتا بك...الجميع أعطاك فرصة. لمَ تبخلان بتلك الفرصة عليها؟" أعقب كلامه صمت تامّ وهو يحدّق

بها، وأخيراً استدارت باسكال وهزّت رأسها رافضة الاقتناع. كان محقّاً في ما قاله، وهي تعلم ذلك. كانت راقصة باليه خائفة، متوتّرة، ولا تملك قوت يومها حين أغرم بها جون، وكان من الممكن أن يوجّهوا إليها التُهَم نفسها في ذلك الوقت. ولكن ما يعقّد الأمور اليوم هو أنّهم أحبّوا آن كثيراً. والآن رحلت آن، وغوين هي المرأة التي يرغب روبرت بأن يكون معها. لقد وثق بهم حين أحضرها إلى هنا، وهم يخونون تلك الثقة بعدم إبداء أيّ لطف تجاهها. كان بإمكان باسكال أن تفهم وجهة نظر إريك مع أنّها غير مستعدّة للإقرار بذلك أمامهم.

لم تتنازل ديانا عن موقفها وهي تضع الأطباق في الحوض. كانت لا تزال منزعجة من إريك ولا ترغب بسماع شيء منه. غوين ليست سوى وجه جميل آخر يثير إعجابه. وموافقة جون له على رأيه لا تعني لها شيئاً. كانت غاضبة على الجميع هذه الأيّام، وغوين ليست سوى متنفّس آخر للغضب الذي يعتمل في صدرها.

خرج الرجلان إلى الحديقة لتدخين سيجار، بينما بقيت باسكال في المطبخ لتساعد ديانا، وبعد صمت طويل، نظرت إلى صديقتها.

سألتها مقطّبة جبينها بقلق: "ما رأيك؟".

أجابت ديانا بعناد: "من المبكر جدّاً أن نعرفها على حقيقتها". فهزّت باسكال رأسها موافقة، ولكنّها، في أعماق أعماقها، لم تعد مقتنعة تماماً بما تفعله. إريك كان على حقّ في كثير ممّا قاله.

وفي السيّارة المتّجهة إلى سان تروبيز، كانت غوين تسأل روبرت عن أصدقائه.

"هل أنت واثق بأنّهم لا يمانعون وجودي بينكم، روبرت؟ أشعر بأنّني متطفّلة. فأنتم معتادون على أن تكونوا معاً بعد كلّ هذه السنوات، ثمّ أظهر أنا على هذا النحو المفاجئ. إنّه تغيير كبير بالنسبة إليهم". كانت قد شعرت بانزعاجهم خلال الغداء، أكثر منه في الواقع. فقد ظنّ بأنّهم خجلون منها ليس

إلاّ، لكونها مشهورة، وهذا ما قاله لها، مما جعلها تبتسم لكلامه. كانت تعرف، شأنها شأن باسكال وديانا، بأنّ روبرت بريء، وقد أحبّت فيه هذه الصفة. فهو معتاد على رؤية الجانب الجيّد وحسب، وعلى تبسيط الأمور. "أعتقد بأنّ الموضوع أصعب عليهم ممّا تتخيّل. فرؤيتك مع امرأة أخرى هي تغيير كبير بالنسبة إليهم".

أجابها بجدّية وهو يفكّر بأن: "إنّه تغيير كبير بالنسبة إليّ أنا أيضاً". ولكنّه لم يكن يرغب بالعودة مجدّداً إلى دوّامة الحزن عليها. فمهما بلغ حزنه، في الحاضر أو في الماضي، لن يعيدها إلى الحياة. "ولكن علينا جميعاً أن نتكيّف مع الواقع الجديد". ثمّ أضاف وهو ينظر إليها بلطف: "كلّ ما في الأمر أنّني لا أرغب بأن أتسبّب لك بالأذى. هل كانوا قساةً معك؟" سألها قلقاً من أن يكون قد فاته شيء.

"بالطبع لا. أنا أشعر فقط ببعض التحفّظ والمقاومة. ولا بأس في ذلك. ولكنّني لا أودّ إفساد الإجازة عليك أو على أصدقائك".

"إنّهم أشبه بعائلتي، غوين. لقد تشاركنا ماضياً طويلاً. أنا أرغب حقّاً بأن يتعرّفوا عليك، وأن يقدّروك، تماماً مثلما فعلت". كان يعرف بأنّهم لن يقاوموا علاقتهما، أو هكذا اعتقد. أمّا هي، فلم تكن واثقة إلى هذا الحدّ.

"أظنّهم بحاجة إلى الوقت، روبرت"، قالت وهم يقتربون من قلب سان تروبيز، فراحت تبحث عن مكان لتركن فيه سيّارتها. وأضافت: "قد يستغرق الأمر وقتاً أطول ممّا تظنّ". هذا إن أعطوها فرصة. فهي تدرك تماماً بأنّهم قد لا يفتحون لها قلوبهم أو أبوابهم. ولم تكن واثقة مثل روبرت بأنّهم سوف يتقبّلون وجودها ويرحّبون به.

"أنت لا تعرفين أصدقائي. ثقي بي غوين. بنهاية العشاء الليلة، سيكونون قد أغرموا بك. فما الذي لن يعجبهم فيك؟" قال لها مبتسماً.

أجابته بلطف: "أنا لست آن. وهذا أوّل عيب لديّ، في عيونهم. كما أنّني مشهورة... وممثّلة... ومن هوليوود... وأنا واثقة بأنّهم يجدونني غريبة

الأطوار، لا سيّما إن قرأوا ما تقوله الصحف. سيكون من الصعب عليهم تقبّل كلّ تلك الأمور دفعة واحدة. صدّقني، لقد سبق لي أن مررت بذلك. كلّها صفات تدفع الناس على كرهك إلى أن يعرفوك على حقيقتك، هذا إن فعلوا. أنا مذنبة حتّى تثبت براءتي وليس العكس".

"ليس في منزلي، وليس بين أصدقائي"، قال لها بثقة وهي تبتسم له وتنحني لتقبيل خدّه. لن تضغط عليه، ولكنّها شعرت بمقاومتهم خلال الغداء، وهي تجربة مألوفة لديها. ومع أنّها مؤلمة أحياناً، ومخيّبة، ولكنّها اعتادت على المرور بها مرّات ومرّات. كما أنّهم أصدقاؤه منذ ثلاثين عاماً، وهذا جدار سميك عليها اختراقه. إلاّ أنّها لن تضغط عليهم، فهي أذكى بكثير من أنّ تفعل ذلك. سوف تستمرّ بالقيام بعملها بهدوء على أمل أن يأتي الوقت الذي يفتحون لها فيه أبوابهم. ولكنها كانت مصمّمة على عدم الضغط عليهم. كما أنّه من المبكر معرفة ما سيحدث مع روبرت بجميع الأحوال.

عثر أخيراً على موقف، فالتفت إليها في السيّارة الصغيرة وأحاطها بذراعه وعانقها بلطف. "هل نبدأ جولتنا، آنسة توماس؟".

"موافقة، حضرة القاضي". وابتسمت له بحبّ. كانت سعيدة لمجيئها لزيارته، وإن كان أصدقاؤه غير راضين عن وجودها.

"هل سيتعرّف عليك المارّة؟".

"على الأرجح. هل يمكنك الاعتياد على ذلك؟" سألته وشاب نظرتها شيء من القلق. فمن الممكن أن يكون الأمر مزعجاً أحياناً، لا سيّما إن لم يكن المرء معتاداً عليه. وعالم الشهرة هو عالم مجهول تماماً بالنسبة إلى روبرت، وهذا ما أحبّته فيه أيضاً. فرفقته تجعلها تشعر بأنّها على صواب وأنّها حقيقيّة.

"أظنّ أنّه من الأفضل لي الاعتياد على ذلك، إن كنت ستمضين الوقت معي". فهو يشعر بأنّه محظوظ بصحبتها، ليس بسبب شهرتها، بل بسبب شخصيّتها كإنسان وليس كنجمة. قال لها وهما يترجّلان من السيّارة: "فلننطلق". وما كادا يمشيان بضع خطوات حتّى أوقفهم أحد المارّة طالباً

توقيعها. ابتسم وهو يراها تتوقّف وتوقّع على ورقة صغيرة. وبعد دقيقتين، طلب منها شابّان التقاط صورة معها. لبّت طلبهما بلطف ثمّ تابعت طريقها وحاولت ألاّ تسبّب الانزعاج لروبرت قدر الإمكان. وفي النهاية، تمكّنا من الاستمتاع بجولتهما، ثمّ دخلا أحد المقاهي لتناول العصير. فأمضيا كالعادة وقتاً رائعاً وهما يتحدّثان ويضحكان ويستمتعان بصحبة بعضهما. فأحاديثهما لا تنفد أبداً، كما يستمتعان دوماً برفقة بعضهما البعض.

دار الحديث حول مواضيع عديدة، عمله، أفلامها، قناعاتهما، أهلهما، أولاده، وطفولتها. اكتشف بأنّها كانت ترغب بأن تصبح مدرّسة، ولم تتوقّع يوماً بأن تصبح ممثّلة، فما بالك بأن تفوز بأوسكار. فأخبرته عن شعورها حينذاك، وكم عنت لها تلك الجائزة، كما شرحت له صعوبة اختيار الأدوار من الآن فصاعداً، حتّى تلك التي قد تهتمّ لأمرها.

قالت له: "في بعض الأحيان، يجد الممثّل نفسه مضطرّاً إلى قبول دور لا يعجبه. فليس من الضروري أن يجني كلّ فيلم أوسكاراً". ثمّ أخبرته عن دورها الجديد وعن الممثّلين الذي ستعمل معهم. كان موضوع الفيلم دوراً حول جريمة قتل غامضة، والممثّل الذي يعمل معها أكثر شهرة منها، وهذا ما ذكّرها بأمر آخر تودّ إخباره به. "لديّ بعض الأصدقاء في المنطقة يمضون إجازتهم على يخت رائع الجمال يدعى تاليتا ج، يملكه بول غيتي". كان روبرت قد سمع عنه ولكن لم تسبق له رؤيته. فهو يخت كلاسيكي مزوّد بمحرّك، وداخله في غاية الفخامة، كان مطعّماً بالرخام ويحتوي على قطع الأثاث القديمة، وقد استأجره أصدقاؤها لأسبوعين. فسألته ما إذا كان يحبّ دعوة أصدقائه لزيارة اليخت. "فضّلت أن أسألك عن رأيك قبل توجيه الدعوة لهم".

أجابها بصدق: "تبدو فكرة رائعة. لطالما رغبت بزيارته. فقد قرأت عنه مقالاً منذ سنوات وأريته لآن. كانت أكثر خبرة في المراكب الشراعية، ولكنّها وجدته رائعاً. بدا جميلاً جدّاً في الصور".

"إنّه كذلك في الواقع. رأيته في العام الماضي وفكّرت باستئجاره، ولكنّني وجدت بأنّ استئجار يخت كهذا لي ولبعض الأصدقاء من لوس أنجلوس فيه شيء من التباهي". ولكن مجرّد تفكيرها في الأمر أثار إعجابه.

أجابها بحنان: "أعتقد بأنّ الآخرين سوف يحبّون رؤيته". ثمّ أخبرته عن هويّة أصدقائها الذين استأجروه، فانفجر ضاحكاً. "سوف يغمى على السيّدتين إن أخبرتهما بذلك"، قال روبرت بمرح. في الواقع، كانت حياة غوين مختلفة تماماً عن حياته. إنّها تنتمي إلى عالم غريب عنهم جميعاً. فهي تعرف أشخاصاً وتذكر أسماءً غير معروفة لدى معظم الناس سوى من خلال المجلاّت ووسائل الإعلام. فالممثّل الذي استأجر اليخت هو نجم ذائع الصيت، يدعى هنري آدامز، وزوجته عارضة أزياء معروفة. وهما يستضيفان على متن اليخت نجمين شهيرين.

قالت له غوين مبتسمةً: "إنّهم أصدقاء قدامى ولطفاء، وقد يحبّ أصدقاؤك الالتقاء بهم".

أجابها وهو يضحك: "لن يفوّتوا على أنفسهم فرصة كهذه".

قالت له: "سوف أتّصل بهم على اليخت حين نعود. كانوا ينزلون جميعاً في فندق أوتيل دو كاب في الأسبوع الفائت. إنّه عمل شاقّ، ولكن على أحد أن يقوم به"، أضافت مبتسمة.

"هل تعتقدين بأنّهم سيمانعون بالمجيء إلى الفيلا؟".

بالطبع لا، سوف يحبّون ذلك". كانت قد عملت مع كلّ منهم في أفلام في السنوات الخمس الماضية، ما أثبت لروبرت مجدّداً مدى أهمية مهنتها، والشوط الذي قطعته فيها. والأمر الوحيد الذي يفاجئه هو مدى قلّة تكلّفها ومدى تواضعها وعدم ادّعائها.

حين رجعا إلى المنزل، اصطحبها في رحلة على متن المركب. لم تكن ماهرة في الإبحار مثل آن، ولكنّها صبورة ولم تتذمّر حين استدار المركب استدارة حادّة وسقطت في الماء. كانت تضحك حين ساعدها على الصعود إلى

المركب مجدداً، وأبعد نظره عنها حين سقطت تقريباً القطعة العلوية من لباس البيكيني. ومع أنّه لم يرغب بإحراجها، إلاّ أنّه أعجب بجمالها الرائع. فمن الصعب على أيّ كان ألاّ يعجب بها. أمضيا بعد الظهيرة على متن المركب، وحين عادا، كانت باسكال وديانا تطهوان العشاء، وبالكاد ردّتا التحيّة حين دخلا.

سأل روبرت غوين بصوت منخفض: "هل تفضّلين الخروج؟" كان شعرها رطباً وقد لفّت جسدها بمنشفة بحر كبيرة وحملت صندلها فيما دخلا المنزل حافيين.

"كلاّ، أفضل البقاء. يمكننا الخروج في وقت آخر. سوف أتّصل بهنري. ربّما أمكننا تناول العشاء على متن اليخت مساء غد، إن وافق الباقون. لقد أخبرني بأنّ الطعام شهيّ جدّاً، فهم يملكون طاهياً ممتازاً."

"لا أظنّهم سيهتمّون حتّى لو كان طعاماً فاسداً، ماداموا سيكونون هناك ويلتقون بهم"، قال لها هامساً وهما يبحثان في خزانة المؤن عن وجبة خفيفة ويأخذان قبضة من البزورات. قدّم لها شيئاً لتشربه، فتناولت بعض المياه المعدنيّة.

قالت غوين لباسكال وديانا اللتين عادتا إلى المطبخ: "سوف أعود للمساعدة خلال بضع دقائق". إلاّ أنّ باسكال ردّت عليا بجفاف بأنّه لا حاجة إلى ذلك. عندها أدرك روبرت بأنّ غوين كانت على حقّ. فهو لم يسبق له أن رآهما تتصرّفان على هذا النحو أيضاً. كان تصرّفهما ينمّ عن شيء من البرودة والعدائيّة، ممّا أحزن روبرت.

صعد روبرت وغوين إلى الطابق العلويّ وتوجّهت غوين إلى غرفتها لارتداء ملابسها، وفي اللحظة التي جلست فيها على السرير، تهاوى من جديد، فانفجرت ضاحكة. كان مشهداً سينمائيّاً ممتازاً.

طرقت باب غرفة روبرت بعد لحظة، فخرج وقد لفّ منشفة حوله، كان يستعدّ للاستحمام. همست قائلة: "أظنّ بأنّهم فخّخوا سريري".

فابتسم لها وقال: "كلاّ لم يفعلوا، حدث ذلك في الأسبوع الفائت أيضاً. سوف أطلب من ماريوس إصلاحه. أنا آسف غوين". كان يشعر بأسف حقيقيّ. فقد أرادها أن تمضي وقتاً جميلاً، وهو يخشى الآن بأن يحدث العكس. ولكن بدت عليها التسلية لا الانزعاج. يبدو بأنّ شيئاً لا يزعج غوين، ولا حتّى استقبال الآخرين البارد لها. فقد أدركت بأنّهم يتصرّفون بهذا الشكل بدافع خوفهم على صديقهم، وليس لأسباب أكثر خبثاً، ممّا سهّل عليها الأمر.

نزل روبرت إلى الطابق السفلي بحثاً عن ماريوس، وذهبت غوين للاستحمام. وحين خرجت بمئزر وردي اشترته من الريتز، كان السرير قد أصلح وروبرت ذهب للاستحمام. التقيا في الممرّ صدفة بعد عشرين دقيقة، في طريقهما إلى الطابق السفلي. كانت ترتدي سروالاً حريريّاً أصفر فاتحاً وقميصاً حريريّاً ملائماً من دون أكمام، كما ألقت على إحدى ذراعيها وشاحاً معرّقاً بالأزهار وانتعلت صندلاً ذهبيّاً. أمّا وجهها فزيّنته بأقلّ قدر من مساحيق التجميل. كانت أقرب إلى امرأة رائعة الجمال منها إلى نجمة سينمائيّة.

قال لها بصدق: "تبدين جميلة"، ولم يتمكّن من تجاهل عطرها. كان عطراً خفيفاً برائحة الأزهار ومثيراً جدّاً. وللحظة، تاق قلبه إلى آن، ولكنّه حاول إقناع نفسه بأنّه لا علاقة لهذا بذاك. كلّ ما في الأمر أنّه مشتاق إليها، ومهما كانت غوين جميلة، إلاّ أنّها ليست آن. بل هي امرأة في غاية الرقّة وهو يستمتع بصحبتها. تذكير نفسه بهذه الحقيقة، ساعده على تمالك نفسه وهو يتبعها على السلالم في طريقهما إلى المطبخ. كان إريك هناك يشرب العصير ويتحدّث إلى باسكال، بينما ذهبت ديانا لتغيير ملابسها من أجل العشاء. أما جون، فكان يدخّن سيجاراً في الخارج ويلتقط بعض الصور لمغيب الشمس. كان المنزل يقع على الزاوية نفسها التي بنيت عليها مقاهي البلدة، ممّا سمح لهم برؤية المغيب، وهو أمر نادر في سان تروبيز.

سألتهم غوين ببساطة: "ماذا يمكنني أن أفعل للمساعدة؟" فيما صبّ لها روبرت كأساً من الشراب وقدّمه لها. أمّا باسكال فأخذ توتّرها يتصاعد.

أصبحت في موقف حرج الآن، لأنّها لو حسّنت سلوكها نحو غوين، لبدا تصرّفها خيانة لديانا.

أجابتها بفظاظة: "لا يمكنك فعل شيء". وسعياً لتلطيف حدّة مزاج باسكال، أخبرها روبرت عن الدعوة التي توجّهها لهم غوين لليوم التالي. قال بأنّ بعضاً من أصدقائها سوف يأتون على متن يخت رائع وأنّهم قد يتناولون العشاء بصحبتهم على متنه. فقالت باسكال وهي تضع بعض البطاطس في الفرن مع اللحم: "أنا أكره المراكب". والطريقة التي تكلّمت بها أثبتت لروبرت فجأة بأنّ غوين كانت على حقّ بشأن أصدقائه.

أكّد لها قائلاً: "سوف تحبّين هذا اليخت"، وراح يخبرها عنه. بدا إريك مهتمّاً وهو يستمع إليه، ثمّ دخل جون في منتصف الحديث ونظر بإعجاب نحو غوين مبتسماً، فبادلته الابتسام. ولكنّ المشهد لم يفُتْ باسكال.

سألهم وهو يضع الكاميرا على الطاولة ويأخذ من إريك كأساً من الشراب: "أيّ مركب؟ هل سنستأجر مركباً؟ لدينا واحد". إلاّ أنّ حالة المركب الذي لديهم دفعتهم جميعاً إلى الضحك. فأضاف بحزم وهو يدّعي الغضب: "لسنا مضطرّين إلى صرف مزيد من المال". كان لا يزال عاجزاً عن تحويل عينيه عن غوين.

قال روبرت بصراحة: "كنت أفكّر بأن نبتاع مركباً". علا الشحوب وجه جون إثر هذا النبأ.

"هنا؟ في فرنسا؟ لماذا؟ هل جننت؟" ثمّ أدرك فجأة بأنّ روبرت يحاول مضايقته. فاستدرك قائلاً: "حسناً، حسناً، فهمت. إذاً، عن أيّ مركب تتحدّثون؟" فأخبره روبرت، وحين دخلت ديانا مرتدية بنطالاً واسعاً أبيض اللون مع قميص ملوّن، أخبرهم عن هويّة أصحاب اليخت الذين سيزورونهم في اليوم التالي، بفضل غوين.

سألته ديانا باهتمام وعدم تصديق في الوقت نفسه: "أنت تمزح، أليس كذلك؟" لا شكّ بأنّه خبر مثير للاهتمام.

أجابها روبرت بفخر: "كلاّ، لست أمزح. في الحقيقة، كانت حياة غوين تسلّيه في بعض جوانبها. وقدرتها على تقديم أصدقائه إلى ثلاثة من نجوم السينما الكبار وإلى عارضة أزياء هي بالتأكيد واحدة من تلك الأمور. ومع أنّها تعجبه أكثر بكثير من نواح أخرى، إلاّ أنّ هذا الجانب كان باعثاً على التسلية.

نظر بامتنان إلى غوين التي كانت قد اتصلت بالزوجين آدامز قبل أن ترتدي ثيابها ورتّبت مجيئهم إلى الفيلا غداً في وقت الغداء. وقد خطّطوا بأن يذهبوا جميعاً للتجوّل باليخت بعد الظهيرة والتوقّف للسباحة في مكان ما، ثمّ يرسون على شاطئ الفيلا لتناول العشاء. وللمرّة الأولى، كانت ديانا وباسكال عاجزتين عن الكلام نوعاً ما. فمن المستحيل التذمّر من دعوة كهذه. هكذا استغرقوا جميعاً في محادثة حامية، مع أنّهم استثنوا منها غوين ولم يشكروها على ما فعلته لأجلهم. ولكنّ روبرت شكرها لاحقاً، حين تنزّها في الحديقة بعد العشاء. لم يعاملها الباقون بلطف، مع أنّ إريك وجون بذلا مجهوداً لذلك. غير أنّ باسكال وديانا بقيتا على موقفهما. في الواقع، تحدّث إليها جون مطوّلاً، بالرغم من أنّ باسكال كانت تحدّق به. ولكن، عندما تمّ تقديم القهوة، كانت الأسئلة قد نفدت من رأسه. لقد أعجب بها، وهي قدّرت الجهود التي بذلها للتحدّث معها وشعرت بالامتنان له. فقد كان ألطف الموجودين تجاهها، باستثناء روبرت. كما طرح عليها إريك بعض الأسئلة عن عملها، ممّا زاد ديانا بعداً.

شعرت غوين بالارتياح لتنشّق بعض الهواء بعد العشاء، فغرقت بسعادة في إحدى كراسي الحديقة التي كان ماريوس قد أعاد طلاءها بناء على طلب باسكال.

أقرّ روبرت قائلاً: "أعتذر لأنّهم ما زالوا يسبّبون لك الإزعاج. أظنّ بأنّك كنت محقّة". لم يكن يعرف ماذا يفعل ولكنّه كان لا يزال يأمل بأن يعاملوها بلطف أكبر حين يعتادون عليها. لم يكن يفهم تماماً سبب عداء المرأتين لها، بل يجده سخيفاً، أمّا غوين فكانت تفهمهما. كانت معتادةً على ذلك. فغيرة الناس

مـــن جمالها ونجاحها هي أمر طبيعيّ بالنسبة إليها. وكلّ ما يرغب به روبرت هو تسهيل هذه التجربة عليها.

قالت غوين بقناعة وهما جالسان معاً في الحديقة: "سوف تتحسّن الأمور مـــع الوقت، كما أنّ زيارة اليخت غداً سوف ترفّه عنهم. كانت وكأنّها تتعامل مـــع مجمـــوعة مـــن الأطفال. ولكي تكسب ودّهم، عليها أن تبقيهم مشغولين ومستمتعين.

قـــال روبـــرت بحزن: "لم أتوقّع أبداً أن يكون ردّ فعلهما بهذا الشكل. لا أفهـــم لماذا تتصرّفان هكذا. ما الهدف من سلوكهما الفظّ تجاهك؟" كان منزعجاً من تصرّف باسكال وديانا نحوها، ولم يعد قادراً على تجاهله بعد اليوم.

أجابته بحكمة: "إنّهما تسعيان إلى حمايتك. فهما تملكان كثيراً من الأفكار المسبقة عنّي. ولكنّهما ستتجاوزان هذا الأمر، فأنا لا أريد منك شيئاً".

"هـــل من الممكن أن تكونا بهذه الحماقة؟" سألها روبرت متفاجئاً، فأجابته بهزّة من رأسها. "ولكن لماذا؟ أنت في غاية اللطف معهما".

"لـــيس للأمـــر علاقة بذلك، أنت تعرف. فهما تحاولان الوفاء لذكرى آن بالطـــريقة الوحـــيدة التي تعرفانها، كما تظنّان بأنّهما تحافظان على مستقبلك. فبالنسبة إليهما، أنا لست سوى وحش من هوليوود. فكّر بالأمر".

"أتمنّـــى أن تتـــضجا قريباً"، قال بانزعاج. ثمّ خطرت له فكرة عرضها عليها قائلاً: "ما رأيك بأن نذهب للرقص؟".

فكّـــرت بالأمر للحظة ثمّ ابتسمت له موافقة. "تعجبني الفكرة. هل تعتقد بأنّهم سيقبلون بمرافقتنا؟".

أجابهـــا غاضباً وقد شعر بالسأم منهم وبالرغبة في تحدّيهم: "لن أدعوهم. أنت تستحقّين الحصول على بعض المرح من دون وجود من يضايقك".

قالت له بحذر: "أنا لا أرغب بإيذاء مشاعر أحد".

"فلنفكّر الآن بمشاعرنا أنا وأنت، ولنهتمّ بهم في الغد". اهتمامه بمشاعرها

أثّر بها، وهذه المرّة قادت هي السيّارة الصغيرة، وغادرا المنزل حتّى من دون إخـــبار الآخـــرين. ولكنّ آل موريسون وآل دونالي سمعوهما وهما يغادران. فجلـــسوا جمـــيعاً فـــي غرفة المعيشة وراحوا يتحدّثون عنها وقد خيّمت عليهم الكآبة.

قال جون بصراحة ساعياً إلى تحسين صورتها في أعينهم: "إنّها تعجبني. أجدها امرأةً لطيفة". ووجّه نظرة اتّهام إلى باسكال.

فحـــدّقت بزوجها بغضب وقالت: "ماذا تتوقّع؟ إنّها ممثّلة". كانت قد بدأت تمـــيل إلى الجانب الآخر، على الرغم منها، وتشعر بأنّها ممزّقة بين الرأيين. غيـــر أنّهـــا كانت لا تزال ترى بأنّ حبّهم لغوين هو خيانة لآن. وشعرت بأنّها تدين لآن على الأقلّ بعدم الاستسلام سريعاً، مهما قال جون.

أضاف إريك: "اسمعا، عليكما التوقّف عن إزعاج المرأة المسكينة، لأجل روبـــرت إن لم يكن لأجل شيء آخر". هذا ما قاله عصر هذا اليوم. ثمّ التفت إلى زوجته وقال: "عليك الاعتراف بأنّها لطيفة معه".

"ربّمـــا هـــي امرأة جيدة، ولكن لا يعني ذلك بأنّها مناسبة لروبرت، إنّه بحاجـــة إلـــى شـــخص أكثر صلابة". ولكنّ كلامهما يعني بأنّهما تريدان من روبـــرت أن يبقى وحيداً وأن يبكي آن لبقيّة حياته. كانتا مصمّمتين على عدم تسهيل الأمور عليها، خلافاً لإريك وجون.

قالـــت ديانـــا: "روبرت لا يعرف في أيّ مشكلة هو". فهي لا تنكر بأنّ غـــوين مثيـــرة للإعجاب. ولكن أهي صادقة؟ في الحقيقة، ديانا لا تهتمّ ما إذا كانت صادقة أم لا، فهي لا تريد أن تحبّها. لقد أقحمت نفسها في حفرة مظلمة وترفض أن تتزحزح منها.

أمّـــا فـــي الـــبلدة، فكان روبرت وغوين قد نسيا أمرهم، وكأنّهما ولدان مـــشاغبان هـــربا من المنزل. وبعد برهة، قرّرا أن يقصدا أحد مقاهي المرفأ للـــتحدّث لـــبعض الوقت في الهواء الطلق. كانا قد تعبا من الرقص، مع أنّهما اســـتمتعا به. حاول روبرت أن يتذكّر المرة الأخيرة التي رقص فيها. ربّما في

زواج مايك. كان يحبّ الرقص في شبابه، ولكنّ آن لم تكن مولعة به إطلاقاً.

تحدّث روبرت وغوين لساعات وهما جالسان في المقهى يتأمّلان المراكب الراسية في المرفأ. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية حين عادا أخيراً إلى المنزل. ومن حسن حظّهما، كان الجميع نياماً ولم يشعروا بوصولهما.

همست له أمام باب غرفته: "شكراً لك، أمضيت أمسية جميلة".

أجابها هامساً: "وأنا أيضاً". ثمّ انحنى وقبّلها بلطف على خدّها. لم يكن أيّ منهما مستعدّاً بعد لأكثر من ذلك، وهما مرتاحان هكذا. "أراك غداً. نامي جيّداً". وتمنّى لو أنّه يستطيع تغطيتها حين تخلد إلى الفراش، ولكنّ هذه الفكرة بدت له مجنونة. فهي ليست طفلة، بل امرأة. ولكن لم تكن لديه فكرة ماذا يجب أن يفعل الآن، وكيف يبدأ بعلاقة عاطفيّة معها، لا سيّما تحت سقف واحد مع أصدقائه. كما أنّه لم يكن واثقاً ما إذا كان مستعدّاً، ومجرّد كونه يتساءل أكّد له بأنّه غير جاهز بعد.

عوضاً عن ذلك، راقبها وهي تغلق باب غرفتها، فأغلق بابه بهدوء خلفه. وفي اللحظة نفسها، ندم على ذلك. ولكن حين فكّر بتقديمها إلى أصدقائه، وجد بأنّ هذه الخطوة ليست سهلة هي أيضاً. والواقع أنّ الأمر برمّته كان فيه شيء من التحدّي، غير أنّ التحدّي الأكبر يكمن في تصالحه مع ذكرياته عن آن وإحساسه بالوفاء تجاهها ومع ضميره هو نفسه. كان هذا هو التحدّي الأصعب بالنسبة إليه، ولم يكن يملك أيّة فكرة في الوقت الحالي عن كيفية تجاوزه. ولا يظنّ بأنّ غوين تعرف أيضاً، ولكنّ تلك لم تكن مشكلتها. عليه أن يواجهها هو بنفسه، كان يعلم ذلك. وحين تمدّد على سريره وفكّر بآن ومن ثمّ بغوين، لم يستطع أن يمنع نفسه من التساؤل ما إذا كانت نائمة، وكيف تبدو وهي نائمة وماذا ترتدي في السرير. ثمّة كثير من الأمور التي يرغب بمعرفتها عنها. كان ذهنه ما زال مشغولاً حين استغرق في النوم واكتشف بأنّه كان يحلم بها حين استفاق في اليوم التالي. وأدرك وهو يستحمّ ويحلق ذقنه ويرتدي ثيابه بأنّه يتوق إلى رؤية غوين.

9

حين نزل روبرت لتناول الإفطار، وجد بأنّ غوين سبقته. كانت جالسة بمفردها تشرب القهوة بالحليب وتقرأ الجريدة. كانا أوّل من نزل إلى الطابق السفلي، فصنعت له القهوة وتنازلت له عن الجريدة.

"هل نمتَ جيّداً؟" بدت مهتمّة به وقلقة عليه، وأقرّ بأنّه أحبّ ذلك كثيراً. فمن الجميل وجود شخص يهتمّ لأمره من جديد.

اعترف لها قائلاً: "نوعاً ما. في بعض الأحيان، أحلم بآن". ولكنّه لم يخبرها بأنّه لم يحلم بزوجته المتوفّاة تلك الليلة، بل حلم بها، وهذا ما سبّب له الاضطراب أيضاً. وفي الحقيقة، كان يريدها في حياته، ولكنّه لا يظنّ بأنّه يستحقّها. فهو لا يملك الحقّ بالتخلّي عن آن، لا جسديّاً ولا عاطفيّاً، حتّى بعد وفاتها. وراح يتساءل ما إذا كانت آن لتوافق على تلك العلاقة. وأحبّ الاعتقاد بأنّها كانت لتوافق.

"واجهتُ صعوبة أنا أيضاً في الخروج مع شخص آخر بعد طلاقي من زوجي"، قالت له ببساطة وكأنّها تفهم ما يمرّ به ولا ترغب بالضغط عليه. وكان هذا واحداً من الأمور الكثيرة التي أحبّها فيها، أكثر ممّا توقّع. أضافت: "من الصعب الانتقال من حال إلى حال. ظللتُ متزوّجة تسعَ سنوات، أمّا أنت فعشت مع زوجتك لثمانية وثلاثين عاماً. كيف تتوقّع فراقها من دون المرور ببعض التوتّر والتأمّل والتكيّف؟ الأمر يستغرق وقتاً".

"لا أعتقد بأنّني فكّرت بذلك يوماً. فأنا لم أتوقّع أن أعيش من دونها". أو أن أحبّ غيرها. ولكنّه لم يجرؤ على قول ذلك.

أجابته ببساطة: "ولا أنا، ولكنّ القدر يجبرنا في بعض الأحيان على مواجهة أكثر ما نخشاه ولا نتوقّعه أبداً". لم يسألها من قبل عن السبب الذي وضع حدّاً لزواجها، ولكنّه فعل الآن، فترددت للحظة قبل أن تجيبه: "كان على علاقة بامرأة أخرى. علاقة خطيرة جدّاً، مع إحدى أفضل صديقاتنا، واكتشفت الأمر".

سألها وقد بدا متأثّراً وآسفاً لأجلها: "فتركته؟".

"نعم، في خمس دقائق تقريباً. حتّى أنّني لم أفكّر بالأمر. تصرّفت تلقائيّاً وتابعت طريقي".

"وماذا فعل؟".

"طلب منّي العودة، رجاني في الواقع، ولكنّني لم أتحدّث إليه أبداً ولم أناقش الأمر معه. كرهته لوقت طويل، مع أنّني لم أعد أكرهه الآن. ولكنّني لم أسامحه أبداً. كانت صديقتي المقرّبة وقد لمتهما معاً. كنت صارمة جدّاً في ذلك الوقت".

"هل ندمت يوماً على تركه؟".

"نعم، بعدما تركته لمت نفسي على ما فعلت، ولكنّني لم أدعه يعرف. عزّة نفسي منعتني من العودة. كانت أهمّ بالنسبة إليّ. فالجرح الذي أصاب كرامتي كان يوازي جرح قلبي، وهذا غباء منّي على ما أظنّ. لم أدع أحداً يلاحظ الحزن الذي ألمّ بي لأنّني لم أرده أن يعرف بأنّني ما زلت أحبّه".

"وكيف تشعرين الآن حيال ذلك؟".

"تقبّلت الأمر الآن، ولكنّه استغرق منّي وقتاً طويلاً. في البداية كنت أشعر بالمرارة والغضب والرغبة بتدمير ما حولي. كنت مسحوقة".

"هل تظنّين بأنّه كان عليك استرداده؟".

فاجأته بإجابتها: "على الأرجح نعم. لأنّني لا أعتقد بأنّنا بشر أو بأنّنا نستحقّ الحياة، ما لم نسامح بعضنا. استغرقت وقتاً طويلاً لأغفر له، وحين

فعلت، كان الأوان قد فات. كلّ ما أردته في البداية هو معاقبته، وهذا ما حدث، طلّقته. ثمّ أدركت لاحقاً أنّه كان بإمكاني الصفح عنه على الأرجح وتقبّل خيانته وعدم الانفصال عنه. ولكن كان الأوان قد فات. كان من الممكن أن أكون أنا من ارتكب الخطأ. ظللت أحبّه لوقت طويل بعدما انفصلنا، ولكنّني لم أتمكّن من مسامحته على الرغم من ذلك. وهو أمر سوف أندم عليه دوماً، لقد احتجت إلى وقت طويل لأشعر بالسلام حياله". بدت حزينة وهي تخبره بذلك.

قال روبرت بهدوء: "لا شكّ بأنّه من الصعب أن يكون للمرء الخيار في هذه الأمور، أن يختار إلى أيّ حدٍّ يمكنه الذهاب، ومتى يجب عليه التوقّف. تجربتي كانت أسهل نوعاً ما. لم أملك الخيار في فقدان آن، بل كان عليّ التعايش معه. أنت كنت تملكين الخيار، ولو سمحت لنفسك، تستطيعين أن تلومي نفسك لوقت طويل على قرارك. ولكنّني واثق من أنّك اتّخذت القرار الصائب في النهاية".

"أعتقد ذلك، مع أنّني ظللت غير واثقة لوقت طويل. ندمت كثيراً على تركه في ما بعد، ولكنّ كرامتي لم تسمح لي بالعودة. وقد كلّفنا ذلك ثمناً باهظاً في النهاية، وتعلّمت منه درساً مؤلماً".

"ما الذي حدث له؟" نظرة رآها في عيني غوين دفعته إلى طرح السؤال.

"بعدما توسّل إليّ لعدّة أشهر أن أعود إليه ورفضت، تزوّج في النهاية من المرأة التي كان على علاقة بها. ربّما كان هذا ما سيحدث في جميع الأحوال، ولكنّني لست واثقة من أنّه كان مغرماً بها". ثمّ توتّر صوتها وهي تخبره بالباقي وكان واضحاً بأنّ ما حدث يثقل كاهلها. "ثمّ انتحر بعد ستّة أشهر. وهكذا لم أدمّر حياةً واحدة، بل ثلاث، حياتها وحياته وحياتي. أعلم بأنّ شعور الذنب سوف يلازمني إلى الأبد". كانت صادقة معه، على الرغم من الألم الذي تشعر به.

قال لها بلطف: "لا يمكنك أن تعذّبي نفسك بهذا الشكل". لم تخبره بالقصّة من قبل، وقد أدرك الآن الصدمة التي سببها لها الطلاق وموت زوجها. "لا

يمكـــنك أن تعلمي ما الذي كان يحدث معه أو يدور في رأسه في تلك اللحظة. ربّما شعوره بالذنب هو الذي دفعه إلى الانتحار، أو حتّى أمر آخر".

قالــت بحـــزن: "كنت مصمّمة على أن أكون قاسية معه وألاّ أستسلم له. كـنت حانقة عليه. ولكن لو تصرّفت بشكل مختلف وناقشت الأمر معه عوضاً عن طلب الطلاق بهذه السرعة، ربّما ما كنّا انفصلنا عن بعضنا، ولظلّ حيّاً".

"ربّمـــا هـــذا هو قدرك أو قدره، لا يمكنك التحكّم بأفعال الآخرين. ربّما انتهت حياتك معه".

أجابـــته بحـــزن: "كلاّ، هو الذي أنهاها، وبأكثر من طريقة. أنهى حياته بـــشكل حاســـم، فقـــد رمى نفسه بالرصاص. زعمت زوجته الجديدة بأنّني أنا المخطـــئة لأنّـــه لم يتخطّ طلاقي منه. تمكّنت من إلقاء اللوم كلّه عليّ وأعتقد بأنّنـــي صـــدّقتها في ذلك الوقت. أعلم أنّه عليّ تخطّي الأمر لا سيّما وأنّ وقتاً طـــويلاً قد مضى على ذلك، ولكنّني ما زلت أتردّد في بدء علاقة جديدة. فأنا أذكّر نفسي دوماً بما حدث وبما يمكن أن يحدث مجدّداً وبمسؤوليّتي إزاء ذلك. ليس من السهل تجاوز تجربة كهذه".

قـــال لها روبرت بلطف وهو يمدّ يده ويمسك بيدها: "أظنّ بأنّه عليك أن تـــضعي عنك هذا الوزر، غوين. لا يمكنك معاقبة نفسك إلى الأبد. ما ارتكبه بحقّك كان خاطئاً أيضاً. وهو يتحمّل مسؤوليّة ذلك أيضاً، لا بل وأكثر منك".

هـــزّت رأسها موافقة. لقد قال لها كثيراً من الأمور الجيّدة، ممّا أثّر بها. فقالـــت لـــه: "وماذا عنك؟ هل تعذّب نفسك على آن؟ هل تشعر بأنّك مدين لها بحياتك وبأنّه لا يجوز لك أن تشعر بالسعادة مجدّداً؟ في هذه الحالة أنت تعيش فترة صعبة جدّاً، وعليك أن تحرّر نفسك أنت أيضاً يوماً ما، روبرت".

"سوف أفعل، إن تمكّنت من ذلك. كانت شخصاً قويّاً في حياتي. لا أتخيّل بأنّهـــا كانـــت لتتجاوز وفاتي بسهولة. أظنّ بأنّها توقّعت منّي البقاء بقربها إلى الأبـــد. والآن هي التي رحلت، وأنا بقيت، ولا أعرف كيف أنتقل إلى المرحلة التالية".

"ســـوف تـــتمكّن من ذلك، دع الأمر يأخذ وقته ولا تتسرّع". لم يكن أيّ منهما متسرّعاً، وشعر بالامتنان لها على ذلك.

قال لها بإعجاب: "أنت شخص رائع، غوين".

"أخبـــر أصدقاءك بذلك"، أجابته متعمّدةً مضايقته، فنظر إلى الأعلى بسأم في الوقت الذي دخل فيه إريك إلى المطبخ وقاطعهما.

سألهما قائلاً: "هل رأى أحد منكما ديانا؟" ولكنّ أحداً منهما لم يرها. فهي لم تدخل المطبخ بعد. ولكن لم يبدُ على إريك القلق وهو يصبّ لنفسه فنجاناً من القهـــوة. فقد تشاجرا مجدّداً ذلك الصباح حول علاقته، وأخبرته بأنّها لن تتمكّن من نسيان خيانته لها وأنّها ستطلب الطلاق، فرجاها مجدّداً أن تغفر له، ثمّ فقد ســـيطرته على أعصابه في النهاية أمام عجزها عن تخطّي الأمر ومسامحته. عـــندها خـــرجت غاضـــبة مـــن غرفتهما. وفي تلك اللحظة كانت تسبح على الشاطئ، محاولةً السيطرة على مشاعر الحزن والإحباط. كان جرحها مضاعفاً لأنّ المرأة التي تورّط معها أصغرُ منها بكثير. وهذا ما جعلها تشعر بأنّها غير محـــبوبة، ومتقدّمة في السنّ. ولم تعد قادرة الآن على استعادة ثقتها بنفسها أو حبّها لإريك، الذي أصبح فجأة غريباً عنها.

جلـــس إريك بهدوء مع روبرت وغوين وتحدّث معهما. فعرضت عليهما غوين تحضير قليل من البيض، ولكنّهما لم يرغبا سوى بالكرواسان. وحين أتى جون وباسكال إلى المطبخ، سخّنت لهما الكرواسان وصبّت لهما القهوة.

أتت ديانا بعد ذلك وهي تلفّ نفسها بمنشفة للبحر وتجاهلت غوين تماماً. تصرّفت وكأنّها لم تكن موجودة. كانت المرأتان صارمتين في موقفهما تجاهها. وحتـــى روبرت يئس من تغيير رأيهما. وفي حال نشأت علاقة جدية بينه وبين غـــوين، صـــار يعلم الآن بأنّ أصدقاءه المقرّبين لن يوافقوا عليها؛ ولكنّهم لن يشكّلوا جزءاً منها. وشعر بأنّه مظلوم ولكنّه لم يعرف كيف يغيّر موقفهم ما لم يرغبوا هم بذلك. وتساءل ما إذا كانوا سيغيّرون رأيهم لو كانت غوين شخصاً مخـــتلفاً. في الحقيقة، شكّ بذلك، وشعر بالغضب منهم، أو على الأقلّ من ديانا

وباسكال. ولم يكن انزعاجه نابعاً من خوفه على نفسه، بل على غوين أيضاً، فهم لم يعطوها أيّة فرصة. وندم على السماح لها بترتيب ذهابهم إلى اليخت اليوم، لأنّهم لا يستحقّون الرحلة إنْ كانوا سيعاملونها بهذا الشكل. خيّم عليه صمت غير معتاد وهم ينهون الإفطار، ثمّ اقترح على غوين الذهاب للإبحار بعد الانتهاء.

سألته حين أصبحا على متن المركب: "أنت منزعج، أليس كذلك؟ أهو بسبب ما قلته لك هذا الصباح حول الانتقال إلى علاقة جديدة؟" أخذت تتساءل ما إذا كانت قد أزعجته باقتراحها.

"كلاّ، أنا منزعج من سلوك أصدقائي. من المرأتين على الأقلّ. تتصرّفان كالأطفال، وقد سئمت من ذلك".

"علينا أنّ نكون صبورَين"، أجابته بتسامح أكبر مما يشعر به تجاههما.

قال لها بحزن: "أنا نادم نوعاً ما لأنّني أحضرتك إلى هنا، أنت لا تستحقّين هذه المعاملة". ولكنّه شعر بأنّ ما يمرّان به الآن سهّل عليه فجأة تلك الفترة الانتقاليّة. فقد أراد أن يحمي غوين، كما شعر بالولاء لها هي أيضاً وليس فقط لآن. أصبح يدين لها بشيء الآن. لقد كشفت نفسها أمامه وكانت صادقة معه. وفيما هما جالسان في المركب جنباً إلى جنب، قرّبها منه فجأة وعانقها بشغف. وانتابه شعور بالبهجة والإثارة لم يعرفه منذ سنوات. فراح يقبّلها من جديد من دون أن يتوقّف لتنشّق الهواء، ثمّ ابتسم لها. أحسّ وكأنّها الوسيلة الوحيدة للتنفيس عن غضبه، وكانت فعّالة بالتأكيد. فرفضُ أصدقائه لعلاقتهما زادهما قرباً عوضاً عن التفريق بينهما.

"هل أنتَ بخير؟" سألته وكانت ما تزال قلقة عليه، فأجابها بابتسامة وبدا وسيماً وشاباً.

"أنا بأحسن حال". ثمّ عانقها مجدّداً وأحاطته بذراعيها، وللحظة من الزمن نسي أين هو وما الذي كان يزعجه. كلّ ما استطاع التفكير به هو غوين والمتعة التي اكتشفها في تقبيلها. وللمرّة الأولى لم يفكّر بآن، بل فقط بغوين وكم يهتمّ لأمرها.

أبحرا بصمت لبعض الوقت، ثمّ أشارت إلى نقطة في البعيد، فرآه. كان اليخت الرائع، بمدخنتيه الكبيرتين وشكله الأنيق، يقترب منهم ببطء. بدا في غاية الجمال حين لمحاه للمرّة الأولى، فابتسما لبعضهما. كانت واحدة من اللحظات التي عرفا بأنّهما سيتذكّرانها إلى الأبد.

ابتسم لها روبرت قائلاً: "أنت تجعلينني في غاية السعادة". لقد جعلت حياته أكثر انتعاشاً وإثارة، وهو شعور لم يعرفه منذ سنوات. إنّه يتوق الآن إلى إمضاء النهار معها على متن اليخت، وليس نادماً سوى على دعوته للباقين. غير أنّهما رجعا مع ذلك لإيقاف المركب بعيداً، وإخبار أصدقائه بأنّ اليخت يقترب منهم. ومن دون تفكير، سارا في الطريق المؤدّي إلى المنزل يداً بيد. لم يشعر يوماً بتلك الراحة في حياته، ولا حتّى مع آن. كانت أكثر بروداً وأقلّ تعبيراً عن مشاعرها. أما غوين، فكلّ ما يتعلّق بها كان لطيفاً، ناعماً ودافئاً.

حين وصلا إلى المنزل، صعد إلى الطابق العلويّ لإحضار لباس السباحة وبضعة أشياء أخرى، ثمّ توجّه إلى غرفة غوين. كانت ترتدي ثوباً قطنيّاً أبيض اللون، وقد أحاط شعرُها بوجهها. استدارت نحوه حين دخل وابتسمت له، فأخذها بين ذراعيه مجدّداً وقبّلها، ولم يشعر هذه المرّة بالذنب أو الحزن، بل شعر بالراحة والسلام وبعاطفة عميقة. صحيح أنّه لا يعرفها جيّداً بعد، ولكنّه يعرف بأنّه وجد امرأة قد تعني له الكثير، ويحبّ فيها كثيراً من الأمور. نزلا إلى الطابق السفلي يداً بيد من دون أن يقولا شيئاً، في تحدٍّ جريء لأصدقائه. كانت غوين تنوي إبقاء علاقتهما سريّة، ولكنّه أوضح لها ولهم على السواء بأنّ هذه هي رغبته ومشيئته. وتوقّع منهم، الآن على الأقلّ، أن يتقبّلوا ويحترموا التغييرات التي طرأت عليه، ويحترموا غوين أيضاً، وأن يتحمّلوا عواقب رفضهم لها.

10

كـــان يـــومهم على تاليتا ج مع هنري آدامز وزوجته شيري أكثر روعة ممّـــا توقّـــع أيّ مـــن المدعوّين الأربعة. كان هنري بالغ اللطف مع الجميع، ووسيماً إلى حدّ أنّ باسكال وديانا لم تتوقّفا عن التحديق به. وقد اهتمّ بهم كثيراً وحرص على أن يحتفي بهم جميع أفراد الطاقم، فخصّص لهم حجرات لتغيير الملابـــس، ونمـــت الـــصداقة سريعاً بين شيري وباسكال وديانا، كما أمضت العارضـــة الأولـــى في باريس ونيويورك عصر ذلك اليوم وهي تغازل جون، الذي ظنّ بأنّه مات ودخل الجنّة.

كـــان الغـــداء الذي أعدّ لهم رائعاً، وبعد تناوله تمدّدوا جميعاً تحت أشعّة الشمس براحة ورخاء. وبنهاية اليوم، لم تعد غوين تثير إعجاب ديانا وباسكال، بـــل حـــلّ مكانها أصدقاؤها النجوم. همست ديانا لباسكال وهما ممدّدتان على كرســـيّين طويلين بأنّ المرء يعتاد بسرعة على هذه الرفاهية واستغربتا رغبة غـــوين بالـــبقاء مع روبرت في الفيلا المتداعية. كان واضحاً بأنّ جميع أولئك الـــرجال الوسيمين يكنّون لها إعجاباً كبيراً. وبالرغم من اهتمامهم بها إلاّ أنّها عاملـــتهم جميعاً وكأنّهم أخوة أو أصدقاء. كان واضحاً بالنسبة إلى الجميع كم تهـــتمّ بروبرت وحده دون غيره، ممّا خيّب ظنّ باسكال وديانا. لقد أعارته كلّ انتباهها وحرصت على أن يكون مرتاحاً وراضياً وأن يتلقّى معاملة جيدة. ولو أنّ المـــرأتين كانتا عادلتين في حكمهما، لشعرتا بسعادة كبيرة من أجله. ولكن على الأقلّ هذا كان حال إريك وجون.

تلـــك اللـــيلة، تناولوا عشاءهم في قاعة العشاء، ورسوا خارج مرفأ سان

تروبيز فتمكّنوا من مشاهدة المراكب الشراعية العائدة من الرحلات والسباقات. كما أحاط بهم عدد من المراكب الأصغر حجماً التي توقّفت لرؤية اليخت الجميل ومعرفة من يوجد على متنه. وقام عدد من السيّاح واثنان من الصحفيّين المطّلعين بالتقاط صور لهم. بدا بأنّهم يعرفون من يوجد على متن كلّ يخت في الريفييرا. وبالنسبة إليهم، كان هذا اليخت جائزة كبيرة بنجومه الخمسة الذين يتناولون الشراب و يرتدون ملابس البحر.

كان كلّ من غوين وروبرت سعيدَين ومرتاحَين. جلسا معاً وتحدّثا بصوت منخفض في الأوقات التي لم يكونا فيها يضحكان مع مضيفيهما أو يلعبان الورق أو النرد أو يمسكان أيدي بعضهما بصمت وهما يتأملان سطح البحر، غارقَين في أحلامهما، أو يجلسان أحدهما قرب الآخر. استرقت باسكال وديانا النظر إليهما من وقت إلى آخر، وظلّت باسكال مصرّة على أنّ روبرت لن يعتاد على هذه الحياة أو يرغب فيها. كانت شديدة الإثارة بالنسبة إليه، لاسيّما حين تفكّر بالحياة الهادئة التي عاشها مع آن. إنّهم، وبكلّ بساطة، لا ينتمون إلى هذا العالم. ولكن بدا لهما بأنّ روبرت يستمتع بها بالتأكيد. فقد كان مرتاحاً بالحديث مع هنري والممثّلين الكبيرَين الآخرَين أو مع زوجة هنري الرائعة الجمال تماماً كما يرتاح مع أصدقائه القدامى الذين أتى برفقتهم.

بحلول موعد العشاء، كانوا جميعاً في غاية الانسجام مع بعضهم البعض. وحين أعادهم اليخت إلى المنزل، قالت ديانا بأنّها شعرت وكأنّها سندريلا التي ما إن عادت إلى بيتها حتّى تحوّل السائسان من جديد إلى جرذين والعربة إلى ثمرة يقطين.

"آه! يا له من نهار!" قالت باسكال وهي تحدّق في الفضاء حالمة بينما ساعدها أحد أفراد الطاقم على النزول من المركب إلى الرصيف. كان الممثّلون الثلاثة قد احتفوا بها كثيراً إلى حدّ أنّها كرهت مغادرة اليخت. كانت متشوّقة لتخبر أمّها عن الأشخاص الذين كانت برفقتهم واليخت الذي أبحرت على متنه. شعرت بالفعل وكأنّها ملكة ليوم واحد.

"كم هذا مثير، أليس كذلك؟" قال إريك لجون وهو يصبّ له كوباً من الشراب في غرفة المعيشة في الفيلا. "يا لها من حياة، تلك التي تعيشينها"، قال غوين وقد ازداد إعجابه بها لأنّها غير مغرورة بنجوميّتها. فرؤيتها مع أصدقائها أبرز لهم ذلك. وهذا ما أحبّه روبرت فيها. فهي تتعامل مع أصدقائه وكأنّهم أصدقاؤها من دون أيّ اعتداد بالنفس. وهذا ما أدركه من أوّل لقاء لهما؛ والوقت الذي أمضاه معها أكّد له ذلك.

ولأوّل مرّة لا تجد باسكال أو ديانا شيئاً لانتقاده، لا بل إنّ نظرتهما لغوين تغيّرت بعض الشيء. صحيح أنّهما لن تتقبّلا وجودها لمجرّد أنّها تعرف عدداً كبيراً من نجوم السينما، إلاّ أنّهما كانتا على استعداد للاعتراف، فيما بينهما على الأقلّ، بأنّها تملك من المزايا الحسنة أكثر مما ظنّتا في البداية. ولا مجال للشكّ بأنّ روبرت كان سعيداً جدّاً، وإن كانت لا تزال تتملّكهما رغبة عارمة في حمايته. ومع أنّهما لم تعودا واثقتين ممّ يجب حمايته، إلاّ أنّهما ظلّتا على قناعة بأنّ غوين لا يمكن أن تكون بما تبدو عليه من لطف وصدق. ولكن لم يعد من المنطق اعتبار نواياها سيّئة، ذلك أنّه ما من سبب يدفعها إلى البقاء مع روبرت ما لم تكن تهتمّ لأمره فعلاً.

خرجت غوين برفقة روبرت إلى البلدة في تلك الليلة للسهر في أحد الملاهي، وفي طريق العودة، عانقها مجدّداً وشكرها على الوقت الرائع الذي قضوه بفضلها مع أصدقائها، وضحك وهو يتذكّر المواقف المسليّة التي حدثت معهم.

علّق قائلاً: "يا لهم من أناس مفعمين بالحياة!" هزّت رأسها موافقة وهي تبتسم وتبدو أكثر شباباً ممّا هي عليه.

"إنّهم مسلّون جدّاً". فالأشخاص الذين التقوا بهم ذلك اليوم كانوا جميعاً أصدقاء مقرّبين لها. ولكنّ قلّة من أهل هوليوود يثيرون اهتمامها. "أخشى أنّ الحياة بحاجة إلى أكثر من ذلك لتكون مشوّقة فعلاً. ولو استسلمت لهذا العالم، سوف يفسدك بالتأكيد". ولكن من الواضح، بنظره على الأقلّ، بأنّ هذا الأمر لم

يحدث لها. وكان تقديره لها يتضاعف لما هي عليه.

"ألا تضجركِ صحبة أصدقائي؟" إن لم يكن لشيء فلكونهم أكبر سنّاً منها واهتماماتهم الدنيويّة بعيدة عن حياة الرفاهية التي تعيشها، لا سيّما هو. فقد كان عاقلاً بما يكفي لكي يعرف بأنّه ليس شخصاً رومنسيّاً. ولكنّه كان كذلك بالنسبة إليها. فهي لم تلتقِ يوماً بشخص أثّر بها أو أعجبها إلى هذا الحدّ، وقد أدركت، حتّى قبل أن تأتي إلى سان تروبيز، بأنّها تقع في حبّه. وما سرّها أنّ شعورها يبدو متبادلاً.

قالت من دون تكلّف في طريقهما إلى المنزل: "أصدقاؤك يعجبونني. لا أظنّهم يحبّونني كثيراً، ولكنّهم قد يتخطّون شعورهم هذا. أعتقد بأنّهم يحاولون البقاء أوفياء لآن. وربّما مع مرور الوقت، سوف يكتشفون بأنّني لا أحاول أن أدوس على أحد وبأنّني لا أرغب سوى بأن أكون معك". وابتسمت له فانحنى مجدّداً وعانقها.

قال لها: "تجعلينني أشعر بأنّني محظوظ جدّاً". كان ما زال يكافح شعوره تجاه آن أحياناً، ويفكّر كم أحبّها وكم هي مختلفة عن غوين، ويفكّر بالسنوات الطويلة الرائعة التي أمضياها معاً. ولكنّها رحلت، بغضّ النظر عن مدى أسفه لذلك. وكان يحاول أن يقنع نفسه بأنّ له الحقّ بشخص في حياته، وإن لم تكن امرأة بروعة غوين. فهو لا يعتقد بأنّها سترغب بالبقاء معه لوقت طويل. يكفي أنّه يكبرها باثنين وعشرين عاماً، وهو فارق كبير بالنسبة إليه هو على الأقلّ، حتّى وإن كانت غير مكترثة لذلك.

أجابت وهي تقود السيّارة في ضوء القمر: "أنا المحظوظة هنا. فأنت رجل ذكي، مرح، وسيم إلى حدّ لا يصدّق، وواحد من ألطف الأشخاص الذين التقيت بهم في حياتي". نظرت إليه بسرعة وهي تقول ذلك فابتسم لها بارتباك وقال: "يبدو بأنّ السهر أثّر على سلامة تفكيرك".

ضحكت لقوله ولامست ذراعه وهما يجتازان الطريق المتعرّج، وما إن أوقفت السيّارة حتّى أخذها بين ذراعيه وعانقها كما ينبغي، ثمّ دخلا المنزل يداً بيد

محاولَين عدم إحداث ضجيج لكي لا يوقظا النائمين. تركها أمام غرفتها بعد قبلة طويلة، وحين دخل غرفته، راح يحدّق بصورة آن القابعة على المنضدة قرب سريره. وتساءل عمّ كانت ستظنّه حول علاقته بغوين. هل ستعتقد بأنّه عجوز أحمق أم ستتمنّى له السعادة. لم يكن واثقاً من رأيها ولا حتّى من شعوره هو نفسه حيال هذه العلاقة. ولكن عليه أن يقرّ أنّه حين لا يرهق نفسه بالتفكير، يشعر بأنّه سعيد مع غوين أكثر بكثير ممّا يمكن له أن يتخيّل. ولكنّه كان يذكّر نفسه دوماً بأنّ هذه العلاقة لن تدوم وبأنّها ليست سوى تجربة مسليّة في حياته ستكون محطّ تعليقات أصدقائه في السنوات المقبلة وسيتذكّرها إلى الأبد.

حين أوى إلى سريره في تلك الليلة، تمدّد وهو يتساءل بمَ تفكّر غوين وماذا تفعل في غرفتها. كان يتوق إلى طرق بابها وتقبيلها من جديد، ولكنّه لم يجرؤ على تنفيذ رغبته، كما كان لا يزال يخشى الذهاب إلى أبعد من ذلك. كان يعرف بأنّه لو تطوّرت علاقتها إلى أكثر من ذلك سيشعر بأنّ آن تراقبه. وآخر ما يريده هو الخيانة.

استغرق في النوم أخيراً ورآهما معاً، في حلم مشوّش. إذ رأى آن تسير مع غوين في حديقة، وتحيط كلّ منهما الأخرى بذراعها، فيما كان أصدقاؤه يشيرون إليه بأصابع الاتّهام ويصرخون في وجهه بأشياء غير مفهومة. كان حلماً مربكاً استيقظ منه عدّة مرّات. وحين عاد إلى النوم، حلم بماندي. كانت تحمل صورة والدتها وتنظر إليه بحزن شديد.

قالت له بصوت ضعيف: "اشتقت إليها كثيراً".

أجابها وهو يبكي في الحلم: "وأنا أيضاً". وحين استيقظ هذه المرّة، كان وجهه مبلّلاً بالدموع. فتمدّد على السرير لوقت طويل وهو يفكّر بآن ومن ثمّ بغوين.

فوجئ حين سمع نقراً على الباب. ارتدى بنطالاً كاكيّاً، وفتح الباب ليجد غوين عنده. كان الوقت ما زال مبكراً ولم يسمع أصواتاً تنبئ بأنّ الآخرين قد استيقظوا.

قالت له بصوت منخفض: "صباح الخير، كيف كانت ليلتك؟ كنت قلقة عليك، لا أدري لماذا". كانا يقفان في الرواق يتهامسان وبدت جميلة وهي تقف حافية القدمين بثوب نومها الأبيض.

"رأيتكما أنت وآن في حلم غريب تمشيان في الحديقة". ذهلت حين أخبرها بذلك.

"كم هذا غريب، أنا أيضاً. بقيت مستيقظة لوقت طويل أفكّر بك"، قالت بنعومة وهي تنظر إليه. بدا وسيماً بالرغم من شعره المشعّث.

"فكّرت بك أنا أيضاً. ربّما كان علينا أن نزور بعضنا"، قال لها بصوت منخفض خوفاً من أن يسمعه أحد. أحبَّ الشعور بغوين قريبة وهي تقف بقربه وتبتسم له. "سوف أستحمّ وألاقيك على الإفطار بعد عشر دقائق".

حين أتى، كان قد حلق ذقنه وارتدى سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً. أمّا هي، فارتدت سروالاً قصيراً أبيض اللون وقميصاً من دون أكمام، وبدت باهتة بالمقارنة مع آخر صرعات أغات التي كانت ترتدي صدريّة وردية اللون من التول مزيّنة ببراعم الورود الصغيرة ومعها سروال وردي مثير. فعلّق إريك حين رآها بأنّها تشبه جراءها الفرنسية. كانوا قد بدأوا يتوقون لرؤية ما سترتديه كلّ يوم، وكم ستبدو غريبة فيه. وهي لم تخيّب ظنّهم أبداً، لا في السابق ولا في ذلك الصباح حين راحا يتحدّثان بانتظار استيقاظ الباقين. كانا يستمتعان بالوقت الذي يجلسان فيه بمفردهما. وحين دخل الباقون إلى المطبخ لتناول الإفطار راحوا يبتسمون بصمت. كانت أغات مسليّة أكثر من التلفاز.

أتى اتّصال لإريك في الوقت الذي دخلت فيه ديانا إلى الغرفة، من الولايات المتّحدة، وقالت عاملة الهاتف بأنّه مطلوب شخصيّاً. قطّب جبينه وتوجّه إلى الغرفة المجاورة للإجابة، ما لم يخفَ على زوجته. ولكنّه بدا مسترخياً وغير مهتمّ حين عاد إلى المطبخ بعد عشر دقائق. كانت ديانا تراقبه بانتباه.

شرح للجمع قائلاً: "إنّه أحد شركائي"، بينما ركّزت ديانا على قطعة الكرواسان وشربت رشفة طويلة من فنجان القهوة. فخلال اثنين وثلاثين عاماً من زواجهما، لم يتّصل به أيّ من شركائه في إجازاته. لقد عرفت بالضبط من كان المتّصل، وواجهته بذلك بعد الإفطار مباشرة.

"كانت باربارا، أليس كذلك؟" كانت تلك هي المرأة التي أقام علاقة معها. تردّد للحظة ثمّ أقرّ بهزّة من رأسه. لم يرغب بالكذب عليها. "لمَ اتّصلت بك؟".

أجابها وقد استولى عليه شعور بالإحباط: "لماذا برأيك؟" كانا واقفين في غرفة الجلوس ولم يرغبا بأن يسمعهما أحد. "لم يكن الأمر سهلاً عليها هي أيضاً".

"وهل ستتزوّجها لو تركتك؟" الآن هذا ما كانت تخشاه فعلاً. تساءلت ما إذا كان الهدف من هذه الرحلة هو أخذ بعض الوقت لرؤية ما إذا كان زواجهما سينهار أم أنّه انهار فعلاً، كما قال إريك قبل مغادرة نيويورك.

"بالطبع لا، ديانا. أنا أكبرها بثلاثين عاماً. وهذا ليس السبب الجوهري. فأنا أحبّك. ارتكبت غلطة حمقاء، أخطأت، أعترف بذلك. ولكن لنترك الماضي وراءنا ونواصل حياتنا".

قالت وهي تنظر إليه بعينين منهكتين: "من السهل عليك قول ذلك". كانت عاجزة عن تخطّي هذه التجربة. فقد خانها ونبذها. وهي تشعر الآن بأنّها عجوز شمطاء ولم تعد تثق به. والأسوأ من ذلك أنّه أحبّ امرأة بسنّ ابنتها. للمرة الأولى في حياتها تشعر بأنّها لم تعد شابة وجميلة بالنسبة إليه. ومع أنّه حاول عدة مرات إعادة علاقتهما الزوجية إلى سابق عهدها، إلاّ أنّها رفضت. ولا تعرف ما إذا كانت ستتمكّن من ذلك مجدّداً.

"لم أعد أعرف ما أقول. أعتقد بأنّني سأترك للوقت أن يعيد إليك ثقتك بي". عرف بأنّ عليه أن يصبر ويدفع ثمّن أخطائه، ولكنّ الأمر لم يكن سهلاً على أيّ منهما. فلقد توسّلت إليه باربارا ليعود إليها بعد أن أخذت رقم الهاتف من سكرتيرته التي شعرت بالأسف لأجلها، فذكّرها بأنّ هذا مستحيل وطلب

منها عدم الاتّصال به مجدّداً. كانت تبكي حين أعاد السمّاعة إلى مكانها، فشعر بأنّه في غاية القسوة. ولكن من غير الممكن أن يشكو ذلك لزوجته. فقد أصبحت كلتاهما تكرهانه الآن. إنّه في وضع لا يحسد عليه، ولكنّه يعرف بأنّ الذنب ذنبه وحده.

وما إن توقّف إريك وديانا عن الكلام، حتّى دخلت غوين إلى الغرفة. بدت سعيدة ومسترخية ثمّ ارتبكت فجأة حين رأت نظرة الكآبة على وجهيهما. كان واضحاً بأنّهما يمرّان بمأساة رهيبة ولكنّها لم ترغب بالتطفّل. أمّا ديانا فلم تكن الآن أكثر استعداداً للصلح معه ممّا كانت عليه حين وصلا إلى سان تروبيز، وإن عاشا بعض الأوقات السعيدة. ولكنّ الحقيقة لم تفارقها، بالرغم من جمال سان تروبيز ووجبات العشاء الشهية وسحر القمر ليلاً. لقد خانها ولن تتمكّن أبداً من نسيان ذلك. لهذا السبب أخبرت باسكال ليلة وصولها بأنّه لا مفرّ من الطلاق. فهي لا تتخيّل بأنّها ستسامحه يوماً. واليوم، اتصال هاتفي واحد كان كافياً لتذكيرها بالمعاناة التي سبّبها لها.

قالت غوين: "آسفة، لم أقصد مقاطعتكما". وأسرعت في عبور الغرفة، ثمّ تبعها روبرت بعد برهة وتوقّف لسؤال إريك قائلاً: "هل ترغب بالإبحار معنا؟" كان غافلاً عن العذاب الذي يبدو على ملامحهما. اعتقد بأنّه خلاف زوجي صغير حول من سيبقى للسباحة ومن سيذهب للتسوّق. فالزوجان دونالي لم يخبراه شيئاً عن المشكلة التي يمرّ بها آل موريسون.

أجاب إريك على الفور: "بالتأكيد، سوف أحضر ردائي". كان سعيداً بالتخلّص من جداله مع ديانا.

"ديانا، هل ترغبين بمرافقتنا أنت أيضاً؟" سألها روبرت، ولكنّها رفضت بنفس السرعة التي قبِل فيها إريك الدعوة.

قالت: "أنا ذاهبة مع باسكال إلى السوق"، وخرجت من الغرفة. وحين سأل جون بعد أن وجده يغادر غرفته، ومقبض باب الحمّام المبتور في يده مجدّداً، أجابه بأنّه سوف يتجوّل حول المنزل ويقوم ببعض الاتّصالات الهاتفيّة مع مكتبه.

وفوجئ روبرت حين قالت غوين بأنّها ستبقى في المنزل هي أيضاً. تذرّعت بأنّها تعاني من الصداع، ولكن أمام النظرة التي كانت على وجه إريك، ظنّت بأنّ الرجلين قد يرغبان بإمضاء بعض الوقت بمفردهما. كان ثمّة بعض الرسائل التي ترغب بكتابتها بأيّة حال، فعانقها روبرت قبل أن يغادر برفقة إريك.

كان المنزل هادئاً جدّاً، فجلست في غرفة المعيشة لكتابة بعض الرسائل الصغيرة والبطاقات، وكانت تسمع صوت جون وهو يتحدّث على الهاتف وتشمّ رائحة دخان السيجار المنبعث من المطبخ. لم تنزعج منه، كما أنّها استمتعت بصوت العصافير التي تغرّد في الحديقة. بدا المكان هادئاً على الرغم من عيوبه، وشعرت بالسعادة لمجيئها.

كان جون قد توقّف عن الكلام منذ بعض الوقت. فتوجّهت إلى المطبخ لصنع فنجان آخر من القهوة، لتفاجأ بجون منحنياً فوق الطاولة بلا حراك. كانت السمّاعة لا تزال في يده والخطّ مقطوع ووجهه ملقىً فوق أوراقه. استغرقت أقلّ من ثانية لاستيعاب ما تراه، فركضت نحوه ثمّ هزّته ونادته قبل أن تمدّده ببطء على الأرض وتتحقّق من تنفّسه. كان بالكاد يتنفّس، ونبضه ضعيف وأدركت أنّ ما من أحد في المنزل لمساعدتها. فهي لا تملك فكرة عن مكان الزوجين الفرنسيّين، أمّا الباقون فهم إمّا في عرض البحر أو في السوق. كانت وحدها.

نادته مجدّداً: "جون! جون!" ولاحظت وهي تهزّه بلطف بأنّ تنفّسه قد توقّف وتحوّل لون وجهه إلى الرمادي. لم تكن تعرف ما الذي يحدث له، فنظرت إلى الطاولة في محاولة للعثور على السبب. كان ثمّة طبق من النقانق الصغيرة، فتساءلت فجأة ما إذا كان يعاني من الاختناق أم من نوبة قلبية. ولكن لم يخطر ببالها في تلك اللحظة سوى محاولة إسعافه من الاختناق، وهي عمليّة تعلّمتها منذ سنوات مع التنفّس الاصطناعي، مع أنّها غير واثقة بأنّها تتذكّر نقاط الضغط بدقّة. غير أنّ القيام بذلك لم يكن سهلاً وجون ممدّد على الأرض

علـى ظهـره وغائب عن الوعي. فقد كان ضخم الجثّة وثقيل الوزن بالنسبة إليها. وسحبُه عن كرسيّه إلى الأرض استنفد كلّ قواها.

تفحّصت فمه بأصابعها من دون أن تجد شيئاً، ثمّ جرّبت التنفّس الاصطناعيّ ثلاث مرّات، ولكنّ الممرّ الهوائيّ كان مسدوداً تماماً. كانت كمن ينفخ في جدار. فركعت على الأرض، وجسده بين ساقيها، وراحت تضغط بيديها المتشابكتين على بطنه وتدعو الله أن يساعدها.

كانت شفتاه قد بدأتا تتحوّلان إلى اللون الأزرق، ولا يوجد رقم طوارئ تتّصل به. فواصلت محاولاتها وصلواتها بألاّ يفارق الحياة قبل أن تتمكّن من مساعدته. ودفعها يأسها إلى تكرار محاولاتها بحدّة إلى أن سمعت فجأة صوت اختناق مخيف قبل أن تنطلق من فمه قطعة نقانق شبيهة بسدادة الفلّين وتحطّ على أرض المطبخ، على بعد ستّة أقدام منهما. قلبته على جنبه، فتقيّأ على الفور وتمدّد على الأرض وهو يحاول ابتلاع الهواء، ولكنّه على الأقلّ كان يتنفّس. فقطعة النقانق التي سدّت حلقه كانت على وشك أن تقتله. مرّت بضع دقائق قبل أن يستدير مجدّداً للتمدّد على ظهره وينظر إليها.

"كنت أختنق"، قال بصوت ضعيف.

"أعرف. كيف تشعر الآن؟" كانت تبدو في غاية القلق.

أجابها: "أشعر ببعض الدوار. كنت أدخّن سيجاراً وأتحدّث، ثمّ تناولت قطعة نقانق. فعلقت في حلقي ولم أستطع إصدار أيّ صوت". تذكّر الخوف الذي انتابه والذي ما زال بادياً عليه. كان يرتجف ووجهه شاحب.

"ما رأيك لو أخذتك إلى المستشفى؟" قالت وهي تنظّف بقايا إفطاره. ثمّ مسحت وجهه بفوطة مبلّلة فنظر إليها ممتناً.

"شكراً لك، غوين. لقد أنقذت حياتي". كان هذا صحيحاً، كلاهما يعرف ذلك. لكان توفّي في غضون دقائق أو عانى من تلف دماغيّ خطير لو أنّها استغرقت وقتاً أطول لإنقاذه. "أنا بخير الآن. كلّ ما أحتاجه هو التقاط أنفاسي".

"هل أنت متأكّد؟ ربّما يمكن لإريك أن يعاينك حين يعود". لمّت قطعة النقانق التي كانت بحجم سدادة الفلّين واحتفظت بها في منديل لتريها لإريك أو للمستشفى إن قبل بمرافقتها، ولكنّه ظلّ على رفضه.

ساعدته في الجلوس مجدّداً على الكرسيّ وقدّمت له كوباً من الماء، فاكتفى بأخذ رشفة منه. وارتاحت حين رأت اللون يعود إلى وجهه. مهما كانت الحادثة مخيفة، إلاّ أنّ عمليّة الإنقاذ تمّت بنجاح. قال لها بامتنان: "الحمد لله أنّك كنت هنا. لمَ لم تذهبي مع الباقين؟" بدأ يعود إلى طبيعته، وإن كان مصدوماً إلى حدّ ما من التجربة التي مرّ بها. لقد شعر بالفزع، ومن ثمّ بالاختناق، قبل أن يفقد وعيه. وكان واثقاً بأنّه يموت، تماماً كما ظنّت حين وجدته.

"ظننت بأنّ إريك يرغب بالتحدّث مع روبرت، كما أنّ المرأتين لم تبدوا متحمّستين لمرافقتي لهما".

قال وهو يربّت على يدها: "سوف تتجاوزان ذلك. كانت آن صديقتهما المقرّبة ومن الصعب عليهما رؤيته مع شخص آخر، ولكنّه محظوظ لوجودك معه. جميعنا محظوظون في الواقع. أعطنا فرصة غوين، لن يخيب ظنّك". في الواقع، كان لطيفاً معها منذ البداية، ثمّ حذا إريك حذوه، ولكنّ المرأتين لم تتقبّلا وجودها بسهولة. ومع أنّ النهار الذي قضوه على متن اليخت ساهم بعض الشيء في كسر الجليد، إلاّ أنّهما ما زالتا متردّدتين حيالها، خلافاً لروبرت الذي أدرك على الفور بأنّها شخص محترم وأعجب بها كثيراً.

كانت لا تزال جالسة في المطبخ تتحدّث إلى جون حين دخل روبرت وإريك بعد ساعتين. كان جون قد استحمّ وبدّل قميصه قبل أن يعود للجلوس مع غوين. تحدّثا عن الحياة والأصدقاء والخسارة وعن روبرت. أخبرها جون كم يحبّه ويتمنّى له الأفضل، شأنه شأن الجميع.

بادرهما جون قائلاً بمرح وهما يدخلان: "لقد فاتكما مشهد نادر"، مع أنّ غوين لاحظت بأنّه لم يشعل سيجاراً واحداً منذ الحادثة، لا بد بأنّه ما زال يعاني من أثر الصدمة، فارتاحت لوصول إريك. تابع جون قائلاً: "حاولت

واثقاً مـا إذا كـنت مستعداً لك أو إن كنت أستحقّك. ولكن لديّ مشاعر قويّة تجاهـك". كانـت طريقة خجولة لإخبارها بأنّه يقع في غرامها، إلاّ أنّ شعوره كـان متـبادلاً، ووجـودهما معاً في جنوب فرنسا بين أصدقائه زادهما قرباً.

"أليـست الحياة غريبة؟ لم يخطر لي يوماً بأنّني سأفقد آن. لطالما ظننت بأنّها ستعيش أكثر منّي. كما لم يخطر لي أبداً بأنّني سوف أعثر على شخص آخر. كـان إريك يخبرني اليوم أموراً مزعجة عنه وعن ديانا. حين يظن المرء بأنّه واثـق ممّـا لديه، فجأة ينهار كلّ شيء ويجد نفسه عند نقطة البداية. ثمّ، حين يعتقد بأنّه حياته انتهت، تبدأ من جديد، ويحصل على فرصة ثانية. ربّما هذا ما يجعل الحياة تستحقّ أن نحياها".

أيّدتـه غوين قائلة: "لم أعتقد يوماً بأنّني سأعثر مجدّداً على شخص بهذه المكانة بالنسبة إليّ. ظننت بأنّني ارتكبت ما يكفي من الأخطاء وأحرقت جميع فرصي. ولكن ربّما لا"، قالت بنعومة وهي تنظر إليه.

جلسا بهدوء لوقت طويل، يتأمّلان البحر وماضيهما ومستقبلهما.

قـال لها وهو يستدير للنظر إليها: "أحبّك غوين. لا أعتقد بأنّني أناسبك. أنـا مـتقدّم في السنّ مقارنة بك ولكلّ منّا حياته، ولكن من يعلم، ربّما هذا هو أفـضل مـا حـدث لنا". ثمّ ابتسم وأحاطها بذراعه وقال: "فلننتظر ونرى ما سيحدث".

"وأنـا أحبّك أيضاً"، همست وهي تنظر إليه، فانحنى وعانقها تحت شمس سان تروبيز الساطعة.

11

مـنذ أن قامـت غـوين بإنقاذ حياة جون، تغيّر موقف الجميع حيالها بعض الشيء. لم يكن تغييراً سريعاً أو صريحاً، ولكنّه كان تدريجيّاً وملموساً. ففي المرّة التالية التي ذهبت فيها باسكال وديانا إلى السوق، طلبتا من غوين الانضمام إليهما. تحدّثـتا معها بحذر في البداية، ثمّ أصبحتا أكثر ارتياحاً وانفتاحاً نحوها. ساعدتهما فـي حمل البقول وأعدّت الإفطار للجميع ونظّفت المطبخ عوضاً عن باسكال ليلاً. وحين أصيبت باسكال بالمرض في إحدى الليالي، أعدّت غوين العشاء للباقين كما صـنعت حـساء الدجاج لباسكال. وكانت هذه الأخيرة قد أكلت المحار في الميناء وأصيبت على أثر ذلك بالمرض الشديد الذي استمرّ لعدّة أيّام.

ومـع اسـتمرار مرضـها، خـشي إريك أن تكون قد التقطت جرثومة الـسالمونيلا أو الـتهاب الكـبد ونصحها بزيارة طبيب محلّي وإجراء بعض التحاليل، ولكنّ باسكال أصرّت على أنّها بخير ولازمت السرير لبضعة أيّام.

بنهاية الأسبوع الذي قضته غوين معهم، أصبحت ديانا تتحدّث بصراحة أمامهـا، لا بـل اعترفت لها بخيانة إريك. التزمت غوين الصمت في البداية، غير أنّها لم تتمكّن من أن تمنع نفسها من الكلام.

"أنـا لا أملك الحقّ بالتدخّل في شؤونك، ديانا. كما أنّني لا أعرف ما عليك فعله. ولكن زوجي خانني أنا أيضاً خلال زواجنا، فرحلت عنه في اليوم نفسه الذي عـرفت فـيه بخيانته. لم أقبل بالاستماع إليه، بل أغلقت بابي ولم أتحدّث إليه مرّة أخـرى، وطلبت الطلاق. كنّا متزوّجين منذ تسع سنوات، وأعتقد بأنّني دفعته إلى الزواج من المرأة التي كان على علاقة معها. لا أعرف ماذا حصل بعد ذلك، فأنا

الانتحار بقطعة نقانق، هذه هي العادة هنا. ولكن مثل كلّ شيء في هذه البلاد، لم تنجح المحاولة. في الواقع، غوين أنقذت حياتي".

قال له روبرت وهو يضحك: "عمّ تتحدّث؟" لم يفهم روبرت شيئاً، ولكن إريك بدا جدّياً على الفور. كان يخبر روبرت بما حدث بينه وبين ديانا، لهذا السبب لم ترافقهما غوين. ومن الواضح أنّ القدر تدخّل ليمنعها من الذهاب لأنّها لو فعلت لوجدوا جون ميتاً في المطبخ عند عودتهم.

قال جون وهو ينظر بامتنان إلى غوين: "أنا جادّ". ثمّ أخبرهم بما حدث، وتأثّر الرجلان لما كان على وشك أن يحدث.

قالت غوين بهدوء: "احتفظت بقطعة النقانق لتراها"، وأعطته الفوطة. صعق إريك حين رآها وقال لجون: "إنّها بحجم كافٍ لكي يسدّ مجرى الهواء ويقضي عليك". ثمّ شكر غوين لحضور ذهنها ومثابرتها على إنقاذه. "ما رأيك بتناول قطع أصغر حجماً في المستقبل؟"، ثمّ ذهب لإحضار سمّاعته. وحين فحصه، وجد بأنّ ضغط دمه وقلبه بحالة ممتازة، ولإثبات ذلك، أشعل جون سيجاراً. في تلك اللحظة، عادت باسكال وديانا من السوق. كانت آلة فحص الضغط لا تزال حول ذراعه، فبدا الارتباك على باسكال وهي تنقل نظرها من جون إلى إريك.

"أيّ نوع من الألعاب كنتم تلعبون؟" قالت لهم موبّخة.

"عرضت غوين بأن تخلع القطعة العلويّة من ثوب السباحة، وإريك يتحقّق من تأثير ذلك عليّ"، أجابها جون بابتسامة عريضة، فيما اعترضت غوين وهزّت زوجته رأسها مستنكرة.

قالت باسكال وهي تضع الأكياس: "كم هذا ظريف. هل من خطب ما؟" سألت وهي تلاحظ ملامح الجديّة على وجوه الباقين.

قال إريك ببساطة: "اختنق بقطعة نقانق وكانت على وشك أن تقضي عليه. ولكنّ غوين أسعفته وأنقذت حياته. هذا ما حدث". وليظهر لباسكال مدى خطورة الحادث وبطولة غوين، أضاف: "حين وجدته، كان غائباً عن الوعي".

"يا إلهي، ولكن كيف حدث ذلك؟" بدت مرعوبة وهي تتقدّم نحو جون وتنظر بامتنان إلى غوين قبل أن تحيطه بذراعيها. "هل أنت بخير؟ ماذا كنت تفعل؟".

"أتحدّث على الهاتف، أدخّن وآكل. ولكنّ غوين فتاة طيبة. لولاها لكنت الآن قد فارقت الحياة". استطاعت باسكال أن ترى في عينيه الخوف الذي مرّ به، على الرغم من الصخب الذي أخبرها فيه بما جرى. فتقدّمت من غوين وعانقتها.

" شكراً لك...لا أدري ماذا أقول...شكراً لك". لم تتمكّن باسكال من قول المزيد بسبب الانفعال، فاحتضنتها غوين هي أيضاً وشكرت الله لأنّها كانت هناك. كانوا جميعاً محظوظين.

قال جون بابتسامة عريضة: "متى نتناول الغداء؟" فاحتجّت باسكال بسأم.

"اشتريت اللحم من السوق، ولكن لن تحصل على مزيد من النقانق. سوف أحضّر لك طعام أطفال حتّى تتعلّم كيف تأكل بشكل صحيح". لم يعارضها جون، بل أحاطها بذراعه وعانقها. شعر وكأنّه أعطي فرصة أخرى للحياة، لم يكن يتوقّعها، وربّما لا يستحقّها، ولكنّه شعر بالامتنان لذلك.

تناولت المجموعة طعام الغداء في جوّ مفعم بالحياة، وشعروا جميعاً بالبهجة، حتّى إريك وديانا، وكأنّ القدر أنقذهم جميعاً من كارثة أخرى. وبدا جون سعيداً بشكل خاصّ، وبعد انتهاء الغداء، صعد هو وزوجته إلى غرفتهما للاستراحة، بينما طلب إريك من ديانا مرافقته في نزهة على الأقدام. وهكذا بقي روبرت وغوين بمفردهما. فخرجا وتمدّدا تحت أشعّة الشمس. أخبرته بكلّ ما جرى مع جون، وراح يسمع وهو يتذكّر الليلة التي وجد فيها آن، وعاش الكابوس مجدّداً من دون أن يخبرها.

"جون محظوظ لأنّك وجدته".

أجابته: "أنا سعيدة لذلك أيضاً"، وكانت ما تزال مرعوبة ممّا جرى. ثمّ نظر إليها روبرت بحنان مفاجئ وقال: "وأنا سعيد لأنّني وجدتك، غوين. لست

لم أجب على اتّصالاته ولم أره. ولكنّه انتحر بعد ستّة أشهر من زواجه، وأخبرتني زوجته لاحقاً بأنّه لم يكفّ عن حبّي. والأفظع من ذلك هو أنّني كنت لا أزال أحبّه. لست أقول بأنّ إريك سوف يفعل أمراً مماثلاً، ما أقوله هو أنّني دمّرت زواجي. في ذلك الوقت، اعتقدت بأنّني لن أسامحه أبداً. ولكنني أدرك الآن بأنّني ارتكبت خطأً فظيعاً، وأتمنّى لو أنّني لم افعل. كوني أذكى منّي ديانا"، قالت غوين والدموع في عينيها، فيما أصغت إليها ديانا بانتباه وتأثّرت بما أخبرتها به. "لا بأس بأن تشعري بالألم والغضب، ولكن لا تدمّري كلّ شيء". هزّت ديانا رأسها وهما تجفّفان الأطباق، وحين دخل إريك، أدارت له ظهرها. كانت قصّة محزنة ولكنّها علّمتها درساً، ليس عن الانتحار، بل عن الحبّ والمسامحة وعن عدم الانتقام على حساب نفسها. وفي تلك الليلة، أخبرت غوين روبرت بما قالته لديانا.

"يسعدني أنّك فعلت ذلك. كنت أحاول إقناع إريك بالصمود. فهو يائس تماماً، وأظنّها غاضبة جدّاً، ولكن هذا من حقّها. ولو تمكّنا من تجاوز هذه الفترة والاستمرار بحبّ بعضهما بالرغم ممّا حدث، من الممكن أن تنتهي هذه المأساة على نحو جيّد. مع أنّ إريك ليس أكيداً بأنّ ديانا سوف تسامحه". وهذا ما شعرت به غوين، نظراً لكلّ ما قالته ديانا.

في اليوم التالي، أعدّت غوين الإفطار للجميع عوضاً عن باسكال التي كانت تشعر بضعف شديد نتيجة للتسمّم الذي منعها من مغادرة السرير. وحين انضمّ إليهم جون في المطبخ، بدا عليه القلق.

"لا تعجبني حالتها"، قال لإريك بهدوء وهم يتناولون الطعام. "تبدو لي مريضة جدّاً، مع أنّها ترفض الاعتراف بذلك. أعتقد بأنّه من المستحسن رؤية طبيب هنا في سان تروبيز وإجراء بعض التحاليل".

قال له إريك: "سوف ألقي عليها نظرة بعد الإفطار". فشكره جون على ذلك. وبعد أن تناول التوست الفرنسي الذي أعدّته غوين، صعد إلى غرفتها. قالت له باسكال بأنّها تعاني على الأرجح من مجموعة من المشاكل، وأخبرته بما تشعر به. بدا له ما قالته معقولاً، وطمأن جون حين رجع إليه.

"أظنّها تعاني من الكسل وحسب، فالشفاء من التسمّم بالطعام يستغرق وقتاً". ولكنّ جون لم يقتنع وحاول الإصرار عليها مجدّداً لرؤية طبيب، فقالت بأنّها لا تحبّ أطبّاء فرنسا. وذكّرته قائلة: "أنت أيضاً لا تحبّهم". ولكن حين نظر إليها شعر بأنّها في غاية الشحوب.

وحين التقى الجميع مجدّداً حول مائدة الغداء، بمن فيهم باسكال، التي قالت بأنّها تشعر بالتحسّن، ذكر روبرت وغوين بأنّهما يفكّران بتمديد إقامتهما لأسبوع آخر.

"هذا خبر رائع!" قالت ديانا، ثم شعرت بالارتباك، ولكن مرّت بينها وبين غوين نظرة صداقة وليدة. كانوا يكتشفون ببطء بأنّها ليست محترمة فحسب، بل ولطيفة أيضاً. كما أصبحوا أقلّ قلقاً على روبرت ممّا كانوا عليه في البداية. فقد أعادت إليهم غوين ثقتهم في حكم روبرت، كما شعر جون بالسعادة لأجله. وهذا ما قاله لباسكال عصر ذلك اليوم.

"تخيّلي الحياة التي سيعيشها معها، باسكال، ستكون مثيرة بالفعل. فهي نجمة سينمائيّة! وفي سنّه هذا ستضيف شيئاً من المرح إلى حياته".

قالت باسكال بحذر: "ليس بحاجة إلى ذلك". فمع أنّها كانت ممتنّة لما فعلته غوين حين أوشك جون على الموت اختناقاً، إلاّ أنّها ما زالت ترغب بالتأكّد من أنّ روبرت لن يرتكب خطأً في ارتباطه بها، هذا إن وصل الأمر إلى هذا الحدّ. "إنّه بحاجة إلى شخص حقيقيّ، إلى رفيقة وصديقة جيّدة".

"غوين شخص حقيقي. انظري إليها. لقد طبخت ونظّفت أكثر ممّا فعلتما أنت أو ديانا. كما أنّها لطيفة معنا جميعاً وتحمّلت سوء معاملتكما لها في البداية ولم تبدِ أيّ استياء. والأهمّ من ذلك كلّه هو أنّهما يحبّان بعضهما".

سألته باسكال بقلق: "أنت لا تظنّ بأنّهما سيتزوّجان، أليس كذلك؟".

"في سنّنا من يحتاج إلى الزواج؟ فهو لن ينجب أطفالاً. برأيي، كلّ ما يحتاجان إليه هو قضاء وقت ممتع معاً".

أجابته وقد بدا عليها الارتياح: "هذا جيّد".

"وماذا عنك أنت؟ ألن تتعقّلي وتذهبي إلى الطبيب؟ لا آبه ما إذا كنت تشعرين بالتحسّن، من الممكن أن تكوني قد التقطت جرثومة مؤذية وتحتاجين إلى المضادّات الحيويّة".

"لا أحتاج سوى إلى النوم". كانت منهكة وقد شعرت فجأة بأنّها عاجزة عن مغادرة السرير، فكانت تمضي صباح كلّ يوم وهي تنتظر حلول العصر لتتمكّن من النوم. وكانت لا تزال نائمة عند الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم حن عاد إريك وروبرت وغوين من رحلتهم في المركب الشراعي. كانت ديانا ممدّدة على كرسيّ طويل في الحديقة تقرأ، فيما قصد جون أقرب فندق لإرسال فاكس إلى نيويورك.

"كيف كانت الرحلة؟" سألت ديانا وهي تلقي نظرة سريعة نحو إريك. كانت تفكّر فيه طيلة الوقت بعد الظهيرة وفي بعض ما قالته غوين. ومع أنّها لا تزال تشعر بالغضب، إلاّ أنّها لم تعد تستبعد إمكانيّة أن يأتي يوم تتراجع في حدّة ألمها وخيبتها. كما فكّرت ببعض الأمور التي قاما بها على مرّ السنوات، وما أحبّته فيه، وعلى الرغم من كرهها لما فعله، إلاّ أنّها تمكّنت من فهمه تقريباً. ربّما كان يحاول الإمساك بآخر خيط من شبابه. وهي غير واثقة تماماً من أنّها تستطيع لومه على ذلك. وحين نظر إليها هذه المرّة، توقّف للحظة. فقد رأى للمرّة الأولى شيئاً مختلفاً في عينيها.

أجابها: "كانت ممتعة". وحين مرّ بقربها، حرّكت ساقيها على كرسيّها، فتوقّف للحظة ثمّ جلس. قال لها متردّداً فيما دخل روبرت وغوين إلى المنزل: "اشتقت إليك اليوم. كنت أفكّر طيلة الوقت ونحن على متن المركب".

"وأنا أيضاً"، أجابته من دون تفاصيل، ولكنّه شعر بأنّ الجليد الذي ظلّ يغلّف قلبها طيلة تلك المدّة قد بدأ بالذوبان.

"أودّ فعلاً حلّ هذه المشكلة. أعرف بأنّني أخطأت. ولا أتوقّع منك تصديقي أو الوثوق بي مجدّداً على الفور. ولكنّني أحبّ الاعتقاد بأنّك سوف تفعلين مع مرور الوقت".

قالت له بصدق: "وأنا أيضاً أحب اعتقاد ذلك". كان أصدقاؤهما قد تحدّثا معهما ولكنّ ما قالته غوين أثّر بها كثيراً. فكلماتها كانت مثقلة بالعذاب الذي مرّت به نتيجة لأخطائها. ومن الواضح بأنّ الندم يتآكلها منذ ذلك الحين.
"سوف نرى"، كان هذا كلّ ما استطاعت أن تعده به الآن.

ولكن حين رجعا إلى غرفتهما في بداية تلك الأمسية، بدت خطواتها أكثر خفّة، وضحكت لشيء قاله إريك.

فسألها: "هل ترغبين بالخروج للعشاء الليلة؟" فكّرت بالدعوة للحظات ووافقت ثمّ سألته: "ماذا سيفعل الباقون؟".

"فلنخرج بمفردنا للتغيير. يمكنهم أن يتدبّروا أنفسهم". فقد شعر بارتياح كبير لأنّه يتحدّث معها مجدّداً.

قرّرت باسكال ملازمة السرير للنوم، فيما استلم جون رزمة أوراق من مكتبه وأراد قراءتها. أمّا روبرت وغوين فقرّرا الذهاب للتجوّل في سان تروبيز وتناول شيء في الميناء.

كانا جالسين في أحد المطاعم في وقت متأخّر من تلك الليلة يتحدّثان ويضحكان، حين نظر إلى غوين وأخذ يدها، ومن دون إعطاء أيّ تفسير قال لها: "فلنعد إلى البيت".

"هل تشعر بالتعب؟" استغربت رغبته المفاجئة بالعودة ولكنّه بدا سعيداً. فدفعا الفاتورة وقادا السيارة عائدَين إلى الفيلا.

كان المنزل هادئاً حين وصلا. فإريك وديانا ما زالا في الخارج، وجون وباسكال خلدا إلى النوم. فراح روبرت وغوين يتهامسان كالمراهقين وهما يصعدان السلالم.

"تصبح على خير"، قالت له، ثمّ عانقها، ولكنّه تردّد لوقت طويل قبل أن يتركها. نظر إليها وشعر وكأنّه صبيّ صغير وهو يسألها: "كنت أتساءل ما إذا... ظننت ربّما...هل ترغبين بالنوم في غرفتي الليلة، غوين؟" واحمرّ وجهه في الظلام من أثر الإرباك.

"أودّ ذلك". كانت علاقتهما قد تطوّرت ببطء وحذر، من دون أن يجبرا نفسيهما على شيء. ولكنّ الأمور تغيّرت فجأة بالنسبة إليه، فهو يعرف بأنّهما مستعدّان لهذا التطوّر، كما أنّه شعر بسلام غريب حيال آن في الأيّام القليلة الماضية. كان قد حلم بها في الليلة الفائتة ورآها تضحك وتبتسم وتلوّح له، ثمّ قبّلته قبلة وداع. لم يعرف إلى أين هي ذاهبة واستيقظ وهو يبكي، ولكنّ الدموع التي ذرفها كانت دموع راحة وليست دموع حزن. وشعر نوعاً ما بأنّها غير حزينة، وأخبر غوين بالحلم.

أضاء مصباحاً واحداً في غرفته ودخلت غوين خلفه ببطء لتجد صورة آن قرب سريره. فتأثّرت للحظة، ذلك أنّه من المحزن التفكير بأنّهما كانا معاً طيلة هذه السنوات والآن أصبح وحده. مع ذلك، لديه أولاده وذكريات تشاركاها. والآن لديه غوين، وهذا كثير بالنسبة إليه.

وقف ينظر إلى غوين لوقت طويل وكأنّه يتأمّل بما يوشكان على تشاركه، ثمّ أمسك بيدها بلطف شديد. فتقدّمت نحوه وأحاطته بذراعيها. أرادت أن تمسح عنه كلّ الألم الذي عاناه إثر تلك الخسارة.

همست له: "أحبّك روبرت. سيكون كلّ شيء على ما يرام". فهزّ رأسه وعانقها والدموع في عينيه، دموع وداع آن وحبّ غوين. ثمّ غرقا ببطء في بحر من الشوق شعرا وكأنّه يبتلعهما، وبعد لحظات، تمدّدا على سريره. لقد أدرك مدى جمالها منذ أن رآها بالبيكيني، ولكنّه الآن لم يكن يتوق إلى ذلك فحسب، بل إلى قلبها أيضاً.

وحين استلقيا لاحقاً بين ذراعي بعضهما، مكتفيين، ناعسين، وراضيين، احتضنها فنظرت إليه وابتسمت. قالت له: "أنت تجعلني سعيدة جدّاً". وكانت تعني ذلك. فشدّها إليه أكثر، غير قادر على إيجاد كلمات تعبّر عمّا يجيش في نفسه. كانت أجمل هديّة في حياته.

12

حين خرجا في اليوم التالي من غرفة روبرت قاصدَين الطابق السفلي لتناول الإفطار، التقيا بديانا، التي بدا عليها القلق. كانت قد مرّت بباسكال التي اشتدّت عليها أعراض المرض مجدّداً، وكان جون قد حدّد لها موعداً مع طبيب محلّي. ولم يرغب بالاستماع إليها وهي تصرّ على أنّها بخير. فمن الواضح بأنّها ليست كذلك.

سألت غوين إريك وهم يتناولون الإفطار: "ما السبب برأيك؟" كانت ديانا قد حضّرت البيض المخفوق للجميع في ذلك اليوم.

"لست أكيداً. أعتقد بأنّها التقطت عدوى بكتيريّة مزعجة. وهي تحتاج الآن إلى المضادّات الحيويّة قبل الذهاب إلى المستشفى. من الممكن أن يستبقوها لديهم لبضعة أيّام بأيّة حال. فقد بدأت تعاني من التجفاف بسبب التقيّؤ". ولكنّه بدا أقلّ قلقاً من جون.

وبعد الإفطار، حين ذهب روبرت وغوين إلى البلدة لإرسال بعض الرسائل، نظرت ديانا إلى زوجها وعلى وجهها ابتسامة دهاء وقالت: "برأيك، من التي رأيتها هذا الصباح خارجة من غرفة روبرت وعلى وجهها ابتسامة سعيدة؟".

بدت عليه التسلية وادّعى بأنّه يفكّر: "دعيني أرى...أغات؟".

"نعم، طبعاً". كانا قد عادا في ساعة متأخّرة في الليلة الماضية بعد أن قضيا أمسية لطيفة وتناولا عشاءً شهيّاً، حتّى أنّهما ذهبا للرقص. كانت أوّل بارقة أمل بعد الكابوس الذي عاشاه في الشهرين الماضيين. ومع أنّ الطريق

نحو الأمان لا يزال طويلاً أمامهما، إلاّ أنّهما قاما بالخطوات الأولى على الأقلّ.

"كلاّ، بل غوين"، قالت ديانا بنبرة انتصار، وكأنّها لم تبدِ أيّ اعتراض عليها منذ البداية.

"يا للأسف. كنت آمل أن تكون أغاث. لكان من المسلّي رؤية الملابس التي ستأخذها معها إلى نيويورك". ثمّ أضاف بجديّة أكبر: "أنا سعيد لأجلهما، كلاهما يستحقّ ذلك". فقد أصبح يحبّها شأنه شأن الباقين، كما لاحظ التحسّن الذي طرأ على روبرت. فقد مضت سبعة أشهر على وفاة آن، وكانت فترة طويلة وحزينة بالنسبة إليه. إلاّ أنّه عاد إلى الحياة الطبيعيّة سريعاً إلى حدٍّ ما، وإن كان إريك يعرف بأنّ هذه الأمور لا يمكن أن تقاس. وهو يتقبّل كلّ ما يناسب روبرت ويسعده. "إنّها امرأة لطيفة وهو رجل طيّب".

قالت ديانا مفكّرة: "أتساءل عن رأي أولاده في ذلك".

فهزّ إريك كتفيه من دون مبالاة وقال: "روبرت رجل ناضج ولديه الحقّ بفعل ما يشاء".

"ولكنّ أولاده قد لا يوافقون على علاقته بغوين".

"من الأفضل لهم عندئذٍ أن يعتادوا عليها. فهو يملك الحقّ بأن يعيش. وهذا ما كانت آن لترغب به أيضاً". هزّت ديانا رأسها موافقة وأقرّت بصحّة ذلك. أضاف إريك: "علاقته بغوين لا تعني بأنّه نسي آن، وأولاده سيكتشفون ذلك مع الوقت". وافقته ديانا مجدّداً، وفي تلك اللحظة، دخل جون إلى الغرفة. كان قد اتّفق مع إريك على اصطحاب باسكال إلى الطبيب، وقال بأنّهما لن يتأخّرا على موعد الغداء. فقد أراد إريك أن يعاينها طبيب باطني ويجري لها عدداً من التحاليل.

تطوّعت ديانا قائلة: "هل تريد منّي مرافقتكما؟" ولكنّ جون قال بأنّه لا ضرورة لذلك. وأمل بأن تتحسّن حال باسكال بعد أنّ يصف لها الطبيب بعض الأدوية. وقد شعر إريك وديانا بالاطمئنان لأنّ حالتها لا تبدو بالسوء الذي

تشعر به. رغم ذلك، كان جون خائفاً عليها ويريد عرضها على طبيبهما فور عودتهما إلى ديارهما ليجري لها فحصاً شاملاً ودقيقاً. ولكنّهم سيغادرون جميعاً بعد أسبوع، ويجب أن يساعدها الدواء على الصمود خلال هذه الفترة.

وبما أنّ جون لا يثق بأطبّاء فرنسا ولا بكلّ ما هو فرنسي، فقد أرهق باسكال بانتقاد كلّ ما هو فرنسي في طريقهما إلى الطبيب. وحين وصلا، كانت قادرة على قتله. ثمّ تقيّأت مجدّداً في قاعة الانتظار، وبدأت بالبكاء، ممّا أثار أعصاب جون.

قالت بحزن: "أشعر بأنّني في حالة فظيعة، فأنا مريضة منذ أسبوع".

"أعلم حبيبتي. سوف يصف لك الطبيب بعض الأدوية وعندها ستكونين بخير". ووصل به القلق وهما جالسان هناك إلى التفكير بالعودة معها إلى نيويورك.

اصطحبتها الممرّضات أخيراً إلى غرفة المعاينة لفحص إشاراتها الحيويّة وعينيها ولسانها. ثمّ أخذن ضغط دمها ووزنها، فيما قامت ممرّضة برداء أبيض بال بتدوين كافّة المعلومات. صحيح أنّ ممرّضات فرنسا لسن متشدّدات كممرّضات نيويورك، ولكنّ باسكال معتادة عليهنّ ولا تأبه لذلك مثل جون.

وحين رآها الطبيب أخيراً، طرح عليها عدداً كبيراً من الأسئلة، وهزّ برأسه كثيراً، ثمّ أخذ عينة من دمها وقال بأنّه سيتّصل بها في المنزل. قال بأنّه لن يصف لها أيّ دواء قبل أن تظهر نتائج التحاليل. وشعرت بأنّها لم تعرف أيّة معلومات إضافية عن حالتها.

حين خرجت أخيراً، سألها جون بقلق: "ماذا قال؟" كان قد مضى عليها في الداخل أكثر من ساعة، وشعر بقلق شديد عليها.

أجابته بصدق: "لم يقل الكثير. قال بأنّه سيتّصل بي فور ظهور النتائج".

سألها جون مرعوباً: "نتائج ماذا؟".

"أخذ عينة من دمي".

"أهذا كلّ شيء؟ أيّ طبيب أحمق هذا؟ قال إريك بأنّ عليه أن يصف لك مـضادّات حـيويّة. دعينـي أتحدّث إليه". وكان على وشك الانقضاض على الممرّضة الجالسة إلى المكتب، ولكنّ باسكال أصرّت على العودة إلى البيت.

"لـن يـصف لي أيّ دواء قبل رؤية النتائج، وهذا منطقيّ. يعتقد أنّه من الممكن أن أكون قد التقطت جرثومة السالمونيلا، وقد أحتاج إلى العودة لإعطاء عينات إضافية، اعتماداً على النتائج".

"آه، حبّاً بالله باسكال. هذه البلاد هي من دول العالم الثالث من دون شكّ".

ردّت علـيه وقد شعرت بالإهانة: "هذا غير صحيح، إنّها بلادي. يمكنك أن تهـين والدتي إن شئت، ولكن ليس فرنسا. لقد تخطّيت حدودك!" مع ذلك، ظـلّ يتذمّـر فـي طـريق العودة، وحين وصلا أخبر إريك عن ذاك الطبيب الأحمق برأيه.

ثمّ نظر إلى إريك نظرة رجاء وقال: "لم لا تصف لها شيئاً بنفسك؟" ولكنّ إريـك رفـض قائلاً: "لا أظنّ بأنّهم يعترفون بوصفتي الطبيّة هنا. وبصراحة، أرى بأنّ الطبيب على حقّ. لا يجب أن يصف لها شيئاً قبل أن يعرف ما الذي تعاني منه بالضبط. لن يستغرق الأمر طويلاً".

أجابه: "بالطبع لا، نحن في فرنسا".

ولكـنّ الممرّضة اتصلت بباسكال في اليوم التالي. أراد الطبيب رؤيتها مجـدّداً وحـدّد لهـا موعداً عصر ذلك اليوم. أراد جون الذهاب معها، ولكنّ باسكال رفضت وقالت بأنّها أفضل حالاً من اليوم السابق. وفي النهاية، رافقتها غـوين التي كانت ترغب بالتجوّل في البلدة. فاستقلّتا السيارة الصغيرة، وحين عادتـا كـان وقت العشاء قد اقترب. كان جون قلقاً جدّاً، ولكنّ المرأتين كانتا سعيدتين واعترفتا بأنّهما ذهبتا للتسوّق بعد زيارة الطبيب التي لم تستغرق وقتاً طويلاً.

صـرخ جون بزوجته: "كان بإمكانك الاتصال على الأقلّ!" ثمّ سألها عمّا قاله الطبيب، ولكنّها اكتفت بالقول أنّه أخبرها بأنّها بخير.

وبـدا علـيه الغـضب، ثم سألها: "هل وصف لك مضادّات حيويّة هذه المـرّة؟"كـان قلقاً عليها فعلاً وأدركت بأنّه كان عليها الاتّصال ولكنّها أمضت وقتاً ممتعاً مع غوين واعتقدت بأنّ جون سيكون مشغولاً مع الباقين. ولكن تبيّن لها بأنّه جلس طيلة الوقت ينتظر عودتها.

قالـت ببساطة: "قال بأنّني لا أحتاج إلى المضادّات الحيويّة. سوف أشفى مـن تلقاء نفسي". كانت متشوّقة لتري ديانا ما اشترته هي وغوين. فقد عثرتا على متجر جديد للملابس واشترتا كلّ ما فيه تقريباً.

صرخ جون وقد استبدّ به الغضب: "أعتقد بأنّ هذا الطبيب أبله تماماً"، ثمّ اسـتدار وصـعد إلى الطابق العلوي. فلحقت به باسكال. كانت تدرك كم قلق عليها.

بقـيا فـي غرفتهما لمدّة طويلة يتحدّثان، ثمّ نزلا لتناول العشاء في وقت متأخـر من تلك الليلة. كانت غوين قد أعلنت بأنّها ستعدّ العشاء بنفسها، وتبيّن بأنّهـا أكثـر مهـارة من باسكال في الطبخ. حتّى أنّها تمكّنت من إقناع أغات بمـساعدتها وأعدّت عشاء فرنسيّاً ممتازاً وهي تثب فوق قطيع الجراء الذي لا يفـارق أغـات. وحين نزل جون وباسكال، بدا جون مرتاحاً تماماً، كما كانت عاطفته نحو زوجته فيّاضة على غير عادة. حتّى أنّها تمكّنت في نهاية العشاء من جعله يقرّ بأنّه يحب فرنسا في الواقع.

قـال روبرت ممازحاً: "هل يمكنني تسجيل ذلك؟ علينا أن نطبع اعترافه علـى ورقة ليوقّع عليها كوثيقة. وماذا عن أمّ باسكال؟ هل أصبحت تحبّها هي أيضاً؟".

"بالطـبع لا. قـد أكـون في مزاج جيّد ولكنّني لست مجنوناً". فضحكوا جميعاً، فيما استند هو إلى الخلف يدخّن سيجاراً وهو يمسك بيد باسكال. كانت هـذه الأخيـرة تبدو في حالة أفضل بكثير، فقضى الجميع أمسية ممتعة. وكان إريك وديانا على اتّفاق، وروبرت وغوين مغرمين تماماً. فخيّم عليهم جوّ من الـسعادة والودّ، وعلى الرغم من الوجه الجديد الموجود بينهم، إلاّ أنّهم تكيّفوا

معه على ما يبدو. فبعد أسبوعين من وجود غوين، تقبّلوها أخيراً. لا بل بدأوا يحبّونها أيضاً، وبنهاية الأمسية، راحوا يتحدّثون عن استئجار منزل "حبّ من النظرة الأولى" مجدّداً في العام المقبل.

فقال جون بجديّة: "في المرّة القادمة، سأحضر أدوات صحيّة معي من نيويورك". فقد عانى الأمرّين مع حمّامه منذ وصولهم. وقالت باسكال بأنّ هذا سيشغله عن التذمّر.

ووافق الجميع على أنّهم أمضوا ثلاثة أسابيع رائعة. وشعروا بأنّهم على الطريق الصحيح. روبرت وغوين بحبّهما الوليد، إريك وديانا بزواجهما الذي يحاولان إنقاذه، وجون الذي نجا من الموت اختناقاً بقطعة نقانق. لم يتأذّ أحد، بل كانت إجازة ناجحة.

مرّ الأسبوع الأخير بسرعة. سبحوا، أبحروا على متن المركب، تحدّثوا وناموا. كانت باسكال ما تزال تعاني من إصابتها، ولكنّها بدأت تتحسّن وأصبح جون أقلّ قلقاً عليها. وكلّ ما شغل بالهم في الأيّام القليلة المتبقّية هو عدم رغبتهم بالعودة إلى ديارهم.

أعدّت لهم غوين سرطان البحر في ليلتهم الأخيرة، فهرب اثنان منهما وهاجما جراء أغات التي غادرت المطبخ راكضة وهي تصرخ وتحمل الجراء بين ذراعيها، وتركت غوين لتتدبّر أمرها وحدها. وكانت غوين قد تطوّعت لإعداد الطعام كالعادة أثناء مرض باسكال شرط أنّ يساعدها الباقون في التنظيف. تناولوا العشاء في الحديقة، على الطاولة الوحيدة المتوفّرة، بعد أن فرشت عليها ديانا غطاء اشترته لمنزلها، فيما نسّقت باسكال الأزهار. وحين جلسوا إلى المائدة، صبّ لهم إريك الشراب. كان العشاء ممتازاً وشهيّاً. وتمتّعوا بكلّ دقيقة بعده، بينما كانت الشمس تغرب ببطء. فأشعل جون سيجاراً وراحوا يتسامرون.

أقرّت ديانا قائلة: "أكره العودة". ثمّ حدّثتهم غوين عن الفيلم الذي سيصوّرونه في لوس أنجلوس والذي سيستغرق تصويره أربعة أشهر. ولكن روبرت قال لها بأنّه سيزورها في العطل الأسبوعيّة، كما وعدت بأن تأتي إلى

نيويورك كلّما أمكنها ذلك. فالتمارين ستبدأ في الأسبوع المقبل وكانوا قد عدّلوا برنامجهم لأجلها لكي تتمكّن من قضاء الأسبوع الأخير في سان تروبيز معه.

اعترفت ديانا قائلة: "أظنّ بأنّه من الجميل رؤية الأولاد مجدّداً". ولكنّها لم تشعر بالاشتياق إليهم طيلة الشهر، فقد كانت مشغولة بإصلاح الأمور بينها وبين إريك. وقد بدا للباقين على الأقلّ بأنّهما نجحا في ذلك.

قالت باسكال: "بالكاد أستطيع الانتظار لرؤية ولدي أنا أيضاً". فشحب الجميع وتساءلوا ما إذا كانت تعاني من الحمّى.

قال لها إريك بمرح: "ليس لديك أولاد، باسكال، ولكن يمكنك استعارة أولادنا في أيّ وقت".

إلاّ أنّها أجابته مبتسمة: "أشكرك ولكن لديّ طفل خاصّ بي".

ضحك إريك وهو يصبّ لها العصير ويقول: "أعتقد بأنّ الجرثومة التي في بطنها صعدت إلى رأسها".

غير أنّها نظرت إلى جون بابتسامة فرنسيّة جدّاً وقالت: "سوف أنجب طفلاً، هذه هي الجرثومة التي في بطني. قال لي الطبيب ذلك حين عدت لرؤيته مع غوين، ولكنّنا أردنا أنا وجون مفاجأتكم بالنبأ في الليلة الأخيرة". نظر إليهما الجميع مذهولين فيما تابعت باسكال قائلة: "سوف أكون في الثامنة والأربعين حين يولد، ولكنّني لا آبه حتّى وإن كنت في سنّ جدّته. إنّه معجزتنا الصغيرة. لقد حدثت أخيراً. لم أشعر يوماً بهذه السعادة في حياتي". كان الباقون يعرفون تماماً كم كابدا لإنجاب طفل وما يعني لها ذلك.

ترقرقت الدموع في عيني ديانا التي اندفعت إليها من حول المائدة قائلة: "آه، باسكال..." ثمّ احتضنتها وقبّلتها، وكذلك فعل روبرت وإريك، ثمّ احتضنتها غوين وأخبرتها كم هي سعيدة لأجلها. وقالت بأنّ الفكرة مرّت في ذهنها مرّة ولكنّها لم تشأ أن تكون متطفّلة وتسألها.

فرحوا كثيراً، وراح جون يقدّم السيجار للجميع، ولكن باسكال رفضت إذ شعرت بأنّها لن تحتمل التدخين.

قالت ديانا وهي تنظر نحو إريك: "لا نريد أن نسرق الأضواء من باسكال".

فسألها جون بدهشة: "هل أنت حامل أيضاً؟" ممّا أثار ضحك الجميع.

قال إريك: "كلاّ، بل سنبقى متزوّجين. أعتقد بأنّ "حب من النظرة الأولى" فعل فعله معنا". حب من النظرة الأولى، إنّه الاسم الأنسب للفيلا المتداعية التي يقيمون فيها، ولجميع الأمور التي حدثت معهم في ذلك الشهر. "إنّها أنباء رائعة ما دمنا نحن المعنيّين". ثمّ شدّ على يدها وهنّأهم الجميع.

هتف روبرت: "هذا نبأ رائع!" وأضاءت السعادة وجه غوين. فقد سبق وأخبرتها ديانا بدورها في ذلك.

ثمّ قال: "حان دورنا إذاً، ما دام الجميع يزفّ الأنباء السارّة...لدينا ما نخبركم به نحن أيضاً...سوف نتزوّج أنا وغوين في الربيع القادم، هذا إن لم تملّ منّي أو تقرّر بأنّها لا تستطيع احتمالكم. فقد أجهدتموها جميعاً، كان عليها أن تنقذ زواج إريك وديانا وحياة جون... وتنقذني أنا أيضاً. أعتقد بأنّها تستحقّ أوسكاراً آخر على الجهد الذي بذلته". كان يمزح، ولكنّ ما قاله كان فيه شيء من الحقيقة. "وأتمنّى ألاّ تضطرّ إلى مساعدة باسكال في إنجاب طفلها، متى الموعد بالمناسبة؟".

"أظنّ في شهر آذار. لا أزال مضطربة حيال ذلك".

"أظنّنا سنتزوّج في أيار أو حزيران، بعد انتهاء غوين من تصوير فيلم في الربيع القادم مع توم كروز وبراد بيت. هذا إن لم تهرب مع أحدهما".

"هذا أمر مستبعد"، قالت وهي تبتسم بخجل، ثمّ نظرت حول المائدة إلى أصدقائها الجدد وأضافت: "كنتم جميعاً لطفاء معي... أنا سعيدة جدّاً لوجودي معكم... كما أنّني أحبّ روبرت كثيراً..." وملأت الدموع عينيها وهي تقول ذلك. كانت أمسية مؤثّرة لهم جميعاً عرفوا فيها بداية جديدة وحياة جديدة وشيئاً تشاركوه مرّة أخرى. أصبحت غوين تشعر الآن بأنّها واحدة منهم، وحين قرّبها إليه روبرت وعانقها، راقبهما الباقون والابتسامة على وجوههم، بينما غربت شمس سان تروبيز وكأنّها كرة من نار.